الجمهورية الجزائرية الديمقراطية الشعبية
وزارة التعليم العالي والبحث العلمي

جامعة أبي بكر بلقايد
تلمسان

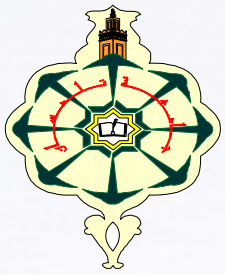

Université Abou Bekr Belkaid
Tlemcen

كلّية الآداب واللّغات

قسم اللغة العربيّة وآدابها

مقاصد المؤلّف واستراتيجيّات المؤوِّل في تحليل الخِطاب الشّعري

- قراءة تداوُليّة في شعر محمّد بنّيس-

أطروحة مقدّمة لنيل شهادة الدّكتوراه في النقد الأدبي المعاصر

إعداد الطالب:
محمّد بكّاي

إشراف:
أ.د محمّد بلقاسم

أعضاء لجنة المُناقشة

أ.د/ العرابي لخضر	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	رئيسا
أ.د/ محمّد بلقاسم	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	مشرفا
أ.د/ محمّد بلّوحي	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعبّاس	عضوا
أ.د/ إدريس قرقوى	أستاذ التعليم العالي	جامعة سيدي بلعبّاس	عضوا
أ.د/ أحمد موساوي	أستاذ التعليم العالي	المركز الجامعي بالنّعامة	عضوا
أ.د/ عبد الرّحمن فارسي	أستاذ التعليم العالي	جامعة تلمسان	عضوا

السنة الجامعية: - 1436 هـ/ 1437 هـ - 2015 م/ 2016 م

بسم الله الرحمن الرحيم

إنّ التّخيّل عبارة عن استخدام خاصّ للغة وتصوير أحد أركان الشّعر.

ابن رشد

ليس هناك مجّانية أو عبثية في الشّعر.

نزار قبّاني

إهداء

إلى عائلتي...

ثرائي المُطلق وطاقاتي الاستثنائية

مُقدّمة

مـقـــدمـــــة

بسم الله الرحمن الرحيم

نحمد الله كما ينبغي لجلاله وقدره، ونشكره على فضله وإحسانه أمّا بعد :

فالخطاب الشّعري في مشهديته الحداثية أصبح كوناً دلاليّا رحبا وعالما تصوّريا متشّعب المسالك، وهو ما جعل القِراءات النّقدية المعاصرة لا تتوقّف عند معطيات الخطاب الدّاخلية وعلاقاته اللغوية وشبكاته البنيوية، بقدر ما سعت إلى فهم بنياته الكبرى وسياقاته وخطاطاته ليُفهم الإبداع الشّعري في ظلّ عالم أوسع يمنح عهداً جديدا في تأويل وقراءة معمارية الشِّعر على نحو متميّز، محاولةً الكشف عن بصمة المؤلّف أو مقصديته، وبالتالي الانتقال إلى البنى التصورية والحالات الأهوائية للشّاعر التي تخلق خطاباً يمتاز بالابتكار والإدهاش.

ومحاولةُ النقد تقديم استراتيجياتٍ تأويلية لفهم اشتغالية هذا الإنتاج الشّعري، تهب هذا الأخير المزيد من الحيوية والجاذبية؛ فالنقد يُعيد التّوزان بين انفعالية ودهشة القارئ وبين التّصورات والأسُس النّظرية التي يستند إليها كمؤوّل يشتغل في أطرها على تحليل ومقاربة المدوّنة الإبداعية.

عبر إشكالية القراءة النقدية وإحراجات رهاناتها وتعدّد آلياتها الإجرائية، تتجلّى التداولية كقراءة تفاعليّة وحيويّة للخِطاب الشّعري الحداثي. فالقراءة التداولية تقدّم محاولات للقبض على الدّلالات التّصوّرية للشّاعر وتُقحم المؤوّل في مناورات جمالية وتفكيكية لأسرار الخطاب الأدبي وشِعريته؛ فيتداخل الخيال الشّعري بدلالات الحدث النفسي التي يُصدِرها البناء النّصي، والتي تعكس دينامية وفاعلية خاصّة بين فعل الصُّور الفنية وبين طاقة كلّ من المبدع والمتلقي كمبدع آخر يُناور بوعيه الشّعري والرّوحي ومُدركاته الفنية.

وهذا ما يُشكّل مدخلاً لإنتاج إشكالات وأسئلة معرفية ترتبط وخصوصية التجربة الشعرية نفسها، دون أن تختزلها بتشخيصٍ نقديّ معمّم أو قراءة تأويلية بسيطة. فكيف سيُناور المؤوّلُ عبر استراتيجياته القِرائية جماليات الخطاب الشّعري؟ وما هي المسالك التي يتخلّلها للتّسرب إلى أبعاده؟ مخلّفا آثاراً تفرز حركية دلالية تتجذّر داخل المتلقي. هنا تقارِبُ الاستراتيجياتُ التأويلية عبر تعدُّد

أدواتها التّداولية التحليلية وضعيةَ النُّصوص بتعميق الممارسة النقدية على رؤى الشّاعر ومقصدياته التي راكمتها التّجربة الوجودية. هذا من جهة ومن جهة ثانية، يحاول البحث العمق داخل المفاهيم الأساس التي تشتغل عليها هذه الدّراسة، فما هو مفهوم استراتيجيات إنتاج وفهم وتأويل الخطاب؟ وكيف تشتغل التّصورات والمقاصد ذهنيا ومعرفيا؟ إلى جانب وضع مفهوم المقصدية واستراتيجية المؤوّل قيدَ السؤال في الرؤية والاستعمال النّقديّ.

وبدأ اهتمامي بموضوع مقاربة الخطاب الأدبي تداوليّا عقب إتمامي بحث شهادة الماجستير، حيث عالجت في مذكرة تخرجي آنذاك الاستراتيجيات الخطابية في النقد المغربي المعاصر، فأثارت حيوية الجهاز المفاهيمي للاستراتيجية الخطابية اهتمامي من جهة، ومن جهة أخرى لنموّ ميولي وتزايد تأمّلاتي في الموضوع، فانطلقت منه إلى شعرية الخطاب متتبّعا استراتيجيات إنتاجه وآليات تأويله. وعندما كانت القراءة النقدية تتطلّب حصر المدونة التطبيقية، كان اختياري لأعمال محمّد بنيس الشعرية نظرا لميولٍ ذائقية شخصية لأشعاره، ولغزارة متنه الشّعري وموقعه النقدي والأكاديمي المهمّ في المغرب الأقصى والعالم العربي. فكانت مغامرة ولوج هذا البحث الموسوم: "**مقاصد المؤلّف واستراتيجيات المؤوّل في تحليل الخطاب الشّعري: قراءة تداوليّة في شعر محمّد بنّيس**".

فقراءة الخطاب الشّعري عند بنّيس تداوليّا هي غاية هذه الرّسالة، التي تعمّق سؤال الشِّعرية بالتركيز على عُنْصُرَي الإنتاج (مقصدية المؤلف) والتّلقي (استراتيجية المؤوّل) وهو ما تطلّب استقراءً مزدوجاً أثناء الممارسة النّقدية التحليليّة، ومن هذا المنطلق توزّعت الدّراسة على ثلاثة أبواب، يضمّ كلّ واحد منها فصلين، إلى جانب مقدّمة ومدخل الرّسالة، مذيّلاً هذه الأخيرة بخاتمة جمعت فيها حوصلة البحث ونتائجه.

أمّا المدخل الموسوم بـ"المقاربة التداولية للخطاب الأدبي" فعالج حيثيات القول الأدبي وتداوليته المتجلية عبر الأفعال الكلامية وفعالية السياق في فهم وإدراك خصوصية اللغة الأدبية، إلى جانب التّحقيق في مسألة المقصدية ودورها في القراءة التفاعلية للخطاب الشعري. ويلي المدخل شقّ نظريّ يتناول المفاهيم والتّصورات الأساس التي اشتغلت عليها الدّراسة ممثّلا في بابين: وُسِم

الباب الأول بـ"المقصدية بين الإطارين المعرفي والتداولي" ويضمّ فصلين، أحدهما حول المقصدية وضبط تصوراتها النظرية والثاني حول الآليات التّداولية في فهم المقصدية.

بينما عالج الباب النّظري الآخر، وهو **الباب الثاني**، "استراتيجيات التأويل والانفتاح التّداولي للخطاب"، وجاء متوازنا مع الباب السابق من حيث تفرّعه إلى فصلين اثنين، هما: "الاستراتيجيات المعرفية في تأويل الخطاب" و"الاستعارة واستراتيجيات التأويل".

وارتأيت أن يُخصَّص **الباب الثالث** للدّراسة التطبيقية على أعمال محمد بنّيس وجاء موسوما بـ "المقصدية والاستراتيجيات التأويلية في شعر محمد بنّيس"، ويرتبط هذا الجانب التطبيقي بسابقه النّظري من جهةِ عبور المفاهيم الأساس إلى الممارسات النصية لمساءلةٍ تعتمد المختبر الشّعري باعتباره بناء ماديا يتلوّن بخصائص النصوص وأسرارها. وقد تضمّن الباب الثالث فصلين؛ أحدهما في اختبار "استراتيجية المقصدية عند بنّيس" والآخر حول "استراتيجيات التأويل في تحليل الخطاب الشّعري عند بنّيس" وفيه تلتقي القراءة بموضوعات أنطولوجية حسّاسة لدى الشّاعر، من بينها الموت والحبّ وفق أفق رؤيويّ يمارس دلاليّة الأهواء مع اللغة واستراتيجيات الخطاب. وأخيراً خلص البحث إلى وضع خاتمة ضمّت جملة من النتائج التي بلغتها الدّراسة.

وتـمّت الاستعانة في حَبْكِ فصول وأبواب هذه الرسالة بالمنهج الوصفي؛ والتّحصن بأدوات إجرائية كالاستقصاء والتّحليل لمقاربة مفتوحة للخطاب الشّعري، تؤمن بإمكانية البحث المتجدّد في التنظير والنقد. وذلك للقبض على دينامية وشعريّات المعنى التي تتحصّل عبر التأويل والتّحليل.

ومن الجدير بالذكر أنّ البحث المطروق رغم حداثة طرحه، إلاّ أن كثيراً من الدّارسين حاول الخوض فيه والتعرف على مغالقه، مثل الدكتورة يمنى العيد في كتابها "معرفة النص" أو الدكتور إدريس بلمليح في "القراءة التفاعلية" أو الدكتور محمد مفتاح في "مجهول البيان" و"تحليل الخطاب الشعري"، ولذا حاولت اللّجوء إلى موضوع البحث من زاوية نظرٍ محدّدة تتصل بالقصدية والتأويل خاصة، لعلّي أساهم – من خلال اتّكائي على الدراسات السابقة- في فتح المجال مُستقبلاً أمام الباحثين للخوض واستثمار التحليل فيه.

لكنّ اقتحام النمط التّدوالي للقراءة، لم يكن سهل المنال؛ لأنّ هذا النوع من المقاربات القرائية والتأويلية، لا يزال في بداياته في الوطن العربي، ويقتضي تطويعُه إخراجَه من أفق النظريات والتمرينات الجزئية، على أبيات مجتزأة أو نصوص قصيرة، إلى تطبيقات على نصّ كامل. من هذا المنطلق، فيلتفهّم القارئ الكريم المآزق القرائية التي واجهت هذه الرّحلة المضنية لحظة تلو الأخرى، ولا شكّ أنّ القارئ سيجد نفسه مُشاركا ومنفعلا ومتألّما بعُسر التأويل حينا، مبتهجا بيُسره حينا آخر.

وقد آنسني في خوض هذه المغامرة البحثية تشكيلة من الكتب والمراجع الثرية في موضوع البحث، لعلّ أهمها: كتاب الأزهر الزنّاد "نظريات لسانية عرفنية" وكتاب اللساني فان دايك "النّص والسياق" وكتاب محمد لطفي اليُوسفي "لحظة المكاشفة الشعرية: إطلالة على مدار الرّعب"، وكتاب خالدة سعيد، "فيض المعنى"، هذا إلى جانب الاعتماد على المدونة الشعرية لمحمد بنّيس، من خلال "الأعمال الكاملة" أو ديوانه "مواسم الشّرق".

في الختام أرجو أن يتقبّل منّي السّادة أعضاء لجنة المناقشة الموقّرة كلّ الشّكر والاحترام وتقدير المشقّة والعناء الذي تلقوه في قراءة وتقييم وتقويم هذه الرّسالة.

وأخيرا وليس آخرا، أشكر أستاذي المشرف الذي تكبّد طيلة سنوات الإشراف متابعة عملي خطوة خطوة، منبّها ومقوّما ومشيرا؛ بدءاً بمرحلة الجمع والتصنيف والتّوجيه السّديد إلى غاية فترة التصحيح والتّصويب وإبداء آراء مهمة معرفيا وأكاديميا، لتزكية موضوع الرسالة وإثرائها. فجزاه الله عنّي خير الجزاء.

ولله الحمد والشّكر من قبل ومن بعد.

تلمسان: 01 ذي الحجّة 1436 هـ.

الموافق لـ: 14سبتمبر 2015 م.

محمد بكاي

المدخل:

المُقاربة التّداولية للخِطاب الأدبيّ

المُقاربة التداولية للخِطابِ الأدبي

يُلاحظ المتتبع لتطوّر التصورات التداولية في شقّيها التنظيري والتّطبيقي، توسّعا في مطالبها واستشرافا لمنافذ جديدة بإمكانها احتواء أجناس أخرى إلى جانب اللغة العادية والكلام البسيط وشتّى أصناف التّواصل الشفهي والتفاعلي والتّحادثي. فامتدّ الاهتمام التداولي بالخطاب في استعمالاته التواصلية والعادية ليشمل أدبية الخطاب و تخييلاته، محلّلا بذلك نصّياته البلاغية وشبكاته المجازية وفضاءاته التأويلية.

وقد تطوّرت المقاربة التداولية في السنوات العشرين الأخيرة ليتضاعف اهتمامها بالخطاب الأدبي في أجناسه المختلفة البسيطة منها والمعقّدة؛ من قصة ورواية ومسرح وشعر...الخ. وبذلك استثمرت التنظيرات الأخيرة للتداولية تحليلاتها من علوم أخرى كالعلوم المعرفية والفلسفة اللغوية والمنطق والذكاء الاصطناعي، لترتقي بأدواتها الإجرائية في مقاربة النصوص الإبداعية وتأويل دلالاتها. وهكذا نظّرت الدّراسات التداولية للخطاب الأدبي عامّة مُعيدةً طرح قضاياه المعروفة من وجهة نظر مغايرة[1]. وبالتالي حملت هذه المقاربة الجديدة في طياتها امتزاجا للأدوات المعرفية الإجرائية بين مختلف الحقول في العلوم الإنسانية والاجتماعية، للظفر بتحليل متناسق ومتكامل يشمل شتى المجالات؛ إذ على "الناقد أن يتزوّد بكل هذه الثقافات والعلوم، لا ليصبها على النص الأدبي كما هي، وإنما لتساعده على فهمٍ أدقّ له، ويتكيف مع معطيات النص الأدبي وطروحاته[2].

وتروم التداولية إلى كشف المعاني المستترة في ثنايا الخطاب الشعري، لكن الغوص في دلالات وأبعاد هذا الخطاب الذكي والاستراتيجي والتطلع إلى إبداعيته والارتماء في دوائر بلاغته، يتبعه اهتمام وتطعيم بجوانب معرفية ومقاربات ذهنية لإدراك خُطاطات الفهم والتأويل؛ "إن فعل القراءة، أي التفكير في شيء لم نجربه، لا يعني فحسب فهمَ هذا الشيء، وإدراك أبعاده إلى الحدّ الذي يؤدّي إلى

1- يُنظر على سبيل المثال إلى:

- Jean Michel Gouvard : *Pragmatique outils pour l'analyse littéraire*.Armand Colin. Paris, 1988
- Dominique Maingueneau : *Pragmatique pour le discours littéraire*.Bordas, Paris. 1990.
- Elfie Poulain : *Approche pragmatique de la littérature*. L'Harmattan, 2006.

2- ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1997، ص: 10.

تشكيل شيء آخر في داخلنا، ولكنه يعني كذلك أن هذه الأفكار على حين تأخذ شكلا ما في وعينا، وتقوم في الوقت نفسه بتنبيه قدراتنا غير المتشكّلة، فتبدأ هذه القدرات، خلال عملية حلّ شفرة الأفكار، في النموّ وفي تشكيل ذاتها، لتعود فتشكّل العمل الذي تقوم به بحلّ شفرته. وما هذا العمل إلاّ جزء من العالم المحيط بنا. وإذا كان نموّ قدرات الإنسان في مجال معين ينتج عنه إسهام أكثر فاعلية وإيجابية في مجالات الحياة الأخرى، كذلك فإن الوعي الذي ينمو في مجال الدرس الأدبي لا ينفصل عن أشكال الوعي الأخرى في المجال الاجتماعي والسياسي بشكل عام"[1].

أي أنّ التركيز التداولي ينصبّ على ما يرتبط بشقّي الإنتاج والتلقي معرفيا وذهنيا، بعيدا عن المقاربات الانفعالية والأهوائية بالسير على هدى البحث والتعليل والاستنتاج وصولاً إلى سُبل فعّالة في سبر النصوص وبلوغ كنوزها وأسرارها. فالدرس التداولي بمنهجيته الجديدة معرفيا وتواصليا يمكنه أن "يأتي بقراءة مناسبة. لأنه يتيح أكبر قدر ممكن من الموضوعية في الرؤية، ومن التماسك في العرض، ومن الابتعاد عن المزاجية والانفعالية. بذلك يتقدّم مبدئيا كضامن لفهم سليم للنص، وهو إن لم يقدم غير هذه "المأثرة" فإنها تشكل مبرّرا كافيا لضرورة اللجوء إليه إزاء ما يعم المقاربات النصية من تحريف وتشويه[2].

وتعارض التداولية في مقاربتها النقدية للخطابات الأدبية ما أسّسته الأنماط الشكلية والمناهج الصّورية والبنيوية في تعاملها مع النص الأدبي؛ فالتداولية تنصرف إلى تحليل الأدب تحليلا يختلف عن التحليل الأسلوبي أو السيميائي أو البنيوي، وهي بذلك تحاول التركيز على ما توصّلت إليه من نتائج مثمرة حول تحليل "اللغة العادية" بالكشف عن مضمراتها واستقصاء مقاصدها ووصف هيكلة أو هندسة الخطاب التواصلي. وبهذا تستغني التداولية عن الرؤية التقليدية للأدب، تلك النزعة البنيوية الشكلية والصورية البالية للخطابات الشعرية.

وعليه فهي لا تتّفق كثيرا مع المقولات الصورية الضيقة ثقافيا وذات الأهمية المحدودة في الدراسات الأدبية: فـ"عندما نتبنّى تناولاً لغويا للأدب...يكون مغريا أن نتصوّر النص الأدبي ونصفه بنية شكلية، موضوعاً تتمثّل خاصيته الرئيسة في مظهره النّظمي والصّوتي المتميّز. وهذا تناول عادي،

1- اعتدال عثمان، إضاءة النص: قراءات في الشعر العربي الحديث، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1988، ص : 100.
2- سامي سويدان، في النص الشعري العربي: مقاربات منهجية، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1989. ص: 10و11.

تبنّاه مثلا أشهر الأسلوبيين اللغويين، رومان جاكوبسون. ويحدث أيضا أن يتّفق مع الاتجاه الشكلاني السّائد في المدارس الأكثر محافظة في النّقد الحديث. إنّ معالجة الأدب بوصفه خطابا معناه النظر إلى النص بوصفه علامات متوسّطة بين مستخدمي اللغة: ليس فحسب علاقات الكلام، بل أيضا علاقات الوعي والإيديولوجيا والمساهمة والطبقة، إذْ لا يعود النّص شيئا بل يغدو فعلا أو عملية"[1].

والرّهان الذي يتبدّى أمام كلّ باحثٍ للوهلة الأولى في سعيه نحو مقاربة تداولية للخطاب الأدبي: كيف لنا أن نطبّق المعايير التحليلية التداولية على لغة أدبية تخييلية لها ركائزها وأركانها الخاصة والمتميزة؟ وهي المعايير ذاتها التي أُسنِدت إلى تحليل الخطاب أو الكلام في بُعدِه الإنجازي ووجهِهِ الاستعمالي؟ المفارقة إذن، هل يمكن الاعتماد في مقاربة الخطاب الأدبي تداوليا على ما تمّ تطبيقه في تحليل الخطاب العادي؟ وهو ما يحتمل أكثر من وجه، ويقتضي مجهودا أكبر في خلق مقاربة للخطاب الأدبي لا تتنصّل عن مقوّمات الدرس التداولي في مقاربة المنوال التواصلي والاستعمالي، "إنّ الرغبة في الوصل بين التحليل التداولي واللغة الأدبية تمثل تحديا وتفضي إلى ما يشبه المفارقة وذلك لأنّ التداولية تتعلّق بتحليل اللغة "العادية" ودراسة الحياة اليومية، أمّا الأدب فيستعمل خلافا لذلك خطابا تخييليا يحيل على الحياة المتخيلة"[2].

لاشكّ أن الريبة تخيّم على كل باحث يتبنى مقاربة الخطاب الأدبي تداوليا؛ إذ يحاول الدنوّ مجنّداً بالأدوات الإجرائية التداولية المطبقة على اللغة العادية والمستعملة (Ordinary language) بمختلف تجلياتها الملفوظة أو المحكية وفي شتّى النطاقات والحقول: السياسية منها أو القانونية أو الإعلامية. بعبارات أخرى، هل بإمكاننا تقريب الخطاب الأدبي عامة والشّعري خاصة من التداوليات المعاصرة؟ وهل تصلح عُدّتها التحليلية في صوغ تشخيص نقدي يلقي بنظرة جديدة ومغايرة للكون الشعري؟ لعلّنا بإقحام أبعاد تداولية ومعرفية جديدة لإدراك معطيات مضمرة في التشكيل الشعري ستلقي بظلالها على إمكانات تأويلية أرحب في تلقي الانزياحات النصية، بالالتفات إلى الأبنية الدلالية والفضاءات الذهنية للنص الشعري ودورها التداولي في هيكلة مقاصد المؤلف.

1- ك.م نيوتن، نظرية الأدب في القرن العشرين، تر: عيسى علي العاكوب، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، 1996، ص: 132.

2 - Elfie Poulin: Approche pragmatique de la littérature. Ed. L'Harmattan, 2006. p 8.

1. التداولية والأفعال الكلامية:

ويبدو أن مسعى تطوير التداولية لم يقف عند حدّ معين، بل هو مستمر، يظهر متى ما سنحت له الفرصة. ولذلك سعى **فان دايك** على سبيل المثال إلى تطوير تداولية أفعال الكلام التي تدور في حيّز الجملة عند مؤسسها أوستن إلى مجال النص. ولعلّ ما صنعه في كتابه **النص والسياق** يندرج في ضمن هذا المسعى؛ حيث حلّل أفعال الكلام الكبرى Marco-Speech Acts، فالفعل الكلامي الأكبر- عنده- هو "فعل الكلام الإجمالي الذي يؤديه منطوق الخطاب الكلي، والذي تنجزه سلسلة من أفعال الكلام المختلفة"[1]. لذلك شدّد على دراسة تداوليات الخطاب، وليس على تداوليات الجمل المنفصلة. إذ يمكن الربط بين الأفعال الكلامية المتتابعة وبين الأفعال الكلامية الكبرى الشاملة. وبذلك يكون خطاب طلب الفدية (تهديد أكبر)، أي فعل كلامي أكبر. وكذلك بالنسبة لمعنى الخطاب؛ فالأفعال الكلامية التفصيلية لا تستذكر بقدر ما يستذكر الهدف العام من الخطاب، أي الفعل الكلامي الأكبر الشامل، فيقال مثلا: هدّدني أو توعّدني...إلى غير ذلك[2].

ويظهر مما سبق أن فكرة الفعل الكلامي الأكبر ترتبط بفكرة البنى الدلالية الكبرى، "فالمحتوى الدلالي للفعل الكلامي الأكبر هو في الأغلب (قضية كبرى). وبهذا تكتمل نظرية البنى العامة، إذ لم تعد تقتصر على البعد الشكلي (البنية الفوقية التنظيمية للخطاب) والبعد الدلالي (موضوعات الخطاب وبنيته الكبرى)، وإنما صارت تشمل أيضا البعد التداولي (الفعل الكلامي العام [...] الذي ينجزه الخطاب"[3].

وانطلاقا من أن سلسلة الأفعال الكلامية تفسر بفعل كلامي واحد، عندما تشير إلى مقصد إجمالي واحد، وأن هذا الفعل الكلامي الأكبر يمكن أن يكون شرطا أو نتيجة لأفعال كلامية أخرى، أطلق **فان دايك** على أفعال الكلام المفردة (أو سلسلة أفعال الكلام) اسم التداولية الصغرى. وأطلق على التنظيم الكلي لمتوالية الأفعال الكلامية والسياقات وعلاقتها ببنية الخطاب اسم التداولية الكبرى[4]. وينتهي من ذلك إلى "أن الفعل الكلامي الذي تؤديه متوالية من الأفعال الكلامية هو إذن،

1- حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص: 309.

2- يُنظر: فان دايك، تر: أحمد صدّيق الواحي، مجلة فصول، ع77، 2010، ص: 28.

3- سعيد بحيري، من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي، مكتبة الاسكندرية، دط، د.ت، ص: 28.

4- ينظر: التداوليات علم استعمال اللغة، ص: 309.

فعل كلامي إجمالي Global Speech Act أو فعل كلامي أكبر Marco-Speech Act"[1].

وتأسيسا على فكرة الأفعال الكلامية الكبرى عند **فان دايك**، تصبح مهمة التداولية تفسير الخطاب بوصفه فعلا كلاميا واحدا، أو بوصفه سلسلة من الأفعال الكلامية، على وفق علاقات معينة تجعل ترتيب أفعال كلامية في متتاليات أفعال كلامية أكبر منها ممكنة بارتباط هذه المتتاليات بمتتاليات جمل أو عبارات الخطاب. فمن هذه العلاقات علاقة التعليل أو التفسير بين الطلب والإبلاغ؛ فبنطق الملفوظ يتم توجيه الطلب، وبوساطة الملفوظ السابق أو اللاحق يعلل للطلب، ومن ثمّ، يمكن تصديق الفعل الكلامي بوساطة فعل آخر[2]. وهكذا فمن الممكن تشكيل متتاليات الأفعال الكلامية للخطاب على أساس تداولية كبرى، تساعد على فهم الوظيفة الإجمالية للخطاب. فمن يقول: ذهبت إلى محطة القطار، وقد اشتريت تذكرة، فتوجهت إلى ساحة المحطة، وركبت القطار. يمكنه أن يعبّر عن هذه الأحداث بجملة واحدة هي: ركبت القطار. وجملة (ركبت القطار) هي البنية الكبرى التي أُلغيت فيها تفاصيل السرد، وهي في الوقت ذاته تمثل الفعل الكلامي الأكبر[3]. وهكذا يمكن أن تؤوّل صفحة من رواية في جملة واحدة تامة المعنى تمثل البنية الكبرى لتلك الصفحة، وفي الوقت نفسه تمثل الفعل الكلامي الأكبر. ومثل هذا يُقال على الصفحات الأخرى أو الفصول، وعندئذ تتكون مجموعة من البنى الكبرى تقابلها مجموعة من الأفعال الكلامية الكبرى أيضا. وفي المحصلة يمكن تأويل البنى الكبرى في الرواية ببنية كبرى واحدة، يقابلها فعل كلامي واحد أكبر .

2. تداولية السياق ودراسة الخطاب الأدبي:

لقد انطلقت المقاربة التداولية للأدب مما انتهت إليه البنيويات في تحليلها للسّرد أو معالجتها للشّعر، ذلك الاقتصار البنيوي على الهياكل أو البنى اللسانية في ما لا يتعدّى حدودَ الجملة، بالانغلاق داخل ثنائية الدال والمدلول، لم يمنح فرصةً للتأمل في عوالم الأدب الاجتماعية أو سياقاته الاقتصادية أو تداعياته الإيديولوجية وخلفياته التاريخية. لكن مجيء التداولية كانَ انتصاراً للانفتاح على

1- التداوليات علم استعمال اللغة، ص: 309.

2- ينظر: جبار سويس الذهبي، النص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب، مجلة الأقلام، ع5، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2008، ص: 52.

3- المرجع نفسه: 52-53.

الخطاب في عوالمه الكبرى، فهي تدرس اللّغة في الاستعمال، أو المنجَز والممارّس (Praxis)؛ أي داخل تشكيلةٍ من الظّروف وجملة من السياقات الثقافية. وهي بذلك تنفع لتشخيص الخطاب الأدبي، مأكّدة على تأويله دلاليا متعاملة معه في ارتباطه بالسياق. واجتهدت التداولية في طرح عناصر سياقية تتدخّل في إنتاجية الخطاب الشّعري وصياغة دلالاته وهو ما قام به ديبتر فوندرلخ (Dieter Wunderlich) وأطلق عليه "المقام التلفّظي النموذجي" وحدّدها في تسعة عناصر هي: "المخاطِب والمخاطَب وزمن التلفّظ ومكانه وخصائص الملفوظ الصوتية والنحوية ودلالية التلفّظ والمسلّمات المسبقة (معارف المتخاطبين وقدراتهما وعلاقتهما الاجتماعية) ومقصد المخاطِب التواصلي والتعامل الذي يساهم التلفّظ في بنائه"[1].

إلاّ أن المقلق في الأمر يكمن في كيفية فهم الخطاب الأدبي في ضوء مرجعياته وسياقاته التي تختلف تصوّراتها وآليات عملها بشكل أو بآخر عن إبلاغيات الخطاب التواصلي العادي. فإذا كان هذا الأخير تحضر فيه أغلب مقوّمات السياق، فذلك يغيب عن الخطاب الشعري أو الأدبي، حيث يمكن لمؤلف الخطاب أن يتوارى فِعليا، إلاّ أنه يبقى راسخاً في شبكات النص اللسانية وانتظاماته الخطابية عبر قرائن وإشارايات مكانية أو زمانية؛ "فحين نذكر الباث والمتقبّل والرسالة والوظيفة فقد ربطنا النص الأدبي بجملة من العناصر المقامية وإنْ كان حضورها فيه مختلفا"[2]. وفي هذا الصدّد خصّص أحد الباحثين –أثناء معالجته لتداولية الخطاب الأدبي– مقارنة لإبراز سمات وخصائص الخطاب الأدبي عن نظيره الإعلامي والإبلاغي[3]:

الخطاب الإبلاغي	الخطاب الأدبي
اللغة باعتبارها وسيلة.	اللغة باعتبارها مادّة.
الإخبار عن العالم.	إعادة تشكيل العالم أو التساؤل حوله.
الأساسي خارج اللغة.	الأساسي هو اللغة نفسها.
تبليغ موضوع محدّد مسبقا.	موضوع الخطاب هو الناشئ مع الخطاب.

1 - Rainer Warning: *pour une pragmatique du discours fictionnel*. In: Poétique n°39, sep. 1979. P322.
2 - *Ibid*. P: 333.
3 - *Ibid*. P: 322.

تنصّ تداولية الخطاب الأدبي على أنّ التواصل بين القارئ وصاحب الخطاب يكون غير مباشر، ففي ذهن الكاتب دائما ملامح قارئ-نموذجي أو مؤوّل مجنّد بآليات واستراتيجيات تحليلية تسمح له أنه يشاركه في المراجع التي يحيل عليها في خطابه؛ بتفكيك شفرات هذا الأخير وافتراض ما يقصده. ومن الصّعوبات التي اعترضت التداولية في سعيها إلى التعامل مع النص الأدبي باعتباره نصّا ذا سياق، تطبيق هذا المفهوم على النص الشعري. فهل يمكن أن نتحدّث عن سياق النص الشعري؟

الحقيقة أن السياق في الخطاب الشعري هو خيالي وافتراضي وانزياحي، مختلفٌ في طبيعته عن السياق والمقام الواقعي المستعمل في اللغة العادية؛ ف"الشاعر مرغم على استعمالٍ خيالي لمقتضيات السياق من أجل خلق مقامات داخل قصيدته. ومن هنا لا بدّ من التمييز بين السياق المعطى وبين السياق المستنبط أو السياق الدّاخلي"[1]. وفي هذه الحالة نقوم بتشريع الخطاب الشعري على احتمالات تأويلية لفهم السياقات التي أُنتج فيها، والمقاصد التي يروم إدراكها، وهو بذلك يتحرّر من قيود الانغلاق التي فُرِضَت على النص الشعري وتفكيك مقولات من رأى فيه أنه لا يُحدّث إلاّ نفسه[2]. ما نؤكّد عليه في المقاربة التداولية للخطاب الأدبي هو التركيز على رؤية تداولية خاصة بالسياق الشعري، تعتمد على تفكيك استراتيجيات الخطاب في حد ذاته لإدراك تجلياته الدّلالية وكونه المعنوي. وهو ما يفضي إلى القول أنّ "البحث عن السياق الأدبي ينبغي أن يعتمد فيه على النص نفسه إذ أنّ هذا الأخير يبني هذا السياق طوعا أو كرها من أجل أن يحيا كنصّ"[3].

3. مقصدية الخطاب الأدبي:

لا يمكن فصل الخطاب عن سياقه وحيثياته، هكذا تذهب التداولية إلى مناصرة شعار "لا نصّ دون سياق"؛ وهو ما جرّهم بحثاً بالحفر في مقصدية المؤلف أو الباث. وتحولت مقصدية المؤلف إلى حلقة تصورية وبحثية مهمّة في الدّرس التداولي المعاصر، بعدما انحدرت من الأفكار الظّاهراتية التي

1- محمد خطابي، لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط2، 2006، ص: 303.

2- المرجع نفسه، ص: 305.

3- المرجع نفسه، ص: 325.

صاغها **هوسرل**؛ فـ"تحوّلت مقاصد التكلّم في الدراسات التداولية الحديثة إلى منطلق أساسي من منطلقات تحديد الخصائص الإنشائية في الخطاب"[1].

و يحضر القصد حضوراً قويا أثناء عمليتي التحليل والتأويل؛ إذ علينا أن نشرع شروعا قويا في تتبع مقاصد الشاعر، وهو ما يدعونا إلى التركيز على الفضاء المعرفي والمفاهيمي عند الشاعر أثناء صوغه للنص الشعري، أو الخطاطات الذهنية: فـ"الرسالة تصدر عن الرغبة في إبلاغ شيء معين إلى الناس. صاحب الرسالة يصوغ معنى سبق في ذهنه، ولكن القصيدة تخلق جملة مواقف ليس لها من قبل التغيير وجود. الرسالة يراد بها الوصول إلى نقطة هامة. ولكن القصيدة قد تعطى طائفة من المعاني المتنافسة– إلى حدّ ما– دون أن تنتهي عند نقطة واحدة. وهنا يبدو أن الأمور آخذة في التعقد قليلا فلنتأمل: لقد قلنا إن المعنى في الرسالة وجد قبل أن تكتسب الرسالة. ولكن القصيدة الفعلية لم توجد قبل كتابتها. الشاعر – بعبارة أخرى– لا يعرف ما يقوله قبل أن يعبر عنه. قد يحس شيئا غامضا ولكنه لا يعرفه قبل خلق العبارة اللغوية. الشاعر إذن لا يبدأ من نقطة محققة أو خطة ثابتة؛ فالصانع هو الذي يرسم الخطة ثم يتولى تنفيذها، ولكن القصيدة ليست تنفيذا، وليست إطارات سابقة بالكلمات. القصيدة ينبغي ألا تبدأ من مضمون مستهدف. مثل هذا المضمون يجعل العمل الشعري شيئا نسميه تمثيلا أو شرحا، على حين أن الشاعر لا يبدأ من قضية، بل إن القضية بمعناها الصريح قد تكون عدوا لعقله. وهي التي جعلت الشاعر إنسانا يتشبه بالعلماء أو المناطقة ولكنه لا يرقى إليهم[2].

والملفت للنظر أن مبحث القصدية داخل الخطاب الأدبي يتقاطع مع مناهج نقدية أخرى كالأسلوبية والنصية وغيرها، لكن كل تيار حمل مقومات خاصة به في اعتماد القصدية داخل النص الأدبي. فالتوجهات الأسلوبية قديما ثمّ النصية التي حملت تركِتها اجتهدت في الوقوف على بلاغية الخطابات الأدبية وجماليات إنشائياتها وفنية انزياحاتها، محللة أوجه البلاغة في خطاباتها مبيّنة أغراض القول المقامية أو الاستراتيجية الخطابية للنص بما هو قول. وهي النقطة التي تنطلق منها التداولية في مقاربة الخطاب الأدبي، حيث تستند إلى بلاغة المقاصد أثناء التلفظ الأدبي داخل وسط تفاعلي ينفتح على القارئ لتأويل مبهمات الشّعر وخيالاته. وهو ما نفته الدراسات الشكلانية أو الأسلوبية

1– يُنظر: محمد خطابي، لسانيات النص، ص: 127.

2 – مصطفى ناصيف، مشكلة المعنى في النقد الحديث، مكتبة الشباب، مصر، د.ط، د.ت: ص: 144.

التي حصرت دراسة المقاصد على المؤلف وحده دون إشراك واعتراف بالمتلقي في صوغ كون دلالي وتفسيري وتداولي. وعليه، تغور القراءة التداولية للخطاب الشعري في مقاصد الشاعر وخلفياته المعرفية والإنصات إلى جمالياته والكشف عن فنياته وغرابته، فـ"القراءة هي أكثر من معرفة أركيولوجية بالنص، أي أكثر من معرفة بجذوره اللغوية وحوافزه المتعددة وعلائقه النصية. القراءة هي التماس أفق المعنى ووعوده؛ هي رحلة الدّهشة في حلم الكاتب – الشاعر وفي بيانه، في لاوعيه وخلفياته الثقافية، بل في اللغة وأفق احتمالاتها[1].

وعليه تسعى تداولية الخطاب الأدبي إلى البحث عن المقصد التواصلي باعتباره مقصداً "منفتحاً" يتوقّف تحقّقه على اعتراف المخاطب به وعلى ضرورة وجود مراجع مشتركة يعتمد عليها المتكلم لتبليغ مقاصده[2].

وعبر تأويل مقاصد الخطاب الشّعري، تدفعنا القراءة التداولية إلى فتح آفاق الخطاب، ليتفاعل هذا المنفتح مع الحركية والتغير والانحراف الذي يلتبس به الخطاب الشّعري، وتسعى تلك القراءة المفتوحة إلى فهمِ كينونة الإنسان ورحابة العالم. وهو ما يدعُو إلى "أن تكون القراءة تحويلا للكتابة إلى مكان اكتشاف، وأدوات اكتشاف وعلاقات اكتشاف، ومن هنا تصبح قراءة النص الشعري إغناء من حيث أنه سير في الأفق الذي يفتحه، من حيث أن هذا السير لا ينتهي، لأنه استقصاء للعمل الشعري، وعلاقات رموزه وصوره، ومن هنا ليس للنص معنى، كما كان يُفهم تقليديا، وإنما هو حركية الدلالات إنه بتعبير آخر لا يقدم اليقين بل الاحتمال: إنه نص يتجدّد مع كل قراءة: لا ينتهي، لا يستنفذ هذا ما يميز العمال الشعرية الخلاقة[3].

4. التواصلية داخل الخطاب الأدبي:

يرتبط الخِطاب الشّعري تواصليا بقارئٍ يتلقّاه، ليفهم أغراضه ويتبيّن أهدافه ويروم مقاصدَه التداولية. لذلك يكدّ المؤوّل في البحث عن قراءة تداولية تتّصل بالأبعاد التواصلية والأصداء التفاعلية أثناء تلقي وتأويل الخطاب الشعري.

1- خالدة سعيد، فيض المعنى، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص: 19.

2 - Jon Arild Olsen: De l’analyse stylistique considérée comme explication intentionnelle. Romansk , n°16, 2002. p 669.

3 – ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، ص: 62.

وتتفرّع المقاصد الموجودة في الخطاب الشّعري إلى أصناف ومستويات؛ منها ما يرتبط بالعملية اللسانية وآخر بالتواصلية والتداولية أو الحوارية. فالمقاصد المتصلة بالبنية التركيبية تشمل كل صورة أو نمط لساني تركيبي أو إفرادي يدلّ على النوايا المسبقة والمقاصد المعلنة أو المضمرة على سبيل الأفعال مثلا: عزم، نوى، قرّر، أراد، حاول، قصد. أمّا القصدية المتصلة بالبُعد التواصلي فهي تلتزم بإقحام المتلقي والمستقبِل في التواصل الشعري ليدرك ما خفي من مقاصد شعرية ويسهل عليه فكّ دلالاتها إذا استغلقت عليه، كما تلعب دور المؤشر في تنظيم وتوجيه المتلقي إلى إدراك مضامين وفحوى التشكيل الشعري. أما القصدية في إطارها التداولي فهي تمثل الكشف الاستراتيجي الذي يهندسه الشاعر أو المتكلم في خطابه الإبداعي، وهي أن ينسج من تراكيبه وتخييلاته شبكةً خطابية متميزة تعكس قصدية الشّاعر وتُبرز رؤاه الفكرية والثقافية، ولهذا نجده يلزم خطابه بمجموعة من الرّوابط والنصيات لمساعدة القارئ وتوجيهِه بشكل سليم في فهم دلالة النص أو تأويله تأويلا يلائم سياقه الخطابي، ومعرفة هذه المقصدية ضرورية في العملية التداولية. وفي السبيل نفسه تتعلق القصدية الحوارية بوعيٍ ونشاط حواري يتمثّله الشّاعر في خطابه الإبداعي لتصميم خطابٍ شعري تتمازج في ثناياه الثقافات المختلفة والمتلونة والتي تتداخل مع دوائره الذاتية لتنفتح على الآخر في اختلافه وغرابته.

ومن المُلفِت التنبيه إلى أن القصديات التي تحدّثنا عنها تتفاوت بين الباث والمتلقي؛ فالتي تتّصل بالأوّل تُسمى"مقصدا" (intention) والثانية يُطلَق عليها اهتماما (attention) وهذا يعني أنّ المتلقي "يمارس" أيضا نشاطاً مقصديا سواء تجاوب مع مقصدية الباث أو لم يتجاوب معها[1]. وحضور المقاصد في تحليل الخطاب الأدبي لا يقلّ أهمية عن معالجته في الخطاب العادي وهو ما عوّدتنا عليه الدراسات التداولية؛ لأنّ النزوع التواصلي في الشّعر كما في الأدب يظلّ جوهريا وفهم مقاصد الباث يمدّ جسورا لتبيّن طرائق الشاعر المتعدّدة في إبلاغ مقاصده للقرّاء.

وعليه يركّز التحليل التداولي للخطاب الأدبي في منظوراته على مبدأ التعاون والتعاضد التأويلي بين المؤلف والمؤوّل، وهو ما نروم تبيانه في صفحات هذه الرّسالة. وهو نوع من الاتفاق أو الميثاق الأدبي الذي يرتكز في توصيفاته للنّصوص الأدبية على مبادئ **بول غرايس** في تنظيم العملية

1- للتوسع في أنواع المقصديات يُنظر على سبيل المثال: بوشعيب شداق، مقصدية العمل الأدبي بين التقييد والانفتاح، مجلة علامات، مج 14، ج 54، ديسمبر 2004، ص ص 446-456.

التخاطبية ويضمن انسجامها. وقد ألحّ **دومينيك منغونو** على الحضور القويّ للميثاق الأدبي الضمني بين المؤلف والقارئ أو المؤوّل، "ميثاق على أساسه يوجّه الكاتب خطابه إلى قارئ ضمني أو مفترض يتقاسم معه معرفة خلفية ومجموعة من المراجع والمعايير والافتراضات المسبقة بالإضافة إلى التقاليد الأدبية والمعلومات التي يوفّرها الكاتب للقارئ في نصه لإنجاح العملية التواصلية. إنّ مفهوم "القارئ المتعاون" يعني أنّ تفكيكَ النص هو نشاط تعاوني لا يقف على مقاصد الكاتب بل على القرائن التي يوفّرها في النص ليساعد القارئ على فهم النص ويوجّهه إلى مفاتيحه"[1].

مبدأ التعاون القِرائي الذي طرحه **غرايس** كان كفيلاً لتعزيز آليات تأويل الخطاب الأدبي واستخلاص بنياته العميقة وكشفِ خطاطاته الذهنية بإقحام المؤول الذي يهدف عبر ما يتجنّد به من أدوات تداولية وتفسيرية إلى ملء البياضات والفراغات التي يُحدثها الخطاب الأدبي. إلى جانب تقديم تحليل تواصلي للقرائن والمعطيات الإحالية الموجودة في النص وذلك لمضاعفة الجهد في فهم المضمر (l'implicite) الذي يستتر في بطن الخطاب الشعري، مُتجاوِزاً بذلك البعد التواصلي إلى توظيف الجانب البلاغي والتخييلي وهو ما يكثّف التنظير التداولي في طرح تقنيات وإجراءات استراتيجية في فهم وتأويل ضمنيات الخطاب الأدبي. ولعل الضمني أو المضمر حظي باهتمام متزايد في التنظيرات التداوليات؛ لأنه يضاعف من الجهود التأويلية والممارسات القرائية، وهو ما تتبعه لذّة في القراءة ومتعة في التلقي جرّاء المشاركة في إنتاج الدلالة. ويُعدّ **فان دايك** من أبرز الذين مزجوا التصورات التداولية مع الخطاب الأدبي، مؤكّداً على الدّور الحيويّ والاستراتيجي الذي يلعبه القارئ كمؤوّل فاعل ومنتج فـ"بينما يبدو المؤلف حرّا في تحديد بناء ملفوظه فإنّ القارئ هو المطالب بالتعاون بالشكل الأقصى (يتعرّف على معلومة إضافية- يقدّم تفسيرات جديدة- يفترض فرضيات)"[2].

5. الخصوصية اللغوية للخطاب الأدبي:

تُحدّد التداولية رؤيتها للخطاب الأدبي على أنه قبل كل شيء عمل لغوي أو ملفوظ لساني، وعليه قد تأسّست رؤية جديدة للعمل الأدبي من زوايا الإنجاز والعملية التلفظية التي تكتنفها الحيوية والدينامية في تذبذب المعنى بتغير طرائقنا واستراتيجياتنا في تلقيه واستقباله. إلى جانب الاهتمام

1 - Dominique Maingueneau: Pragmatique pour le discours littéraire. p121.

2- فرناند هالين، التداولية، ترجمة عز الدين العوف. مجلة الآداب العالمية، منشورات وزارة الثقافة السورية، ع 125، سنة 2006، ص 73.

بشكل خاص بالمعارف الموجودة في العالم الخارجي والتي تحيط بالظّاهرة الشعرية في خِطابيتها وأثناء تفاعل القُرّاء معها، دون إغفال الشّكل التّصوري للخطاب الشعري وتمثلاته اللسانية الداخلية عبر الملفوظات الإنجازية (التي تدخل ضمن الأعمال اللغوية التي نادى بها أوستين وسيرل)؛ وهي ملفوظات لا تصف أو تمثّل حالات الأشياء والأحداث والأشخاص، وليس لها مرجع خارج العالم اللغوي في الواقع المعيش؛ فهي تحيل على المعنى التداولي للجملة وتعبّر عن استعمالها من طرف المتكلمين. وهنا نشهد إدخال بعض المتخصّصين في التداولية منجزاتها في الأعمال اللغوية والسياق والمبدأ التعاوني إلى الساحة الأدبية أمثال: فان دايك ودومينيك مانغونو وكاثرين أوريكيوني.

وبالتالي أُقحِمت الأدائية التداولية والقوّة الإنجازية في التنظير الأدبي، وفُتِحت الدعوات لتطبيق منجزات التداولية على الخطاب الأدبي والدّخول إلى العالم اللساني المنفتح على حدود ما فوق الجملة وبنياتها الكبرى، وأبعادها العملية وعلاقتها بالسياق وحيثيات الإنتاج وأبعاد التلقي والتأويل. ولا ننكر البتة غموض مقصدية الشاعر، التي تظهر عبر شبكة من الرّموز والدلالات أو المؤشّرات الغامضة، فالمقصد الجوهري يظلّ "يسير نحو المجهول، يحاول المؤول التعرف إليه بحدسه وبحواسه، لكنه لا يدركه فيظلّ مبهما بالنسبة له، إلى درجة يبدو من الطبيعي أن يأتي تعبيره عن هذه الحالة غامضا لأنه يقدم حالة داخلية، توق إلى المجهول، وهو في الوقت نفسه، يرفض أن تكون القصيدة مبهمة إلى درجة تبدو فيها كهفاً مغلقاً"[1].

وقد خصّص **فرناند هالين** فصلا من كتابه "التداولية" للنظر في الملفوظ الأدبي باعتباره عملا لغويا مقارنة بالملفوظ العادي، فتوصّل إلى أنّ له خصائص منها: أنّ الملفوظية الأدبية خلافا للملفوظية العادية التي تتعلّق بإنجاز عملية ذات مقصد محدّد تنتهي بإنجازه، تمارس قوّتها ضمن عدد غير محدّد من السياقات لدى عدد غير محدود من الأشخاص، فهي مجعولة لإعادة تحقّق لانهائي[2].

ومن هذا المنطلق ترفع المقاربة التداولية للخطاب الأدبي مستويات التّحدي أمام الجانب الوظيفي الإبلاغي للكلام أو الخطاب التركيبي، لتبحث عن المضمر الملتبس مع الجوانب البينشخصية والثقافية؛ إذ أنّ "النص الشعري، وكل نص عظيم —لاسيما إذا كان غير وظيفي وغير

1- ماجدة حمود، علاقة النقد بالإبداع الأدبي، ص: 59

2- فرناند هالين: التداولية. ص: 69.

مباشر وليس تبليغيا محدّد الرسالة– هو مرسلَة غير محدودة بزمن وبمرسل إليه وغاية مباشرة ولا بقانون مُضاف ضابط. وفي النص الشعري كل شيء رسالة، حتى لو حضر بالحدس والمصادفة وإيحاء اللاوعي"[1].

6. الخطاب الأدبي خطاب حواري:

يتداخل التّوجه الحواري[2] مع التوجه التداولي، لاشتراكهما في الخاصية التفاعلية والحجاجية للخطاب. و لا تقتصر الحوارية على الخطاب التواصلي وحده، إذ نجد لها حضورا مميزا وفاعلا داخل الخطاب الأدبي. فالحوارية ميزة مهمة لها وظائف تلفظية وحِجاجية للخطاب الإبداعي، مؤكّدة على الأهمية المقاصدية للمتكلّم وأهدافه البعيدة، فيصوغها في أساليب إبداعية بحيث لا تنفصل بنياتها الأسلوبية وتراكيبها الانزياحية عن غاياتها وأهدافها الحجاجية[3].

وبالتالي تعالج القراءة التداولية للخطاب الشعري بالفحص والتدقيق تلك الأساليب الحجاجية في معانيها البلاغية الجديدة وأساليب عرضها للحجج والمواقف الشخصية أو الرؤى الفكرية، وإبانة أوجه القوّة والتأثير على المتلقي؛ أي الكشف عن الاستراتيجيات الخطابية التي تهدف إلى الإقناع واستمالة النُّفوس عبر شبكةٍ من الروابط والقرائن اللسانية التي يُسَخّرها المؤلف. وعليه فإنّ "ترابط الأقوال لا يستند إلى قواعد الاستدلال المنطقي وإنما هو ترابط حجاجي؛ لأنه مسجّل في أبنية اللغة بصفته علاقات توجّه القول وجهة دون أخرى وتفرض ربطه بقول دون آخر"[4].

ومن أبرز الأشكال الحجاجية التي تضطلع التداولية إلى كشفها داخل الخطاب الأدبي هي الاقتضاء (présupposé) والكشف عن افتراضات مسبقة تُعدّ مبدأً إحاليا مهما لفهم مُضمرات

1– خالدة سعيد، فيض المعنى، ص: 19.

2- لم يتضح مفهوم الحوارية في الحجاج لم يتضح بشكل كاف إلا مع التداولية المدمجة التي أرسى دعائمها كل من أ. ديكرو (O. Ducrot) وج. ك. أنسكومبر (J. C. Anscombre) وهي اتجاه حديث في الحجاج يقوم على دمج الدلالة (المكوّن اللغوي) والتداولية (المكوّن البلاغي) واعتبار الحجاج ماثلا في اللغة نفسها ومحكوما بشروطها وقيودها.

3– عبد الله صوله، الحجاج: أطره ومنطلقاته وتقنياته من خلال مصنّف في الحجاج – الخطابة الجديدة لبرلمان وتيتيكان، ضمن كتاب: أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم، إعداد فريق البحث في البلاغة والحِجاج، إشراف: حمّادي صمّود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ط، د.ت، ص: 317.

4– شكري المبخوت، نظرية الحجاج في اللغة، ضمن: أهم نظريات الحجاج، ص: 352.

النصوص، وهي تيسّر توجيه المؤوّل إلى المقاصد والنوايا التي يرمي إليها المتكلم وإدخال القارئ في عالم اعتقاداته، كما أنّ الروابط الحجاجية (connecteurs argumentatifs) تلعب دورا مهمّا في تحقيق الترابط والتلاحم والانسجام الذي يقوم عليه التوجيه الحجاجي باعتباره عملا منظما يتمّ وفق سلّميات ومبادئ.

وما الاهتمام بالجانب الحجاجي وفاعليته في الفضاء الأدبي إلاّ إقرارا بأهمية الحوارية التي يرتكز عليه أيّ ملفوظ أدبي[1]، فالحوارية هي من أهم مظاهر التلفظ والإنجازية التداولية، كما يرى باختين أنّ "كلّ خطاب هو خطاب حواري موجّه إلى شخص قادر على فهمه والإجابة عليه إجابة حقيقية أو افتراضية"[2].

وتسعى الحوارية إلى تطبيق الأصوات المتعددة في تحليلاتها، لا لتقف على صوت المؤلف وحده، بل لتتجاوز هذه التفاعلية أيضا الصوت الحاضر للمؤلف وتعتني بأصوات أخرى غائبة لقُرّاء مؤجّلين، فلا يمكننا إقصاء الآخر من عملية التأويل وإشراكه في نشاط القراءة، فكل تلفُّظ للمبدع يتداخل ويتفاعل مع أصوات وتلفّظات أخرى لإنشاءِ جُسور الوصل بين الأنا والآخر؛ فكلّ نصّ هو امتصاص لنصّ آخر أو تحويل له فحسب بل لأنّه "من المستحيل على أيّ فرد من أفراد المجموعة اللغوية أن يجد كلمات محايدة تماما ومجرّدة من أيّ أثر من آثار الاستعمال، وغير مسكونة بصوت الآخر. إنّ الكلمة تظل ممتلئة، تتدخّل في سياق المتكلم الخاص انطلاقا من سياق آخر، وتقحم مقاصده"[3].

هناك نوع من التفاعلية والبين-ذاتية والتداولية-الحوارية في الخطاب الشعري، تدفعنا دفعا إلى دراسته وتحليله حواريا، وقرائته بأدوات تحليلية لسانية تداولية. وعليه تحتلّ الحوارية في دراسة النصوص الشعرية موقعا محظيا بامتياز "ذلك أن فيه وعبره، دون سواه، تستقيم جدلية الذات بالآخر على أرفع مستويات تحقّقها. فخِلافا للنصوص الأخرى، بدءا من النصوص الشعرية المختلفة وصولا إلى النصوص الإعلانية، ومرورا بذلك الزخم الواسع من النصوص التي تؤلّف الفضاء الثقافي العام، المتزامن

1 - D. Maingueneau : Pragmatique pour le discours littéraire. P 18.
2 - . Todorov: Mickhail Bakhtine, le principe dialogique. Éd. Seuil, 1981. p 298.
3 - Dialogisme et polyphonie, approches linguistiques. Actes du colloque de Ceristy, De Boeck , Duculot, 2005, p: 77.

والمتعاقب، والمعاصر والموروث، يبرز نصّ البحث الشعري على أنّه، النص التفاعلي بامتياز[1]. تقوم بينهما علاقة جدلية إيجابية يسعى كل منهما للإجابة عن أسئلة الآخر بقدر ما يجيب عن أسئلته الخاصة فيما هو يطرح على الآخر أسئلة مختلفة.

1- سامي سويدان، في النص الشعري العربي: مقاربات منهجية، ص: 9.

الباب الأوّل:

المقصدية بين الإطَارَيْنِ المعرفِيّ والتّداوُلِيّ

- الفـــصل الأول: المقصدية: ضبط المفاهيم والتصوّرات.
- الفصل الثاني: الآليات التداولية في فهمِ المقصديّة.

إنَّ الأهمية القصوى للوظيفة التواصلية والتفاعلية للغة البشرية جعلت من هذه الأخيرة لا تحيد عن دائرة الاستعمال (L'usage)، وهو ما انتصرت إليه التَّداوُليَّة (La pragmatique). فالتيار التداولي يدرس الأبعاد العملية والإنجازية للغة، أو التواصلية والاستعمالية للّسان[1]. وأصل "التَّداوُليَّة" في اللغة العربية مُشتقّ من الفعل "تداول" بمعنى تناقل ودار بين الناس، ومفهوما "النقل" و"الدّوران" يدُلاَّن في استخدامهما اللّغوي على معنى النّقلة والتّواصل والتّفاعل[2]؛ وهما مستعملان في نطاق اللغة الملفوظة وفي نطاق التجربة المحسوسة، فيُقال: "نقل الكلام عن قائله" بمعنى رواه عنه، كما يُقال "نقل الشيء عن موضعه" أي حرّكه منه؛ ويُقال "دار على الألسن" بمعنى جرى عليها، كما يُقال: "دار على الشيء" بمعنى طاف حوله؛ ويُستنتج من معنى فعل "التداول" أن يكون القول موصولا بالفعل.

تنكبُّ التداولية إذن على دراسة الجوانب التَّواصلية والذَّاتية للخطاب وِفقًا للسياق الذي وُجِد فيه وزمان ومكان التَّخاطب، كما تهتم بنوعية العلاقة الاجتماعية التي تجمع بين المتكلم والمخاطب، والتي تُبثّ عبر وسائل الاتصال، فيُنجز المتكلم أفعاله الكلامية لأجل الإخبار أو الأمر أو الوعد أو القسم أو الإقناع أو التأثير حتّى تتَّضح المقاصد التي ينوي إيصالها للمخاطَب.

وبهذا لا تحيد التداولية عن دراسة الدلالة والمعنى، موظِّفة في ذلك آليات المنطق والفلسفة اللغوية لتحديد معنى القول وأسبابه وقصديته وتقديم تقنيات وآليات لفهمه وتأويله[3]. بعبارة أخرى، أولت التداوليات (Pragmatics) اهتماما بالنوايا وطرائق إيصال مضامين الخطاب، وذلك بفهم المقاصد وإفهامها. و يُقبِل المُتواصِل (الفاعل التواصلي) على اختيار أساليب وطرق للكلام ابتغاءَ إيصال المقاصد[4].

---

[1]- Voir: Catherine Kerbrat-Orecchioni, *"L'énonciation : de la subjectivité dans le langage"*, Librairie Armand Colin, Paris, 1980, p: 185.

[2] – يُنظر: طه عبد الرحمن، "تجديد المنهج في تقويم التراث"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط2، 1996، ص: 244. ويُنظر: أحمد مطلوب، "معجم النقد العربي القديم"، ج1 (أ–ذ)، دار الشؤون الثقافية، العامة، بغداد، 1989، ص: 316.

[3] – يُنظر: ألفة يوسف، "تعدد المعنى في القرآن: بحث في أسس تعدد المعنى في اللغة من خلال تفاسير القرآن"، دار سحر للنشر،كلية الآداب، منوبة، تونس، ط2، د.ت، ص: 12.

[4] – وهو ما تحدث عنه يورغان هابرماس في كتابه"**منطق العلوم الاجتماعية**". يُنظر: محمد نور الدين أفاية، "الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة"، أفريقا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، و بيروت، لبنان، ط2، 1998، ص: 197.

تتقاطع فلسفة اللغة والتداولية والعلوم المعرفية وعلم النفس وغيرها في دراسة مبحث المقصدية. و يأتي هذا الأخير على قدرٍ كبير من الأهمية؛ فالمقاصد تُمَثِّلُ جوهرَ التواصل؛ فلا وجود لأيّ تواصل عن طريق العلامات دون وجود قصدية وراء الفعل التواصلي. و يُشير المشتركون في الخطاب عادة إلى السؤال التالي: ماذا تقصد بخطابك؟ ماذا يعني كلامك؟ وتجنبا لهذا السؤال المفترض يلجأ طَرَفَا الخطاب إلى تحديد المقاصد من الألفاظ والمفاهيم والعبارات مسبقا، خصوصا عند سَنِّ القوانين أو الأنظمة وكذلك في المناقشة والحِجاج، وذلك لينطلقوا من قاعدة واحدة، فتكون مرجعا لهم عند الاختلاف. بل قد يستعملها أيّ منهما حجة ضد الطرف الآخر، وذلك عند الاختلاف أو محاولة التّملص[1].

ونُسلّط الضّوء في الصّفحات التّالية على منزلة القصد وأهميته في مباحث المعنى والدلالة وفلسفة اللغة والتداولية. فما هي المقصدية وما مفهوم القصد؟ وكيف تدرس التداولية، هذه المقاربة الحديثة العهد، ذلك الرّكن التواصلي المهم في الخطاب؟ وكيف يفهمه المتلقي؟ وما هي الآليات المنطقية واللغوية التي يعتدّ بها لتحليل وتأويل ما استشكل عليه؟

1- مفهوم المقصدية:

يُعدّ القصد أمرًا نفسيًّا غير منطوق، وهو في ذلك مثل الدلالة؛ و يُحولّه المتلفظ إلى ملفوظات (Les énoncés)؛ فالمقاصد مثل سائر الحالات الشعورية الأخرى كالمعتقدات والرغبات والآمال والمخاوف والحب والكره والفخر والعار...الخ . والاسم التقني للفرع الذي يبحث في القصد هو "القصدية Intentionnalité". ويُعرّفها **جون سيرل** في قوله: "القصدية هي سِمَة العقل التي تُوجَّه بها الحالات العقلية أو تتعلق بها حالات عقلية أو تُشير إليها، أو تهدف نحوها في العالم. ومما يُميز هذه السِّمة أنَّ الشيء لا يحتاج أن يوجد فعليا لكي تمثله حالتنا الشعورية. هكذا يمكن للطفل أن يعتقد أن سانتا كلوز سيأتي بالهدايا مساء عيد الميلاد، و إن كان سانتا كلوز لا يُوجد"[2].

[1] – يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية"، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004، ص: 184.

[2] – جون سيرل، "العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي"، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2006، ص: 102، و محمد مفتاح، "تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، و بيروت، لبنان، ط3، 1992. ص: 166.

واكتسب القصد الذهني في الفلسفة[1] ثلاثة معان مختلفة:

- العلاقة النفسية القائمة بين الوعي والموضوع الموجود.
- العلاقة المتعالية (**هوسرل**): الوعي يتعالى على ذاته ويخلقها بخلق معنى موضوعه.
- دلالة مثالية: يرتبط بالعلاقة الأنطولوجية للذهن، فهذا الأخير يتخذ الوعي في حد ذاته كمبدع للعالم أو كمبدأ لتأسيس الواقع، ونموذجه هو"أ. فينيك"[2].

وقد سقط مصطلح القصد من التّداول في اللغة الفلسفية، ماعدا استعماله في التفريق التاريخي بين المقاصد الأولى والمقاصد الثانية[3]؛ فعند الفلاسفة السوكولائيين هو: "اتجاه الذهن نحو موضوع معين، وإدراكه له مباشرة يسمى القصد الأول (L'intention première)، وتفكيره في هذا الإدراك يسمى القصد الثاني (L'intention seconde)"[4]. لكن بعد ذلك استرجعه الفلاسفة الألمان الذين يتعلقون بمذهب **برنتانو** (Brentano) وجرى تجديد استعمالها بتوسع في الفنومينولوجيا عند **هسرل**[5]، ويُراد به تركيز الوعي على بعض الظواهر النفسية من إحساس وتخيُّل وتذكُّر. وكذلك استُعمل بهذا المعنى عند الوجوديين[6].

---

[1] – تمت معالجة مسألة **المقصد** في بوادرها الفلسفية الأولى في الفلسفة الأخلاقية؛ إذ هي قضية الاستعلام عمّا إذا كان ينبغي، للحكم على القيمة الأخلاقية لعمل ما، أن تؤخذ في الاعتبار فقط النية التي أملت القيام به (نية أخلاقية محض صورية Formelle)، أو عمّا إذا كان ينبغي أيضا أن تؤخذ في الحسبان المؤثرات الناجمة عن هذا العمل وعن طابعها الخاص. يُنظر: أندريه لالاند، "موسوعة لالاند الفلسفية"، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ج1، ط2، 2001، ص: 692.

[2] – بوشعيب شداق، "مقصدية العمل الأدبي: بين التقييد والانفتاح"، مجلة "علامات"، إصدار النادي الأدبي الثقافي، جِدّة، المملكة السعودية، ج54، م14، ديسمبر 2004، ص: 446 و447.

[3] – فالمقصد الأول الصوري هو: مثلا إدراك إنسان، فكرة صنف من الكائنات بلا تأمل في فعاليته الخاصة به. أو هو **الموضوع** أو حتى الكون ذاته الذي نفكر به. و المقصد الثاني الصوري هو: **الفكرة**، لا **الموضوع** فكرة المقصد الأول الذي ينطبق عليه، التفكير في الموضوع الفكري بوصفه مفكرا به.

[4] – "المعجم الفلسفي"، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983. ص: 147، وجميل صليبا، "المعجم الفلسفي"، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982، ص: 194.

[5] – يُنظر: يحيى رمضان، "القراءة في الخطاب الأصولي: الإستراتيجية والإجراء"، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2007. ص: 142، و محمد عناني، "المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم انجليزي–عربي"، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط2، 1997، ص ص: 157–158.

[6] – يُنظر: "المعجم الفلسفي"، مجمع اللغة العربية، ص: 147، ويُنظر: إ. م. بوشنسكي، "الفلسفة المعاصرة في أوروبا"، ترجمة: عزّت قرني، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 165، سبتمبر 1992، ص: 187.

و يُعرِّف **لالاند** القصد بالنية (Intention) والمقصد إرادة[1] يعمل فيها الفكر لغاية موضوع معرفي ما يجب تبليغه[2]، وبمعنى آخر: المقاصد هي المحتوى الفكري بالذات ينكبُّ الفكر عليه. والقصد عند **جميل صليبا** هو: " توجُّه النفس إلى الشيء أو انبعاثها نحو ما تراه موافقا، وهو مرادف للنية. وأكثر استعماله في التعبير عن التوجه الإرادي أو العملي..."[3]. ويرى **بول ريكور** أن الفعل الأوّل للوعي هو المعنى (Meinen)، والقصدية (Intentionality) هي فعل تحديد هذا المعنى بالعلامة (Signe) التي تتوسط علاقة الوعي بالأشياء[4]. ولقد ربط **ريكور** بين قصدية الوعي ورمزية الكتاب المقدّس ليصل بهذا الربط إلى معنى أعمق للأشياء على نحو ما هي عليه بالفعل[5].

تنشَقُّ دلالة المقصد إلى شقين: أوّل، هو: نية الإقدام على أمر ما، وثانٍ: غاية مرادٌ تبيلغها:

فالدلالة الأولى للقصد هي النية[6] أو التصميم على القيام بشيء ما، مع مواجهة عقبات يُمكنها يُمكنها جعل هذا العمل مستحيلا أو غير مناسب[7] (مقصد – مشروع). مثلا في قولنا: "**كان ديكارت ينوي وضع رسالة في العالم**".

والدلالة الثانية: هي غاية أو هدف يرمي المرء إلى بلوغها؛ أي علّة[8] عمل ما، مثلا: **السَّفر بقصد التَّعلم**. ويغلب القصد الآن على كل ما يتّصل بالعمل الإرادي من حيث العزمُ عليه أو تحديد هدفه، ويكون هذا القصد الدال على التوجه الإرادي:

- إما مشروعا (Intention - projet)؛ أي يدلّ على مجرد العزم على الفعل والانبعاث نحوه.
- وإما هدفا (Intention - but)؛ أي يدلّ على الغاية التي من أجلها حصل التوجه.

[1] – لا يتحدد المقصد في الأخلاق الصورية بالهدف بل بالتطابق مع القانون، لكن وجب التمييز بين المقصد كإرادة تقيَّد بقاعدة، والمقصد كإرادة لبلوغ غاية.

[2] – أندريه لالاند، "موسوعة لالاند الفلسفية"، ترجمة: خليل أحمد خليل، ص: 691.

[3] – "المعجم الفلسفي"، الجزء الثاني، ص: 193.

[4] – كان دائم البحث عن الفعل الأول للوعي، وعن المعنى الأساسي الذي يغدو بمثابة الحقيقة الكامنة وراء الظواهر.

[5] – يُنظر: إديث كريزويل، "عصر البنيوية:"، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992، ص: 138.

[6] – يسميها باسكال باللفظ الضميري.

[7] – فالنية موقف فكري يُحتجّ به للقيام بعمل ما بحيث لا يُنظر إليه إلا من زاويته الحسنة. " يكمن توجه النية في نية صنعية وكاذبة تخفي النية الحقيقية".

[8] – العلة هنا بمعنى: المقصد أو الهدف.

فالنجار مثلا يقصد صنع خزانة جميلة (وهذا مشروع) أو يقصد مع ذلك أن يشتهر ويكتسب ثقة الناس (وهذا هدف)[1].

2- المقصدية واللغة الإنسانية:

إنّ اللّغة **قصدية**؛ فالخطاب لا يأخذ قيمته إلا ضمن العملية التفاعلية بين المتكلم والمخاطب، فلا بد أن يكون القصد جليا وواضحا. والمقاصد هي المنطلقات الشخصية للمتحدّثين، فهي نوايا القائلين. وبهذه الكيفية نتمكن من وصف الفعل الكلامي بأنه قصدي متى كان قصد المتكلم هو جعل المخاطب يتعرف على شيئين على الأقل:

1- قصده التواصلي: قصد أن المخاطب يعرف قصد المتكلم في بناء فعل تواصلي.

2- قصده التكلّمي: قصد أن المخاطب يعرف الهدف من الفعل التكلمي، وأن تعرفه عليه يتم بالتلفظ بهذا الفعل[2].

فمثلا الملاحِظ لقول من قبيل **"أعِدُك بأن أحضُر غدا"** فإنه يقصد في مقام أول **"الوعد بأن يحضر غدا"**، ويُحقق بفعل **مواضعة** تُحدّد معنى هذه الجملة؛ فإن للقائل نيّة الوعد بالحضور غدا، ويُحقِّق هذه النيَة بإنتاج جملة **"أعدك بأن أحضُر غدا"**؛ لأنّه ينوي وهو يتلفّظ بهذه الجملة أن يُبلّغ مُخاطبه بقصده: الوعد بأن يحضر غدا لما للمتلقّي من معرفة بالقواعد؛ ولقائل هذه الجملة مقصد مزدوج[3]:

- أوّله: إبلاغ فحوى هذه الجملة.
- وثانيه: الإعلام بهذا المقصد الأول بموجب قواعد تواضُعيّة تتحكّم في تأويل هذه الجملة في اللغة المشتركة.

والمقاصد عموما هي الأرضية التي تُبنَى فوقها الخطابات العادية منها والفنية؛ إذ يقف المقصد وراء كل نظم يُقْدِم عليه الإنسان، يقول عالم البلاغة العربي **عبد القاهر الجرجاني**: "وجملة الأمر أن

[1] – يُنظر: جميل صليبا، "المعجم الفلسفي"، الجزء الثاني، ص: 193.

[2] – يُنظر: حسان الباهي، "الحوار ومنهجية التفكير النقدي"، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2004، ص: 51.

[3] – يُنظر: الجيلالي دلاش، "مدخل إلى اللسانيات التداولية"، ترجمة:محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص33.

الخبر وجميع الكلام معانٍ يُنشئها الإنسان في نفسه ويصرفها في فكره، ويناجي بها قلبه ويراجع فيها عقله، وتوصف بأنها مقاصد وأغراض"[1]. إذن، تتعزّز سلطة المتكلم في مقصديته؛ لأنه هو الذي يُحدّد معاني كلامه سلفا، ويترتب عن هذا منطقيا أن المتلقي ليس له أيّ دور في مسألة إضفاء المعنى على الألفاظ؛ لأنها وليدة معانٍ مسئولة عن تمظهرها سابقا، وما على القارئ إلاَّ أن يبحث عنها من خلال الألفاظ ذاتها أو أن يجتهد لبلوغها إذا كانت مستترة وراء ألفاظها[2].

من هنا تتبوَّأ "المقاصد" في التداولية منزلة محورية؛ إذْ تُحدد المقاصد شروط نجاحِ تأويلِ ملفوظ ما[3]. في كل تأويل ثمة اختيار "إستراتيجية المؤول"، وثمة موقف ضمني يتخذه المؤول من الخطاب ، ولذلك ينبغي أن لا يُنظر إلى المعنى المباشر أو المعنى القولي بقدر ما ننظر إلى المنطق الخفي الذي يقف وراء التأويلات ونكشف عن "منطق ما لم ينطق به" المتأولون[4].

تبعا لهذا الكلام، ففهم الخطاب متوقّفٌ على عوامل عدة منها أن يفهم المتلقي **قصد المتكلم** فيتوقف على كفايته التحصيلية وعلى كفاية المتكلم من الوجهة التّدليلية والتبليغية. فالمخاطَب يسعى بعد إنهاء الفعل الكلامي إلى إعادة بناء قصد المتكلم عبر تأويل كلامه. وبالتالي يمكن أن ينجح في ذلك أو يخفق وفقا لفهمه لمقاصد المتكلم. مما يدلّ على أنّ المعنى لا يتوقف على الملفوظ وحده بل على قدرة المخاطب على استخراجه مما قيل عبر عملية إعادة بناء تقوم على التفسير والفهم والتأويل[5].

ويؤثّر القصد **بمعنى إرادة فعل الشيء** في الحكم على الفعل نفسه، فتُصبح الأفعال تابعة للمقاصد الباطنة لدى فاعلها لا تابعة لشكلها الظاهري فقط. وذلك مثل بعض الأفعال المتعلقة بعقد القران، أو إبرام عقود البيع...الخ. ويلعب القصد دورا حاسما في حقلي الدلالة والسيميولوجيا؛ إذْ من

---

[1] – "دلائل الإعجاز"، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978، ص: 44.

[2] – يُنظر: حميد لحمداني، "القراءة وتوليد الدلالة: تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2003. ص: 107.

[3] - Voir: Anne REBOUL et Jaques MOESCHLER, *Pragmatique du discours: de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours,* Armand Colin, Paris, France, 1998, p: 47.

[4] – يُنظر: علي حرب، "التأويل والحقيقة: قراءات تأويلية في الثقافة العربية"، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص: 191، ويُنظر: يحيى رمضان، "القراءة في الخطاب الأصولي: الإستراتيجية والإجراء"، ص: 128.

[5] – يُنظر: حسان الباهي، "الحوار ومنهجية التفكير النقدي"، ص: 50.

الضرورة ارتباط القصد بالعلامة (الدليل) عند الاستعمال أو التواصل، لينجح المرسل في خطابه. ومنه، يضطلع القصد بدور في تصنيف هذه العلامات. فالباحثون يفرقون بين العلامات ذات الدلالة الطبيعية والعلامات ذات الدلالة المقصودة[1]؛ فالعلامات ذات **المعنى الطبيعي** رغم كونها تحمل معنى، إلاَّ أن القصد لا يتدخل في تحديده مثل علامة الدخان التي تدل على وجود النار؛ حيث أن موقد النار لم ينتج تلك العلامة، وبالتالي فإن قصده ينتفي. وعليه فإن كلاًّ منهما لا يستوجب وصفه بالمرسل؛ إذْ لا يوجد هنا خطاب يتطلب مرسِلا. وهذه العلامات هي ما اصطلح عليه بعض السيميائيين بالمؤشر (index)[2]. وهناك صِنف من العلامات لا يتحدَّد معناه إلا من خلال قصد المرسل، مثل الرمز (Symbole)[3]؛ لذلك يذهب أنصار سيمياء التواصل[4] إلى أن العلامة تتكون من وحدة ثلاثية المبنى: الدال والمدلول والقصد. وما الخطاب اللغوي إلاَّ علامة تنطوي عليها مقاصد المتكلم.

3- المقصدية ونظرية أفعال الكلام التداولية:

تدرس التداولية الطُّرق التي تتجلَّى بها المقاصد في الخطاب، وقد أماطت نظرية أفعال الكلام التداولية[5] (Speech acts) اللِّثام عن دور المقاصد في الممارسة اللغوية وبُعدها التفاعلي والتواصلي؛ حيث الفعل الكلامي سلوك مقصود. فعندما تتلفّظ يعني أنك تفعل؛ هذا هو جوهر نظرية الفعل الكلامي، والفعل اللغوي فعل ينتج عن تحقيق وإنجاز الحدث (L'action) وهو فعل قصدي (Intentionnelle) وخاضع للاصطلاح والتعاقد الاجتماعي (Conventionnelle) وناجم عن طبيعة سياقية ومقامية (Cotextuelle et contextuelle) أي أن "الفعل يُمثّل الوحدة الأولية

---

[1] – وهو ما يصنفه غرايس إلى المعنى الطبيعي والمعنى غير الطبيعي إجمالا.

[2] -Voir: Jean Dubois et autres, *"Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage"*, Larousse, paris, France, 1994, p p: 244 et 245.

[3] - Ibid, p p: 460 et 461.

[4] – لعل أبرز روّاد هذا الاتجاه : بويسنس، و مارتينيه، وبريتو، ومونان، وجرايس، وأوستين، وفتجنشتاين.

[5] – ألقى أوستن عدداً من المحاضرات في أكسفورد مابين عامي 1952 و1954 ثم ألقى اثنتي عشرة محاضرة في هارفارد في عام 1955، وجاءت تحت عنوان "محاضرات وليام جايمس"، نُشِرت بُعيد وفاته سنة 1962 في كتاب غني عن التعريف *"How to do things with words"*. وكان يهدف من ورائها إلى وضع أسس الفلسفة التحليلية الأنجلوساكسونية في تلك الحقبة موضع سؤال، وهو أساس مفاده أنَّ اللغة تهدف خاصة إلى وصف الواقع.

لكل تفكير تصوّري، حيث اللغة تُستعمل لتمثيل الفكر، فإنه لا وجود للملفوظ إلاّ وهو تجسيد لإنجاز الفعل"[1].

وهذا الفعل يُمثل الممارسة اللغوية والتفاعل التواصلي، وهو كلام يُنتجه المتكلم الذي يُنظم ما هو جاهز داخل قدرته التواصلية انسجاما مع نظام العلاقات الاجتماعية، فأضحى المعنى يُعبّر عن أفكار وأحاسيس المُتخاطبين؛ أي مقاصدهم. وفي هذا الشأن يقول **جون سيرل**: "المعنى هو شكل قصدية..تتحوَّل إلى كلمات وجمل ..ورموز إذا ما أُحسِن النطق بهذه الكلمات والجمل؛ بحيث تكون ذات معنى، فإنها تنطوي على قصدية مشتقة من أفكار المتكلم. فهي لا تنطوي على مجرد معنى لغوي تقليدي فحسب، بل على معنى يقصده المتكلم أيضا...فالمتكلم حين يؤدي فعلا كلاميا فإنه يفرض قصديته على هذه العلامات والرموز"[2].

ويتوقَّف إدراك المقاصد عموما على مدى انسجام المتكلم مع السياق التّحادثي، وعلى مدى انتباه المخاطَب لهذا الانسجام. وركَّز فلاسفة اللغة على الطُّرق التي يبحث عنها المرسِل لنقل المقاصد؛ ف**الخطاب لا يقع إلا بقصد قَاصِد وإرادة مُريد** وذلك بكل من الوسائل التعبيرية والغرضية[3]؛ فأوستين وسيرل جَعَلاَ المقاصد مركزا في التفريق بين:

- المعنى التعبيري أو الفعل القولي [معنى الكلمات في الملفوظ].
- و قوة الأفعال الغرضية [أي النتيجة التي يقصد المرسل نقلها][4].

والقصد الاتصالي عند **أوستين** يهتَمّ بالفعل الدلالي، حيث تُترجم المقاصد إلى أعمال لغوية (أي جمل) خاضعة للتواصل. ويرى أن غايات المقاصد ذاتية، وهي استدعاء فهم المخاطَب وإبلاغه شيئا ما، وله غرض خاص وراء هذا الاتصال[5]: - "فالأب حين يقول لابنه: **"أغلق النافذة"** لا

[1] - فان دايك، "النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2000، ص: 227.

[2] - جون سيرل، "العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي"، ص: 207 و208.

[3] - يجب أن ندرك أن فهم مقاصد الآخرين شيء مركزي لنجاح التخطيط في التفاعل.

[4] - Voir: Catherine Kerbrat-Orecchioni, "*Les actes de langage dans le discours : Théorie et fonctionnement*", édition Nathan université, Paris, 2001, p p: 8, 9 et 10.

[5] - Voir: François RECANATI, "*Le développement de la pragmatique*", in "Langue française", année 1979, volume 42, numéro° 1, p: 06.

يستوفي الأب الغرض الخاص من قوله بمجرد فهم الابن كلامه، بل على هذا الأخير أن يُنجِز الفعل المطلوب، فالغرض من هذا **الفعل** أي القول الطَّلبي: هو تحقيق الفعل الموافق من قبل المطلوب منه، وثمة غرض مُختلف يُقصد مثلا من إبرام صيغة العقد، فعندما يُعلن البائع للمُشتري "بِعتُك هذا العقار"، لاشك أنّه بهذا القول لا يكتفي بإبلاغ المشتري ذلك، لا بُدّ له أن يتصرّف على أن العقار لم يعُد له"[1]: فجعل الابن يُغلق النافذة هو غرض فعل الأمر، أما التَّنازل عن الملكية فهو غرض فعل الإعلان أو التصريح.

و طوّر جون سيرل (John Rogers Searle) نظرية أستاذه أوستين خاصة على صعيد المقاصد والمواضعات. فنظرية الأعمال اللغوية تُقر بوجود الحالات الذهنية؛ لأنها تدرُس بشكل خاص المقاصد[2]؛ حيث تُترجم هذه الأخيرة إلى أعمال لغوية (أي جمل) خاضعة للتواصل[3]؛ وللمقاصد أهمية قُصوى في إنجاز الأفعال عند سيرل[4]

وحاول بول غرايس (Paul Grice) تقديم مفاهيم أكثر اتّساعًا من مفاهيم أوستين وسيرل؛ حيث اقترح مفاهيم تنظيميّة للتواصل منها أنه مؤسس "مبدأ التعاون" داخل التبادل التعاوني حول مقاصد المشاركين، وهذه المقاصد ليست في الواقع صريحة بين أطراف التواصل والتبادل، "والحال أنها عبارة عن عناصر خفية، تعتمد في شكل اتفاق ضمني من قبل المتخاطبين الذين يسهرون على مجرى التواصل الحسن بموجب لُعبة ذكية من الاستنتاجات"[5].

---

[1] – عادل فاخوري، "تيارات في السيمياء"، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990، ص: 97.

[2] – يُنظر: طالب سيد هاشم الطبطبائي، "نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب"، منشورات جامعة الكويت، ط1، 1994. ص: 13.

[3] - Voir: Anne REBOUL et Jacques MOESCHLER, "*Dictionnaire encyclopédique de pragmatique*", Editions du Seuil, Paris. , France, 1994 p: 44.

[4] – أعطى سيرل أهمية لمنطلقات المتكلم (مقاصده) فالوصف مثلا يختلف عن التجربة الفردية عند الكاتب، فيعتمد وصفَ الحديث عن الحُرية أو الحُبّ أو الظُّلم على التجربة التي تعتمد بدورها على كمٍّ معرفي يتوفّر لأيّ كائن بشري: فكل من الذَّات الجمعية والفردية لهما معايير خاصة في تحديدها تختلف من بيئة إلى أخرى، ومن فرد إلى آخر في البيئة نفسها، وهو ما ينأى أخيرا يُجدّد الوصف عن تجربة الواقع، وتجعل الاختلاف ليس نفسيا فقط بل يتساوى فيه البشر بشكل عام، باختلاف بسيط يتعلّق بالكم المعرفي بل اجتماعيا وثقافيا أيضا.

[5] – حفناوي بعلي، "الشعريات والتداوليات: مقاربة في المفاهيم و الأقانيم وجماليات التلقي"، مجلة التبيين، العدد 23، ديسمبر2004، إصدار جمعية الجاحظية، الجزائر، ص57.

وللنوايا حُضور طاغٍ على التحليل التّحادثي أو الحواري (L'analyse conversationnelle) الذي جاء به غرايس[1]. والعناية بالقصد يقع في صلب نظريته التداولية عن المحادثة، عندما افترضَ أن هناك مبدأ عامًّا يؤسس لتفاعل طرفيْ الخطاب تفاعلا ناجحا، وهو مبدأ التعاون[2]. وحديثه عن القصد والمقاصد[3] كان في ثنايا بحثه عن الدلالة غير الطبيعية، والنّوايا هي التي تدفعنا إلى تكوين جملة أو قول "فذلك يعني أن القائل كان ينوي وهو يتلفّظ بهذه الجملة إيقاع التأثير في المستمع بفضل فهم هذا المخاطب لنيته"[4]، وجاء اهتمام **جرايس** بالمقاصد في ثنايا درسه الدلالات الطبيعية، فكل حدث سواء أكان لغويا أم غير لغوي إمَّا أن يكون محتويا على نية الدلالة أو لا[5]:

- تراكم الغمام يدل على أن السماء قد تمطر.
- احمرار وجنتي العذراء يدل على خجلها.

⟸ لهما دلالة وليس وراءهما قصد.

أما قولنا:

- اقرأ
- أغلق الباب

⟸ فيتحكّم فيهما قصد.

والمقاصد في الفكر الغرايسي ثلاثة أنواع[6]:

---

[1] - Voir: Anne REBOUL et Jacques MOESCHLER, "*Dictionnaire encyclopédique de pragmatique*", p: 171.

[2] - Voir: Anne REBOUL et Jaques MOESCHLER, *"Pragmatique du discours: de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours "*, p: 47.

[3] - ويسمِّي **بول جرايس** القصدَ معنى المتكلم. يُعبّر المرسِل، عند **جرايس**، عن قصده بما يستجيب للقواعد التخاطبية تارة، وبخرقها أو تجاهلها تارة أخرى.

[4] – يُنظر: دومينيك مانغونو، "المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب"، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008ص ص: 9 و71.

[5] -Voir: Jacques MOESCHLER et Antoine AUCHLIN, "*Introduction à la linguistique contemporaine*", Armand colin, Paris, 2000, p: 189.

[6] – يُنظر: محمد مفتاح، "تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص"، ص: 164.

ولتوضيح هذا؛ فالفعل الكلامي "اقرأ" يُلبّي مقصدا أوليا يتجلَّى في رغبة سماع القراءة، والمأمور "المتلقي" يعترف برغبة المرسل في سماع القراءة "مقصد ثانوي" ويريد المرسل "الأمر" أنْ ينتج عنه تلبية (غالبا) أو رفض (قليلا) (مقصد ثلاثي).

يرى غرايس بأن في وُسع الناس متابعة الأهداف الضمنية من خلال تضمينات المحادثة؛ أي بقولهم شيئا يتضمن اعتقادا أو طلبا ما، غير أن هذه الفكرة ما تزال غامضة وعاجزة عن أن تعكس الأهمية الكاملة لأهداف المقال[1]. وتتَّسِمُ **المقاصد** في الخطاب بالإضمار والخفاء والسّتر والضِّمنية، وهو ما يسميه بول غرايس بـ"التضمين في الخطاب غير الحرفي"؛ حيث تكون معاني الخطاب ودلالاته التي يرمي إليها المبدع قبل النطق في حكم النية المبطَّنة لا يعلمها بشر، وهي ليست بوجود[2]. ويتضح هذا في مثال من قبيل:

– أتذهب معي لمشاهدة الفيلم في دور العرض؟
– الجو بارد، لديّ ارتباط مسبق، سأنتظر مشاهدته على شاشة التلفاز.

[1] – يُنظر: روبرت دي بوجراند وفولفانغ دريسلر، "مدخل إلى علم لغة النص"، ترجمة: الهام أبو غزالة، و علي خليل حمد، مركز نابلس للكمبيوتر، ط1، 1992. ص: 168.

[2] – يُنظر: عبد الله الغذامي، "المشاكلة والاختلاف: قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في التشبيه المختلف"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 1994، ص: 26.

كل هذه الردود، يُعبِّر بها المرسَل إليه عن قصد واحد هو: أعتذر عن الذهاب أو لن أذهب.

4- كيف نفهم المقاصد؟

يرى **ستيفن ليفنسون** (Stephen LEVINSON) أنَّ عملية الاتصال اللغوي بين طرفي الخطاب لا تخلو من تعقيد؛ وذلك بغية معرفة **القصد،** خصوصا عندما يتمايز قصد المرسل من المعنى الحرفي للخطاب، وعلى ذلك " يُصبح اللغز الذي يبرز مباشرة هو كيف يمكن أن يُدرِك المرسَل إليه هذه المقاصد المتعاكسة والمعقَّدة التي يعنيها المرسِل"[1]. فأحيانا تُلفّ العملية التخاطبية بقدر قليل من الشفافية؛ فكثير من المقاصد المشتركة بين الناس لا يكاد يُصَرِّح بها أحد[2]، وليس من المحتمل أن يبوح شخص بمكنون صدره. ولهذا يكدّ المتلقّي لإدراك مقاصد الخطاب، ف"المقاصد مفاتيح غائبة، ولكل مؤلف مفتاح. وبديهي أن هذا المفتاح نوع من قفز الباحث الشخصي. ولكننا نفترض أن القراءة في ظل المقصد أشبه بعمل مُخبِر الشرطة الماهر أو نفترض أن هناك حقيقة مركزية في عقل المؤلف في لحظة من اللحظات"[3].

بإمكاننا الاستفسار عن قُدرات فهمنا وتقبُّلنا لمقاصد المتكلم، و الآليات التي يلجأ إليها المتلقي لفهم مضامين الخطاب الذي استقبله؛ يقول **ريكور** في هذا الشأن: "كيف يُمكن لخاصية الخطاب، سواء أكان أدائيا أو يقينيا وسواء أكان فعلَ بيانِ شيء ما، أو أمرا أو طلبا أو رغبة أو وعدا أو تحذيرا، أن يُنقل أو يُفهم؟"[4]. هل يهتدي المتلقي إلى المقصد المضمَر للباث الذي يمكن أن يكون

---

[1] – ستيفن ليفنسون (Stephen LEVINSON)، "التداوليات (Pragmatics) "، منشورات جامعة كمبريدج (Cambridge University Press)"، 1983، ص: 17، نقلا عن: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية"، ص: 219.

[2] – يُنظر: روبرت دي بوجراند وفولفانغ دريسلر، "مدخل إلى علم لغة النص"، ص: 159.

[3] – مصطفى ناصف، "اللغة والتفسير والتواصل"، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 193، يناير، 1995، ص: 43.

[4] – "نظرية التأويل وفائض المعنى"، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، و بيروت، لبنان، ط2، 2006. ص ص: 45 و46.

دون قصد أيضا؟ و هل توجد في الخطاب نفسه مؤشرات معينة أو دلائل على ذلك القصد؟ أو هل تتوفر للمتلقي معلومات إضافية أخرى عن الباث أو عن الحال المعروضة[1]؟

و يأتي الدّرس التداوليّ كمحاولة حثيثة للإجابة عن هذا السؤال؛ إذْ تُلغِي الجهود التداولية المعاصرة ما استغلق حول كيفية فهمنا مقاصد المتكلمين[2]؛ فمن المتعذَّر تفسير مفهوم المعنى اللغوي تفسيرا مُرضِيًا بدون الإحالة إلى مقام التواصل؛ فطبيعة القواعد التركيبية والدلالية – التي تُحدِّد معاني العبارات– لا يمكن أن تكون مفهومةً إلاَّ إذا استعملنا مفهوم القصد التواصلي الموجه نحو مستمعين[3]. ويبقى فهم مقاصد المتحدِّث منوطًا بحزمة من المحدِّدات والآليات، تعمل على مساعدة المُتلقِّي في كشف المقصدية. ومن هذه المحددات:

أ– العُرف:

العُرف (convention) مُهمٌّ في فهم المقاصد، خصوصا إذا أدركنا أنَّ اللغة مؤسّسة تنتظم داخلها نشاطات العقل، وهي "الأعجوبة التي يُطِلُّ منها المتواصل على العالم. وهذا النَّمط هو المُفضي حقًّا إلى الوقوف على نمط تفكير القوم وطريقة اجتماعهم وطبائع سياساتهم"[4]. وللقصد دور مهمّ في تصنيف الخطابات داخل الشبكة التواصلية الاجتماعية؛ إذ يُعدُّ "قانونا داخليا في صلب المُواضعة يُحدّد نوعية أجناس الخطاب من خبر أو أمر أو استخبار فيتحوَّل بالصياغة اللسانية من

[1] – يُنظر: كلاوس برينكر، "التحليل اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج"، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005، ص: 123.

[2] – لقد تجاوزت التداولية التفاسير المُستندِة إلى المادة اللغوية– وحدها – في الفهم والتأويل، حيث رأى أولئك أنّ التسليم بمقاصد المؤلف وراء كل متلفظ كلامي وارد ولا دافع له، واستغلال المكونات اللغوية أمر لا مناص منه". يُنظر: محمد مفتاح، "مجهول البيان"، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990، ص ص: 110 – 111.

[3] – يُنظر: عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب"، ص: 201.

[4] – علي حرب، "التأويل والحقيقة: قراءات تأويلية في الثقافة العربية"، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007، ص: 29. ويُرجع إلى:

Hadumod Bussman, "*Routledge dictionary of language and linguistics*", translated and edited by Gregory P. Trauth and Kerstin Kazzazi, Routledge publishers, London, UK and new York, USA, 2006, p : 252.

الوظيفة الإبلاغية إلى الوظيفة الاقتضائية كما في الأمر والنهي والطلب"[1]. فإذا قال أحدهما للآخر: **أَسْقِنِ مَــاءً؛** فالمخاطِب لم يُحدِّد للمُخاطَبين سِمة هذا الماء! أَهُوَ عذب أم بارد؟ أم صالح للشرب؟ ويُردّ فهم المقصد إلى المُشتَرَكِ العُرفي.

فالعُرف منهل الخطاب عند المتحدّثين في الشبكة الاجتماعية، وبالمقابل يفهم المتلقي من تلك الملفوظات مقاصد أصحابها؛ فالمجتمع الذي نَهل منه المتكلم هو ذاته الذي ينتمي إليه المستقبِل[2]، ويصعب فهم معناها إذا نُقِلَت إلى مجتمع آخر؛ حيث تختلف الصور المعنوية في أذهان المتواصلين. فـ" الناس ينتمون إلى فئات اجتماعية، مما يجعلهم يتبعون نماذج من السلوك العام والمتوقَّع داخل الجماعة، ويؤخذ المصدر الثاني للتناسق في استعمال اللغة من حقيقة أخرى تقول إن أغلب الناس الذين ينتمون إلى المجتمع اللغوي ذاته يمتلكون معرفة العالم بشكل متشابه كما أنهم يشتركون في كثير من المعارف غير اللغوية"[3].

وركَّزا أوستين وسيرل في دراستهما للأفعال الإنجازية على العرف والمقاصد والعلاقة بينهما؛ كما أنّ المدخل الفلسفي صرف جُهدَه إلى مسألة كيفية قيام الترابط بين المقاصد من جهة وبين معنى المنطوقات وشكل إخراجها من جهة أخرى[4]. وقد اقترح سيرل (J.Searle) إدخال تعديل على الوصف الذي قدَّمه غرايس (P.Grice) للمعنى والمقاصد، وذلك لأنَّ معالجة غرايس لها لا تُقدِّر التأثير المهم للعُرف والنتائج المتوخاة حق قدرها[5]. فالمقصدية تتحكّم في الأفعال الكلامية[6] بتحديد

[1] – عبد السلام المسدي، "التفكير اللساني في الحضارة العربية"، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986. ص: 146.

[2] – يُنظر: ميشيل فوكو، "الكلمات والأشياء"، فريق الترجمة: مطاع صفدي وسالم يفوت وبدر الدين عرودكي وجورج أبي صالح وكمال اسطقان، مراجعة: جورج زيناتي ومطاع صفدي، ص: 215 وما بعدها. ويُنظر: دومينيك مانغونو، "المصطلحات المفاتيح لتحليل الخطاب"، ص ص: 15 و16.

[3] - George YULE, *Pragmatics*, Oxford University Press, London, 2000 p: 05.

[4] - Look: Maeve COOKE, "*Jürgen HABERMAS: On the pragmatics of communication*", Massachusetts Institute of Technology, USA, 1998, p p: 216 -217.

[5] – يُنظر: روبرت دي بوجراند وفولفانغ دريسلر، "مدخل إلى علم لغة النص"، ص: 158.

[6] - Voir : Jean – Michel Gouvard, "*La pragmatique : outils pour l'analyse littéraire*", Armand colin, paris, 1998, p : 103 et 158.

أشكالها وخلق إمكانية معناها. والفعل الكلامي فيه من الشفافية ما فيه، وذلك لأن النطق هو الفعل بعينه هنا، ويُطلق على هذا النوع من الأفعال اسم "**أدائيات**" وهي شائعة الاستعمال في المعاملات القانونية والبرلمانية[1]، في مثل:

- **بموجب هذا، نُؤَجِّل الاجتماع.**
- **الآن أُعلِنُكما زوجين.**

يَستنتِج المتأمِّل في فهم مقصد القارئ أنّ العُرفَ اللغوي أو المواضعة اللسانية من أبرز مبادئ التحليل التداولي[2]؛ إذ الوضع اللغوي هو المشترك بين أفراد الجماعة اللغوية، فيجب الالتزام بقواعده العامة حتى يتحقق التعاون اللغوي بين أفراد هذه الجماعة، ولا تحدثَ المخادعة التي تضيِّع المعنى[3].

ب- السياق وفهم المقاصد:

لا يكفي الاكتفاء بالأنظمة اللغوية ومعرفتها لفهم الملفوظات وما تتضمّنه من مقاصد ومكنونات. بل وجب ربط تلك الأفعال الكلامية بسياقاتها؛ فللخطاب معانٍ لغوية وأخرى تداولية[4]. تداولية[4]. وتؤدّي محاولة فهم قصد المرسل إلى تعدّد معنى الخطاب الواحد، وفي تعدّد أفعاله الإنجازية،

[1] – يُنظر: روبرت دي بوجراند وفولفانغ دريسلر، "المرجع السابق"، ص: 159.

[2] - Voir: Anne REBOUL et Jacques MOESCHLER, "*Dictionnaire encyclopédique de pragmatique*", p: 54.

[3] – ولكن وبالرغم من استناد الاستعمال على الوضع إلا أنه يفارقه ويجوزه – ومن هنا أتت تسمية المجاز لأنه يجوز الوضع لتلبية غرض المتكلم – ليلبي حاجة المتكلم، وقد درس العلماء قديماً أسباب هذه المفارقة في حديثهم عن أسباب المجاز، من المبالغة والاتساع والتوكيد... ولكن وفي حال عدل المتكلم عن الدلالة الحرفية للغة عليه أن ينصب قرينة على عدوله، وأن تكون هناك مناسبة بين الدلالتين الوضعية والمعنى المراد حتى لا يعد مغالطاً. يُنظر: محمد محمد يونس علي، "علم التخاطب الإسلامي: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النّص"، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006، ص: 63.

[4] – تشتغل التداولية بالمعنى، فالملفوظات لا تقتصر في تمثيلها فقط على معاني الأشياء، بل تحمل في داخلها نوايا المتكلم ومشاعره الباطنية وهذا ما يسميه ريكاناتي بـ "المعنى التداولي Le sens pragmatique". يُنظر:

François RECANATI, "*Le développement de la pragmatique*", in : Langue française, Année 1979, Volume 42, Numéro 1, p : 08.

فإنه قد يُنتج خطابًا يقبل أكثر من تأويل في السياق الواحد[1]، مثل الخطاب التالي: **"غرفة زيد زريبة خنازير"**.

المعنى الأول: هو المعنى الحرفي، والمعنى الثاني: ما يتأوّله المرسَل إليه من القصد الحقيقي وراء الخطاب. وهذا الاستعمال التداولي للخطاب يتطلّب كفاءة وقدرات تداولية لدى المؤول.

ويبرز دور السياق في تقليص سوء الفهم حول المحتوى الخبري[2]، ويُفلِح جزئيا في التَّغلب على مصاعب عدم إمكان نقل التجربة والمقاصد، يقول **بول ريكور** في هذا الشأن: "تتمثل الوظيفة السياقية للخطاب في حجب تعدُّد المعاني في الكلمات، وتقليص الاستقطاب في أقل عدد ممكن من التأويلات؛ أي غموض الخطاب الناشئ عن التعدد المنكشف في معاني الكلمات"[3].

كما ويختلف فهمنا للمقاصد باختلاف الأشخاص والمقام والزمان والمكان، وغيرها من المقوّمات السياقية والمحددات المقامية. وما دام الأمر كذلك فعلى كل من العارض والمعروض عليه أن يصوغ الكلام بطريقة تُبيّن ما في نفسه من مقاصد. وهو ما يعني وجوب أن تكون الحجج المستخدَمة مقترنة بالقصد منها، خصوصا قَصْدَيْ: التوجه والإفهام. فالقصد منه **القصد** إلى إخبار المستمع بالحجة وإخباره بهذا القصد نفسه[4]. فكفاية خطاب ما تقتضي الأخذ بعين الاعتبار **قدرات المتلقي** وسلامة التدليل والتبليغ حتى يتمكن من إدراك مقاصده. فمادامت جمل اللغة لا متناهية ومادامت سياقات ومقامات الكلام لا متناهية، فالقصد يصبح عُدّة موجِبَة لفهم الخطاب[5].

---

[1] – يُنظر: جورج يول، "معرفة اللغة"، ترجمة: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الإسكندرية، مصر، 1999، ص ص: 132 و133.

[2] – قد يأتي الخطاب متعدد المعاني، وعليه تُصبح عملية معالجة تعدد المعنى مضنية دون ريب، "غير أن الإبهام ينطوي على إنفاق الجهد على مواد غير مقصوده ولا مُفيده، وينتج عن ذلك أن يبادر المشاركون إلى إجراء أعمال تصحيحية لرفع الإبهام، وهي في العادة إعادة صياغة المحتوى في شكل إخراج لا لبس فيه". يُنظر: روبرت دي بوجراند وفولفانغ دريسلر، "مدخل إلى علم لغة النص"، ص: 165.

[3] – "نظرية التأويل وفائض المعنى"، ترجمة: سعيد الغانمي، ص: 45.

[4] – يُنظر: حسان الباهي، "الحوار ومنهجية التفكير النقدي"، ص: 49.

[5] - يُنظر: المرجع نفسه ص: 50.

دأبت المساهمات التداولية لأوستين وسيرل وأشياعهما المشتغلين في فلسفة اللغة على ربط الكلام البشري بالواقع والاستعمال، مؤكدين على مبدأ "لا تسأل عن المعنى بل اسأل عن الاستعمال". كما شدّدوا على الصِّلة بين الملفوظات أو الدلائل اللغوية والتجربة المشتركة للعالم، "فالعالم يُساهم في دلالة اللغة التي تتغير إذا غيرنا المحيط، لا بدّ للدلالة اللغوية من ارتباط مباشرٍ بالواقع"[1]. وقد انفردت تحليلاتهم باللغة العادية وبأشكال التبليغ أو الاستعمال العاديين بين أفراد فئة معينة من المجتمع.

وقد تُوِّجت دراساتهم ببلورة لنظرية أفعال الكلام (التي شيّدها أوستين وطوّرها تلميذه سيرل) التي تُعدّ من أبرز الاشتغالات الأولى التي أفرزت النظرية التداولية. كما وحظيت نظريتهم باهتمام كبيرٍ بين أوساط الباحثين في التواصل وفلسفة اللغة وعلم الاجتماع اللغوي واللسانيات.

وللقصدية منزلة محورية في فلسفة اللغة والتصورات التداولية المعاصرة، بحكم صلتها بالمعنى والتضمين والدلالة. ويخلُص المتتبّع – لما سبق ذكره – إلى تركيز الدراسات التداولية، في تناولها لمبحث القصدية، على المواقف الحوارية والمحادثات وغيرها من الأشكال التواصلية؛ ويشهد على ذلك معنى المصطلح الألماني الدال على القصد (meinen)، والمصطلح الانجليزي (to mean) على التداخل في الموقف الحواري؛ فيصبح ما يعنيه المتكلم وما يعنيه الخطاب أمرا واحدا.

[1] – سيلفان أورو، "فلسفة اللغة"، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010، ص: 68.

الفصل الثاني: الآليات التداولية في فهمِ المقصدية

1.إدراك الأبنية التصورية:

شقّت مقاصدُ المتحدّث طريقَها إلى التداوليات المعاصرة عبر ثلاثة دروب مختلفة ولكنها مترابطة. أوّلها يعود على الأقل إلى فلسفة القرون الوسطى بالاستفسار حول منطق الخطاب وسياقاته وشروطه، هذا ما يؤدّي إلى دراسة القصدية. بينما يبدأ الآخر مع فلسفة اللغة العادية في منتصف الخمسينات من القرن الماضي في محاولاتها لتحديد المعنى من خلال استخدام اللغة، الأمر الذي أدّى بدوره إلى توظيف مفهوم مقاصد المتكلم لتطوير فعل التواصل. أما التوجه الثالث، ويمكن القول عنه أنّه الطريق الأكثر تأثيرا، كان عبارة عن محاولات لإنقاذ التحليلات الدلالية للخطاب من خلال توظيف مفهوم المعنى الذي سيضم ليس فقط محتوى الحقيقة المشروطة ولكن أيضا الرسائل المضمرة المقصودة، وتشكيل المفهوم العامّ للمحتوى التواصلي.

وينحدِر الاهتمامُ التداولي بالمقاصد من الاهتمامات اللغوية والدلالية القديمة بالمعنى وتأثيره في النفس الإنسانية، وكان البحث في سؤال القصد والقصدية من وجهة نظر لسانية وفلسفية متداخلاً مع أبعاد مركبة لا بدّ من إدراكها في تنوعها حتى نقترب من وجود متحرّك هو "المعنى". لكن مادامت المعاني اللغوية معلومات ذهنية وجب أن يجري عليها ما يجري على المعلومات الذهنية الأخرى غير اللغوية[1]. ومن ثمة الارتباط الجوهري في الدلالة التصورية بين طبيعة المعنى اللغوي وطبيعة الإدراك والمعرفة البشريين.

[1]- يُنظر: جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، ط1، 2013، ص: 15و16.

لذلك تسعى العلوم المعرفية والتداولية إلى شرح العلاقة المعقّدة بين قصدية الحالات الذهنية والقصد اللساني الذي ينقلها عبر أفعال التواصل. لماذا هذه الرغبة التداولية الجامحة في الاهتمام بالمقصدية، بهذا المفهوم الفلسفي والذهني الغامض؟

هنا تعرض التداوليات المعرفية تساؤلاتها الأكثر إلحاحاً حول القصدية والدّلالة التصورية، والكيفية التي تعكس بها الصورة النحوية والتركيبية للمقاصد أو الأبنية الذهنية والتصورات المعرفية، وتفترض أنه لا يمكننا بأية كيفية مبدئية أن نميّز التأويل الدّلالي لجمل اللغات الطبيعية من التمثيل المعرفي. فدراسة اللغة تعني بالضرورة دراسة بنية الفكر؛ ولا ينفصل التساؤل عن معاني التعابير اللغوية التي تسمحُ للإنسان بالتّحدُّث عمّا يُدركه ويفعله عن التساؤل عما تكشف عنه البنيات اللغوية بصدد طبيعة الإدراك والمعرفة[1].

ولإدراكٍ تداولي لآليات اشتغال المقاصد وجب على التداوليين إقامة اهتمام يربط بين الدلالة والمعرفة، بعبارات أخرى تستثمر التداولية ما يُنجز في الأنساق الدلالية داخل اللغات الطبيعية ومزجه مع العلاقات التي تنبني عليها أنساق معرفية وإدراكية أخرى. فما دامت المعلومات المحملة عن طريق اللغة مصوغة بالطريقة التي ينظم بها الذهن التجربة، فإن تخصيص العلاقات الدلالية يضطرنا إلى استعمال معرفة (تصورية) غير لغوية؛ كما أن الآليات الضرورية لمقاربة البنية التصورية غير اللغوية تزوّدنا بتحليل يكاد يكون مباشرا للعلاقات الدلالية المذكورة[2].

ويندرج فهم أبنية المقاصد داخل الفضاءات الذهنية والأبنية التصورية؛ حيث تتلاءم المعلومات اللغوية والحسية والحركية. فتكون البنيةُ التصورية مستوى يمثل فيه للأوليات التصورية ومبادئ التأليف بينها. فيكون على النظرية الذهنية للبنية التصورية، مثلها في ذلك مثل النظريات الذهنية للتركيب والصوتيات، أن تخصّص هذه المجموعة من الأوليات ومبادئ التأليف التي تُبْنى على أساساها كلّ

---

[1] - Jackendoff, R, *Semantics and cognition,* MIT Press, 1983, p : x & 3.
[2] - Jackendoff, R, *Grammar as Evidence for conceptual structure*, in : Halle, M, Bresnan, J, and Miller, G.A eds, Linguistic Theory and Psychological Reality, MIT Press, 1978, p : 202.

البنيات التصورية الممكنة على هذا المستوى. وتختصّ هذه البنيات التصورية الممكنة لدى الكائن البشري بكونها مجموعة محدودة من قواعد السّلامة التّصورية التي يفترض أنها قواعد كلية وفطرية[1].

يُستنتَج بطبيعة الحال أنّ دلالات المقاصد هي جزء من نظرية ذهنية (نفسية) أوسع حول الكيفية التي يفهم بها البشر العالم، وأن موضوع الدراسة صورة من صور البنية الذهنية تسمى البنية التصورية، وترمز العالم كما يتصوره البشر[2].

وتربط التّصورات الذهنية للمقصدية الأنساقَ الخطابية بسياقاتها لفهمِ مضمرات الكلام ومكنونات القول، فتلجئ إلى الاعتبارات التداولية والمؤشّرات النصية والمعرفة الموسوعية وكل ما ينضوي تحت استراتيجية وتخطيط للبنية المعرفية للمقاصد. وهذه البنية التي نتحدّث عنها هي المقابل التصوراتي للمعنى. ولعلّ أبرز منجزٍ للّسانيات التداولية عودتها بالنشاط الخطابي إلى أرضيته الذهنية العصبية؛ حيث "جعلت منه مهارة من جملة مهارات معرفية يمتلكها البشر، وهي مهارة محكومة بالمبادئ المعرفية العامّة لا بمبادئ لسانية خاصة باللغة دون سائر المَلَكات المعرفية. فاللغة متناولة في حركيتها واشتغالها تُمثل مدخلاً لفهم الكثير من مظاهر العرفنة البشرية"[3].

والبحث الدلالي والتداولي للمقصدية نسق تأليفي مستقلّ عن البنية التركيبية؛ حيث تقوم البنية الدّلالية على مبادئ تأليفية ذاتية كالرّوابط المنطقية وعلاقات الدّالات بموضوعاتها، والعلاقات النعتية، وعلاقة الأقوال بالتّضمينات، وتنتظم هذه الأوليات والمبادئ في صفوف دلالية/تصورية، كالصفّ الوصفي والصفّ الإحالي وصفّ بنية المعلومة. وتخضع دراسة المقاصد إلى عمليات معرفية ودلالية دنيا وعليا مندمجة مع بعضها البعض، ما يجعل عمليّة فكّها وفحصها بالغةَ التعقيد؛ "فالمعالجة الصّاعدة

---

[1] - Jackendoff, R, *Semantics and cognition,* p : 17 & Jackendoff, R, *Consciousness and th Computational Mind*, MIT Press, 1987 , p : 122.

[2] - Jackendoff, R, *Language, Consciousness, Culture, Essays on Mental Structure*, MIT Press, 2007, p : 192.

[3] – الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ودار محمد علي للنشر، تونس، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص: 34.

مركبة مؤلّفة تُوجّهُها المعطيات وركيزتها المعلومات الصادرة عن المنبهات أما المعالجة النازلة فمفكّكة محللة توجّهها المفاهيم والتمثيلات وما يُرتقب في ضوء ما تحفظه الذاكرة"[1].

هنا نلاحظ أنّ فهمَ البنية التصورية للمقاصد لا ينحصر بالبحث عن الدلالة اللغوية أو الصورية، بل يشمل خدمة أغراض أخرى يفرضها المحيط الذهني وبيئته المعرفية العامة، ويوجب على النظرية الدلالية تخصيص فهمٍ موجّه له بالذات.

ومن الموجّهات التداولية المتّصلة باستعمال البنية التصورية للمقصدية في إنتاج الخطاب، نجد الاستنتاج والتخطيط في رسم الخطط وتكوين المقاصد الهادفة إلى أفعال. وهناك موجّهات أخرى ترتبط بإدماج التصورات في المعارف والمعتقدات التي سبق تحصيلها، وضمنها المعارف المتعلقة بسياقات التواصل ومقاصد المخاطبين التي تدرس عادة في أبواب التداوليات[2]. وموجّهات أخرى تصِل التصورات التي تنقلها اللغة بالأنساق الإدراكية، لنتمكّن من الحديث عما نراه ونسمعه ونذوقه ونشمه ونلمسه. والموجّه الذي يصل التصورات بنسق العمل ويمكننا من إنجاز الأعمال الفيزيائية التي نخضع لها العالم ونمارسها فيه، كما يحصل عندما ننفذ عملا جوابا عن أمر أو طلب محمولين لغويا.

هكذا تطمح الدلالة التصورية في التداوليات المعرفية إلى الاشتغال على المعنى، ليس كشيء كامن في دلالة الوحدات والمركبات والجمل، بل باعتباره شيئاً يُبنى ذهنيا اعتمادا على قدرات ذهنية ثابتة لدى الإنسان أهمّها قدراته على التخيل أو التصور. وهذه القدرة التي يُصطلح عليها بـ"التصورية" (imagery)[3] تمكّن الإنسان من بناء الوضعيات التي يدركها بطرق متنوعة أو بوجهات نظر مختلفة.

وتتعقّد الرؤية التصورية للمقاصد عندما نسعى لتطبيقها على الخطاب الشعري، فوظيفة هذا الأخير تمتزج فيها المرتكزات الذهنية التي ينطلق منها الشاعر مع رؤيته للعالم وللكون، فتُصبح مقصدية الخطاب الشعري مُطلقة، تتجدّد مع ميلاد كلّ قراءةٍ تأويلية؛ فـ"يكون النص الواحد آلافا من

[1]– الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 27.

[2]– جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ص ص: 39–40.

[3] -Jackendoff, R, *Foundations of Language, Brain, Meaning, Grammar, Evolution*, Oxford University Press, 2002, p : 275.

النصوص، لأن لكل قراءة "أثرا" يختلف عن أثر القراءة الأخرى. وبعدد هذه الآثار يكون عدد النص (النصوص). وفي كل إعادة للقراءة يحدث أثر آخر فكأننا مع نص آخر، فالنص هو الأثر والنص هو القارئ. وكل نص ينجح في تحقيق هذا الأثر فهو ما يُسميه رولان بارت النص الكتابي لأنه ذو قدرة على التجدد والانفتاح[1].

2.التمثيل الدلالي للمقصدية:

اللغة في اللسانيات المعرفية (cognitive sciences) ليست نشاطا مستقلا عن غيره من الأنشطة الإدراكية بل هي جزء منها؛ وهذا التصور الذي يتجه باللغة اتجاها موسوعيا (encyclopedic) يجعل محور اهتماماته التمثيلات الدلالية وهي صورٌ ينشئها الذّهن لتطابق الكيانات الخارجية المولدة لها.

وبما أنّ الأشعار ليست بهذا المنظور إلاّ تمثيلات دلالية مخصوصة فإن بعض المتأدبين المواكبين لتطور هذا المذهب اللساني أو اللسانيين المنفتحين على الأدب ابتكروا ما سموه "الشعريات المعرفية" (cognitive poetics) لاستثمار النتائج التي توصّل إليها النحاة المعرفيون من أمثال رونال و.لنقاكر (Langacker) وفكونيي وتورنار (Fauconnier & Turner) في نظرية المزيج (blending theory) ليطبّقوها على الشعر أولا ثم بعده على أجناس أدبية أخرى ومنها السردية وكان هاجسهم من وراء ذلك سدّ الفجوة "المزعومة وهماً" بين اللسانيات والأدب[2].

وتكمن المعضلة التي تقف عقبة أمام الدّرس التّداولي، في تنقيبه عن مقاصد الخطاب الشّعري، في ما يبنيه المؤلف أو الشاعر من رؤى متنوعة ومختلفة تمام الاختلاف عن تلك البنى التصورية التي يُشيّدها المتكلم العادي. فوضعيات الشاعر هي غير مألوفة بالنسبة إلى ما تواضع عليه عامّة الناس. فالمؤلف الشاعر قد يُدرك التجارب العادية بأشكال فريدة ويوظفها لبنائها في قالب تجربة إبداعية لها

---

[1]– عبد الله الغَذّامي، تشريح النّص: مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط2، 2006، ص: 20.

[2]– يُنظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عَرفنية، ص: 212-215.

تصوّرات فذة. فبين أيدينا نصوص محمّد بنّيس؛ وهو شاعر حداثي يوظّف مخطّطات تصورية لها "صلة استكشاف أبدية في أغوار أبرز الحقائق الإنسانية، أقصد اللغة؛ وذلك من أجل كشف الحقائق العظمى لتصبح ثوابت مبدئية، ومن ثم السّعي إلى تأسيس العلاقة معها على أصول متفاعلة مع طموحِ الإنسان وهمومه المتجدّدة والتي تتحقّق – دوماً– في اللغة ومن خلالها وبواسطتها "[1].

لذلك ينبغي أن تكون القراءة التداولية لهذه التصورات هادفة إلى التّعرف على الكيفيات التي تعمل بها القوة التصويرية للمقصدية ودورها الاستراتيجي في بناء وضعيات القصيدة وتنويع رؤاها وتجدد اعتباراتها.

3.تداولية متضمّنات القول:

يهدف التواصل إلى ضمان اعتراف متبادل [...] بين المتحدثين حول صحّة ما يعربون عنه من صلاحية الادعاءات المتضمنة في أقوالهم، وخصوصاً مدى حقيقتها ومطابقتها مع الواقع أو مع معايير مقبولة عموما، وأخيرا حول واقعية النوايا المتبادلة[2]. **ويتّضح** من ذلك أن الخطاب الذي يجري بين أطراف الخطاب يتضمن أقوالا مضمرة تؤدي دورا أساسيا في تحقيق تواصل جدّي وناجح، إذا ما كانت متطابقة: إمّا مع الواقع، أو مع معايير متفق عليها مسبقا، أو مع نوايا طرفي الخطاب. وقد فرّق غرايس منذ عام 1957 بين الكلام التقريري والكلام المضمر قائلا: "يُقصَد من التكلّم بشكل بيّن (أن نتحدّث عن أمر ما) [...]، في حين يراد من التحدّث بشكل مضمر (أن نوحي لأحد الأشخاص بالتفكير في أمر ما)"[3] .

وبما أن التداولية تسعى إلى تحقيق تواصل ناجح بين المتخاطبين، سينطلق الحديث عن الأقوال المضمرة من تعريف أوريكيوني، الذي ترى فيه أن "القول المضمر هو كتلة من المعلومات التي يمكن

1– عبد الله الغَذّامي، تشريح النّص: مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، ص: 15.

2– حسن مصدّق، يورغن هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 147.

3– كاثرين كيربرات–أوريكيوني، المضمر، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008، ص: 4.

للخطاب أن يحتويها، ولكن تحقيقها في الواقع يبقى رهن خصوصيات سياق الحديث"[1]. فإذا قال متكلم: "إن السماء ممطرة"، ستقفز إلى ذهن المخاطب عدة احتمالات يدعوه فيها إلى[2]:

- المكوث في البيت.
- أو الإسراع إلى عمله لكي لا يفوته الوقت.
- أو الانتظار والتريّث حتى يتوقف المطر.
- أو أخذ المظلة عند الخروج.

ويبقى باب الاحتمالات مفتوحا مع تعدّد سياقات إنتاج الخطاب. وقد يلجأ المتكلم إلى تضمين خطابه أقوالا مضمرة عندما تساوره الشكوك حول وجوب التعبير بصراحة أم لا، أو حين تحول أصول اللياقة دون الخطاب المباشر، أو بقصد بلوغ الأناقة في الخطاب[3]. وهذه المضمرات "تضفي على الكلام [...] المزيد من الفائدة واللذة، في نطاق أنها تكسب المحتويات شكلا غريبا يقنّعها من دون أن يخفيها"[4].

ويتضح من تعريف أوريكيوني في المثال السابق أن الخطاب يحمل نوعين من المعاني: معاني صريحة، على نحو الإخبار بأن السماء تمطر في لحظة النطق بالملفوظ، ومعاني ضمنية(مضمرة) يستلزمها الخطاب، كالاحتمالات التي قفزت إلى ذهن المخاطب الآنفة الذكر. وهذا يعني أن هناك معاني منطوقة، ومعاني مفهومة. فالمعنى المنطوق هو المعنى الصريح، والمعنى المفهوم هو المعنى الذي يستدلّ عليه، إذ "لا يمكن توفير الانسجام النصّي إلاّ عن طريق إعادة بناء عدد من المعاني الضمنية"[5].

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005، ص: 32.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 32.

3- ينظر: كاثرين كيربرات-أوريكيوني، المضمر، ص: 497.

4- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

5- نقلا عن: حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011، ص: 183.

والاستدلال بمفهومه العامّ والواسع عند أوريكيوني هو "استنتاج قضية من قضية واحدة أو عدة قضايا"[1]. ومثل هذا الاستدلال هو الأنسب، وهو الحاضر دائما في أي نشاط لغوي وتواصلي، "لأنه لا يخلو منه أي طور من أطوار المعرفة"[2]. وميّز غرايس وجورج يول بين نوعين من الأقوال المضمرة: المضمرات الخطابية أو التحادثية الحوارية والمضمرات العرفية أو المعجمية. فالمضمرات الأولى، هي من نوع الإيحاء والاقتراح ويستدلّ عليها بمدى امتثالها لقواعد التعاون في أثناء المحادثات الحوارية في سياق ما، على خلاف المضمرات العرفية، فهي لا تخضع لقواعد التعاون، ولا يشترط حصولها في أثناء المحادثات الحوارية، ولا يعتمد في تفسيرها على السياق[3]. ومن أمثلة المضمرات الخطابية، جواب الأستاذ على سؤال رجل عن مستوى ولده العلمي في المدرسة: إنه ذو خط جميل. فالجواب يعني تغريرا بالوالد، وفي الوقت نفسه يتضمن قولا مضمرا، يفهم منه بأن ولده طالب ضعيف.

ومما يجدر التنبيه عليه أن قواعد التخاطب(مبادئ التعاون) لا تراعى دائما، فقد يخرق المتكلمون قاعدة منها في مقابل احترام القواعد الأخرى في إنشاء قول مضمر، فلو سئل شخص ما عن المدة التي يستغرقها المدفع ليبرد، وأجاب:(بعضا من الوقت)، فإنه انتهك قاعدة الكم، واحترم القواعد الأخرى، ولا سيما قاعدة الكيف. وفي هذه الحالة تضمّن الجواب قولا مضمرا يفهم منه عدم المعرفة الدقيقة بالوقت الذي يستغرقه المدفع ليبرد[4].

وأمّا المضمرات العرفية، فهي التي تستند إلى اللغة والمعجم، وهي الدلالات العرفية المرتبطة بالكلمات[5]. كقول أحد الطلاب: زيد زميلي، ولكنه صديقي. فالملفوظ يُضمر قولا يفهم منه: ليس كل الزملاء أصدقاء. وهو قول مضمر يتوصّل إليه من دون الحاجة إلى معرفة السياق.

1- مهدي فضل الله، مدخل إلى علم المنطق، دار الطليعة، ط1، بيروت، ط1، 1977، ص: 22-23.

2- طه عبد الرّحمن، اللسان والميزان أو التكوثر العقلي، المركز الثقافي العربي، الداء البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 1998، ص: 73.

3- ينظر: فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1986، ص:53، ومسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص: 76-77.

4- ينظر: فرانسواز أرمنكو، المقاربة التداولية، ص: 54.

5- ينظر: المرجع نفسه، ص: 55.

ومن الجدير بالذكر أن المتكلمين هم الذين يضمّنون ملفوظاتهم أقوالا مضمرة، بمعنى أنهم المسؤولون عن إيصال مقاصدهم إلى مخاطبيهم بأقوال مضمرة، وأن المخاطبين يتعرّفون على هذه الأقوال المضمرة بالاستدلال. وأن الاستدلالات المختارة من المخاطبين هي التي ستبقي على افتراض التعاون قائما[1]. ففي المثال الآتي:

الأم لولدها: هل جلبت الخبز والجبن؟

الولد: جلبت الخبز.

ففي هذا المثال فهمت الأم قولا مضمرا هو: لم أجلب الجبن. وقد استدلت الأم على ذلك من معرفتها بأن ولدها متعاون معها، وأنه ليس غافلا عن مبدأ الكم بشكل تام، وإنما خرقه ليضمّن كلامه قولا مضمرا. ومثل هذا القول المضمر وأضرابه لم تكن هناك حاجة إلى معرفة خاصة بالسياق للوصول إلى المعنى الموصول الإضافي، ولكن بعض الأقوال المضمرة يقتضي الوصول إليها معرفة خاصة بالسياق؛ لأنها تجري في سياقات محددة، يفترض الوصول إليها استدلالات معروفة سياقيا[2]. فلو سأل تلميذ زميله: هل تذهب معي غدا إلى السينما؟ فأجابه: أريد أن أهيئ نفسي للامتحان.

فالجواب يتضمن قولا مضمرا هو: لا أرغب بالذهاب إلى السينما. ولعل السياق هو الذي ساعد على الوصول إلى القول المضمر مع الأخذ بالحسبان قاعدة (العلاقة) التي خرقها المخاطب في جوابه، حيث أن الجواب لا علاقة له بالسؤال. ويبدو أن المخاطب أراد أن يجيب بطريقة مؤدبة لا تؤذي السائل، إذ كان بمقدوره أن يجيب بـ (لا أذهب) .

ويتضح أن الأقوال المضمرة التي تجري في المحادثات التفاعلية، يعتمد فيها المتحاورون الاستدلال للوصول إليها مع الحفاظ على افتراض التفاعل التعاوني؛ "لأنها جزء مما يتم إيصاله دون

1- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص: 71.

2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 74.

قوله"[1]، وهي مثال حيّ ونابض لما يتم إيصاله من دون قوله. وهي من المفاهيم الأساسية في الدرس التداولي، يمكن اتخاذها أداة للتحليل التداولي للخطابات الحوارية.

وتقود الأقوال المضمرة إلى عالم المجاز، فتنزلق الملفوظات إلى أقوال مضمرة تشي بالسخرية أو الإيحاء أو التلميح أو الالتباس أو غير ذلك، فيتحقق للمتكلم قول شيء يريد قوله وقول شيء آخر يريده أن يصل إلى المخاطب بصورة غير مباشرة.

ويظهر أن الذي يحسم الأمر هو السياق وقواعد التعاون التي يفترض أن يراعيها الطرفان. بمعنى أن الملفوظ يفهم في حيّز الاستعمال، ويبدو أن الاستعمال وثيق الصلة بالمجاز، وهو يرتبط به ارتباطا أساسيا؛ فإذا ما استعمل اللفظ في غير ما وضع له كان استعماله من قبيل المجاز. ومن هنا يمكن القول بأن الأقوال المضمرة تقوم على افتراض "أن إسهامات المتخاطبين مترابطة بعضها ببعض ومحكومة بما يعرف بأصول التعاون الذي يقتضي أن كلا من المتكلم وسامعه يسعيان إلى بلوغ تخاطب ناجح"[2].

ويبدو أن الأقوال المضمرة هي (المعنى) لدى المتكلم عند سيرل، لذلك جعل اهتمامه بها بالغا، ولا سيما في دراسة المنطوق الاستعاري، إذ إن "مشكلة الاستعارة عنده هي جزء من مشكلة لغوية عامة، هي تفسير الكيفية التي ينعزل بها معنى المتكلم عن معنى الجملة أو الكلمة، أو بعبارة أخرى: كيف تقول شيئا وتعني شيئا آخر؟"[3]. فالملفوظ (الحرارة تشتدّ هنا) يتضمّن معنى (قولا) مضمرا يمكن الوصول إليه في ضوء السياق الذي أنتج فيه المتكلم ملفوظه، مع النظر إلى معناه الحرفي. فقد يكون إخبارا تقريريا لشخص ما عن اشتداد حرارة الجو في المكان المشار إليه، إذا كان هو فعلا كذلك، ولكنه قد يتعدّى معناه الحرفي وينزاح عنه إلى دلالة أخرى قد تكون تهكمية عندما يكون الجو باردا. وقد يتضمن الملفوظ قولا استعاريا مضمرا عندما يشتد النقاش فيصبح على قدر من الهجوم الحاد[4].

1- مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص: 76-77.

2- محمد محمد يونس علي، مقدّمة في علمي الدلالة والتخاطب، ص ص: 48-49.

3- حافظ إسماعيلي علوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص: 267.

4- ينظر: المرجع نفسه، ص: 268.

4.تداولية المقاصد وفهم المعاني المضمرَة:

ذهبَ كثير من العلماء إلى أن المقاصد هي المعاني، ووضعت الألفاظ لغايات الوصول إلى معان معينة، فكانت وسيلةً لإدراك المقصود. وتختلف المعاني وتتفاوت بحسب العلاقة بين القصد والدلالة الحرفية للخطاب، مع أن المرسل يمكنه التعبير عن مقاصده في أيّ مستويات اللغة شاء، فالتنغيم مثلا من السمات المساعدة على تبين مقاصد المرسل من الخطاب.

وهو يوضّح العلاقة بين الدلالة وبين قصد المتكلم، ومعرفة الأنظمة اللغوية المعهودة لا تغني المرسل إليه عن السياق ودوره في الكشف عن قصد المرسل، إذ أنّ بؤرة الاهتمام تكمن في ماذا يعني المرسل بكلامه وليس المعنى اللغوي الحرفي للخطاب، فقد يكون هذا الأخير واضحاً في لغته، ولكن لا نُدرِك معناه دون معرفة قصد المرسل، الذي يمكن أن يتجاوز المعنى الحرفي للخطاب إلى مقاصد أخرى. "فإذا قيل معنى اللفظ كذا، فالمراد به أن محلّ العناية كذا، والعناية من جانب المضمون هي الإرادة والقصد، فيكون معنى الشيء هو ما يقصد به ويراد منه، ومعنى اللفظ هو المراد منه...ومن ثم فالمعنوي هو بالذات القصدي"[1].

فالتحليل التداولي يُركّز في إجراءاته لفهم مقاصد الخطاب على قاعدة تواصلية هامّة مفادها أن المعاني غير كامنة فيما يستعمل المتكلم من أدوات لغوية، بل الكيفية والأداء التي يوظّفها بها حتى تُعبّر عن مقاصده ونواياه.

وهنا تتجلّى بوضوح إنجازية الخطاب وتداولية مقاصده. لذلك كان لابدّ من توافُر القصد في الخطاب الذي يُساعد السياق وضوابط أخرى معرفية وموسوعية على اكتشافه، لأن" دلالةَ العبارة هي استلزام القول للمعنى المقصود من سياقه، وقد يُطابق هذا المعنى المقصود المعنى المستفاد من ظاهرة القول وقد يتفاوت معه، فإذا طابقه كلاً، قيل إنه المعنى المطابقي للقول، وإن تفاوتَ معه فأحد الأمرين: إمّا أنه يطابق جزءا من هذا المعنى الظاهر، وإمّا أنه يلازم هذا المعنى من غير أن يُطابقه لا كُلاً ولا جزءا،

[1]- يُنظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ص: 195-197.

فإن كان الأول فمقصود القول هو بالذات معناه التضمني، وإن كان الثاني، فهذا المقصود هو معناه الالتزامي"[1].

وتبلور ذلك بشكل واضِح في تداوليات بول غرايس[2] ضمن مبدأ التعاون بقواعده المختلفة التي تتحكّم في تفاعلِ طرفي الخطاب تفاعلا ناجحا، فكلّ مرسل يُعبّر عن قصده إمّا باحترام هذه القواعد أو تجاهلها واختراقها أحيانا، فيتحوّل القصد هنا إلى معنى المتكلم كما يُسميه غرايس وغيره، ويمكن أن يستنتج المرسل إليه ذلك عن طريق افتراضه أن المرسل إنما نطق وفق ما يُمليه مبدأ التعاون، فيكون هذا الأخير دليلاً عليه[3]. ولهذا تتعدّد مقاصد ومعاني الأقول المضمرة حسب هيكلة الخطاب وإنشائيته؛ أي حسب أساليبه البلاغية من استفهام أو طلب أو أمر أو وعد...الخ

فعندما يقول أحد الأطفال لزملائه وهم قيد لعب كرة القدم: هل يمكن أن نبدأ اللّعب؟ فإما هو قصد إخباري للشروع في اللعب، أو أنه يحمل معنى مضمرا بطلب التوقف عن الهزل والمشاكسة وبداية الجدّ في اللعب، وهذا ممّا يؤكّد أهمية معرفة مقصد المتكلم وعدم الاكتفاء بالدلالة الحرفية للخطاب لأنه قد يختلف عنها، مما ينتج عنه معنى حرفيا ومعنى تداوليا.

فقد يكون للمرسل قصد رئيسي واحد، ولكن التعبير عنه يتمّ بآليات مختلفة تتباين في كيفية دلالتها عليه، ويمكن تقسيمها إلى آليات مباشرة وأخرى تلميحية، وهو ما يبدو واضحا في تقسيم **سيرل** للأفعال اللغوية إلى مباشرة وغير مباشرة، أو في خرق إحدى القواعد الأربع لمبدأ التعاون الغرايسي، الذي لا يكون إلاّ لقصد معين مع أنه يظل مساعدا لفهم قصد المرسل من خلال الاستلزام الحواري[4]. كما يمكن أن يُسهم القصد في إنتاجِ خطابٍ يَقبَل أكثر من تأويل داخل السياق الواحد أو أن يحمل قصدين معا: حرفي ومستلزم بمساعدة السياق. فالخطاب التالي: أسعار خرافية. يحمل معنيين:

---

[1] – عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 196.

[2] – يُنظر: جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عزّ الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ودار سيناترا للطبع، تونس، ط1، 2010، ص ص: 104-106.

[3] عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص: 197.

[4] – يُنظر: جاك موشلر وآن ريبول، القاموس الموسوعي للتداولية، ص: 106.

الأول كما يقصده المرسل وهو أنّ الأسعار رخيصة جدّا ترغيبا للمرسل إليه في الشراء، والثاني: ما يتأوله المرسل إليه بأن الأسعار غالية جدا.

وهذا ما يعكس دور القصد بمفهوم المعنى وتعدّده في تشكيلِ الخطاب، كما يقوم بدوره في تعدّد التأويلات واختلافها في الخطاب الواحد، ذلك أنّ الخطاب "قد يُصاغ في تمثيل تدرك معانيه الحرفية، ولكنّها غير كافية لإدراك المغزى واستخلاص العبرة، وعلى هذا فإن النص لا يتمظهر في شاكلة واحدة وإنما في كيفيات مختلفة وراءها مقصدية المرسل، ومراعاة مقصدية المرسل المخاطب، والظروف التي يروج فيها النص وجنس النص، وهذه الماورائيات نفسها تؤدي إلى اختلاف استراتيجية التأويل من عصر إلى عصر، ومن مجموعة إلى مجموعة، ومن شخص إلى شخص، بل إنّ الممارسة التأويلية الشخصية دينامية"[1].

5. الاستلزام الحواري وإدراك مقاصد الخطاب:

اهتمّ **بول غرايس** بمفهوم "الضمني" أو الدّلالات التّلميحية لفهم مقاصد الخطاب، بوصفه نتيجة لقواعد التخاطب (مبدأ التعاون)[2] ، وبما أن كل خطاب تواصلي يكون تصريحيّا بشكل جزئي، وضمنيّا بشكل جزئي أيضا على وفق درجة مراعاة تلك القواعد، فإن جزءا من الدلالة ينشأ من معطيات ضمنيّة. وفي حال غياب هذا الضمني يمتنع التواصل. ولأهمية الضمني في تحقيق التواصل شدّد التداوليون على متضمنات القول. فقد "عمّق أوستن تأمّله لظاهرة الضمني عند فحصه مختلف الطرق التي يستلزم فيها إخبار صحّة إخبارات أخرى وذلك بمناسبة تأمله(للإخفاقات) و(حالات عدم النجاح)[3]. ومفهوم الضمني عنده على ثلاثة أنواع[3]:

1- ما يؤدّي إليه، ومنه علاقات الاستلزام والتناقض من وجهة نظر منطقية.

1 - ينظر: عبد الهادي الشهري، استراتيجيات الخطاب، ص ص: 206-207.

2 - ينظر: صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس البحث العلمي، الحولية 25، 2005، ص: 87.

3 - فليب بلانشه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007، ص: 145.

2- ما يُفهم منه، الاستلزام الاعتقادي أو المصداقي.

3- ما يقتضيه، ومنه استلزام الوجود.

وقد عدّ سيرل الضمني شرطا لنجاح أي عمل قولي؛ لأن مقاصد المتكلمين تقع في صميم شروط النجاح التعاونية وفي صميم القوة المتضمنة في القول[1]. وعليه أصبح مفهوم متضمّنات القول مفهوما تداوليا يتفرع إلى ثلاثة فروع إجرائية، يمثل كل فرع منها أداة وآلية تحليلية معنية برصد الظواهر اللغوية المتعلقة بجوانب من المعنى ضمنيّة وخفيّة، تحكمها ظروف الخطاب العامة(السياق بمفهومه العام)، وهي[2]:

1. الاستلزامات الحوارية
2. الافتراضات المسبقة
3. الأقوال المضمرة

وتعدّ الاستلزامات الحوارية من أهم مفاهيم التداولية، بل ألصقها بالإجراء التحليلي في الدّرس التداولي. وقد نشأ هذا المفهوم على يد غرايس سنة 1967، في بحث يحمل عنوانه "المنطق والحوار"، عالج فيه الاستلزام الحواري / الاقتضاء التخاطبي، وتم نشره في عام 1975. ومن هنا بدأ غرايس عهدا جديداً في علم الاستعمال[3]. حيث يسعى المشاركون في التخاطب والحوار إلى قول ما يقصدون، وقد يقصدون أكثر مما يتلفّظون، وقد لا يعكس قصدُهم قولَهم، لهذا حاول علماء التداولية إلى إيضاح الاختلاف بين ما يُقال (المعنى الحرفي) وما يُقصد (معنى المتكلم)، على افتراض أنّ المخاطب قادر على فهم قصد المتكلم بما يتاح له من أعراف الاستعمال ووسائل الاستدلال، فأراد أن يجد آلية ينتقل بها من المعنى الحرفي للقول إلى المعنى الضمني الذي يحمله القول، فنشأت عند غرايس فكرة الاستلزام / الاقتضاء implicature؛ لأنه "يقدم تفسيرا صريحا لمقدرة المتكلم أن يعني أكثر

1- ينظر: فليب بلانشه، التداولية من أوستن إلى غوفمان، ص ص: 146-147.

2- ينظر: مسعود صحراوي، التداولية عند العلماء العرب، ص ص: 30-33.

3- ينظر: صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، ص ص:18 و21.

مما يقول بالفعل"[1] . والاستلزامات أو التلميحات الخطابية هي "المضمون الذي تبلغه الجملة بكيفية غير صريحة"[2]. فالجملة- إذن- تتضمّن معنيين اثنين في الوقت نفسه: أحدهما حرفي والثاني مستلزم. فجملة: **أقلع زيد عن التدخين**. تتضمن معنيين: الأول: حرفي/ صريح هو أن زيدا أقلع عن التدخين الآن. وهذا المعنى هو المحتوى المقرّر أو المعلن أو المخبر عنه. وفي الوقت نفسه أبلغ المتكلم بكيفية غير صريحة أن زيدا كان يدخّن في وقت مضى. وهذا المعنى هو المحتوى المتضمّن (المقتضى أو المستلزم)[3].

فالاقتضاء يتحقّق اعتمادا على مضمون الكلام بظروف معينة أو معطيات مسبقة يعلمها المخاطَب أو تتعلّق بطبيعة التّخاطب القائمة أساسا على مبادئ التعاون. ومن هنا أكّد غرايس أن الاقتضاء يتحقّق بطريقتين، طبقا للموقف الذي يتّخذه المتكلم من تلك المبادئ[4]:

1 - صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، ص: 141.

2- آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ص: 47.

3- ينظر: المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

4- ينظر: صلاح إسماعيل، النظرية القصدية في المعنى عند جرايس، ص: 81، ومحمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006، ص: 33.

وفقاً لذلك يقدر المتكلم أن يعبر عما يريد قوله بطريقتين استلزاميتين، طبقا لمراعاته قواعد مبدأ التعاون أو خرقها، "فقد يراعي المتكلم القواعد والحكم بشكل صريح إلى حدّ ما، تاركا للمخاطب مهمة توسيع وتظهير ما قيل باللجوء إلى استدلالات مباشرة انطلاقا من مراعاة المتكلم للقواعد"[1]. فجملة: الفاكهة الطبيعية هي السرّ في طعم العصير. تقتضي أن العصير مصنوع من الفاكهة، وهو القصد الرئيس للمتكلم، وهو ثابت لا يتغير بتغير السياقات؛ لأن الاقتضاء النموذجي يستعمل بغض النظر عن سياق الكلام.

ولكن قد "يخلّ المتكلم، عن قصد وعلانية، بقواعد التخاطب، أو كما يعبّر عن ذلك غرايس، عندما يستخف المتكلم بهذه القواعد"[2]، يحصل ما يسمّى بالاقتضاء التخاطبي؛ لأنه يتغير بتغير ظروف إنتاج العبارة اللغوية. أي أن الاستلزام التخاطبي يستعمل بمراعاة سياق التلفظ لإفهام القصد.

ويتّضح لنا عبر ذكر هذه الأمثلة أنّ مفهوم الاقتضاء التخاطبي يتّسم بالتعقيد الدلالي ويفتح احتمالات تأويلية عدّة نظرا للغموض الذي يلفّ إيصال المقصد أحيانا، وهذا الغموض "هو الذي يمكّن من توظيفه في تحقيق وظائف مشبوهة، كالتضليل والإيهام"[3].

ما نستنتجه هو إرساء غرايس لدعائم نظرية الاقتضاء التخاطبي، بوصفها نظرية خاصة بكيفية الاستعمال والأداء اللغوي، نهضت على مبدأ عام يقضي بتعاون المتخاطبين بهدف تحقيق الفعالية القصوى لتبادل المعلومات. وفحوى هذا المبدأ هو أن الكلام على قدر ما يقتضيه الغرض من التواصل. ومن جانب آخر قامت النظرية على مبدأ التعاون الذي يجعل من السلوك اللغوي فعلا ناجحا، ويساعد على رصد الاقتضاء التخاطبي بوصفه خرقا مقصودا لقاعدة من قواعده، لإدراك انسجام معاني

1- الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 430.
2- المرجع نفسه، الصفحة نفسها.
3- المرجع نفسه، ص: 432.

الملفوظات مع المقصود من التخاطب[1]. فالاقتضاء إذن ينبع منطقيا مما قيل في ملفوظ المتكلم، والملفوظات هي التي تحتوي الاقتضاء في طيّاتها.

6. أهمية المعرفة المشتركة في فهم القصد:

يعتبر طه عبد الرحمن أنّ المعرفة المشتركة لها دورٌ فعّال في بلوغ الغايات التي يرومها المتكلم في مقاصده أو ما يعرف بالمعرفة التداولية هي "جملة من الاعتقادات والتصورات والتقويمات عن الذّات والغير والأشياء والمعاني، يشترك فيها المتكلم والمخاطب مع جمهور الناطقين"[2]، وهي أربعة أقسام:

ويقيم الدرس التداولي صلةً متينة بين فهم القصدية والمعرفة المشتركة في التفاعل التخاطبي بين المتكلم والمخاطَب ؛ فـ"المعرفة التي نملكها، كمستعمِلِي لغة ما، عن التفاعل الاجتماعي عن طريق اللغة ليست سوى جزء من معرفتنا الاجتماعية الثقافية العامة. هذه المعلومات العامة عن العالم هي أساس فهمنا لا للخطاب فحسب بل ربما لكل جوانب خبراتنا الحياتية"[3]. ففي قول القائل: (مَنْ دَخَلَ بَيْتِي أَكْرَمْتُه)، وإن كانت (مَنْ) تفيد استغراق الجنس في اللغة، ففي العرف التخاطبي كما يسميه اللساني الفرنسي أزفالد ديكرو[4]، لا يجوز أن يكون اللص مُرادا ومقصودا و داخلا في (مَنْ)، وهذا راجع إلى المعرفة المشتركة (العُرف) التي اقتضت استبعاد اللص دون سواه عند المتكلم والمخاطب.

1- ينظر: حافظ العلوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص: 21.

2- طه عبد الرحمن، اللسان والميزان، ص: 152

3 - Brown and yule. *Discourse Analysis* , 1997 , p279.

4 - Ducrot.O, *Le dire et le dit*. Paris: ed.de Minuit , 1984, p : 7.

هنا تلتزم التداولية بتحيين أحكامنا في تحديد المقاصد التي تعتبر جزء من معرفتنا المشتركة عن العالم، وإلاّ صار المشترك إلى التقلص والاضمحلال أو التقادم والزوال، إنها دعوة لتوسيع دائرة المعرفة المشتركة بالاستجابة الجماعية والفورية لسرعة التحول وملاءمته مع النصوص.

ومن جملة عناصر المعرفة المشتركة التي ساقتها التداولية، الاتفاق على قصد واحد في بناء أيّ حوار وتواصل إضماري أو إظهاري، ولضمان هذا التواصل – بين المتكلم والمخاطب- لا بدّ أن يكون قصد المتكلم منشورا (publique) حتى يتم تفكيك المضمون المطوي لدى المخاطب، ولن يتسن هذا النجاح إلا بشرط توافر معرفة متبادلة (connaissance mutuelle) بين منشئ الخطاب (أي المتكلم) ومستقبله (أي المخاطب)[1]. وتفترض المعرفة المشتركة أن تكون الوقائع والمعلومات التي تجمع أطراف الرسالة التواصلية معروفة مسبقا بين المتفاعلين، أو كما يقول **ريكاناتي**: إنها المعرفة التي يمتلكها هؤلاء الأشخاص حول هذه الواقعة، أو حول المعرفة التي يمتلكها الآخرون، أو حول المعرفة التي يمتلكها الآخرون حول هذه المعرفة ...الخ[2].

7. دور الخلفية المعرفية والكفاءة الموسوعية في فهم المقصدية:

تعدّ الخلفية المعرفية إحدى ملكات القدرة التواصلية، فمن سمات هذه الأخيرة "أن تكون محطّ معرفة ضمنية مسبقة بين المتحاورين"[3]. ويعرّفها سيمون دايك بأنها رصيد من المعارف المنظمة المخزونة في الذاكرة[4]، التي يمكن أن يستحضرها الفرد في المواقف المتعددة. وهي أشبه بخزانة تحوي داخلها معلومات خارجية تعبيرية أدائية تتناول السياق، أو هي مجموعة معارف ومعتقدات وطرق تمثيل العالم

[1] – يُنظر: آن ريبول وجاك مشلر، القاموس الموسوعي للتداولية، ص ص: 71-77.
[2] - Récanati, F. "*La Transparence et l'énonciation*", 1979, p181-182.
3- حسن مصدّق، النظرية النقدية التواصلية، ص: 145.
4- ينظر: الشهري، استراتيجيات الخطاب مقاربة لغوية تداولية، ص: 57.

المرجعي وكيفيّات التأويل التي يمتلكها الفرد[1]. ولذلك اصطلح على تسميتها بـ "المسلمات الاعتقادية أو الزّاد المعرفي أو المعلومات القبلية أو المسلمات الصامتة"[2].

ومن الصّعب تحديد لائحةٍ بما تحتويه هذه الخلفية المعرفية من معلومات هائلة، إلاّ أنها تمتاز بإمكانية إسعاف المتلقي بفيض من التوقّعات التي تسبق عملية التلفظ، فيسهل عليه إدراك قصد المتكلم؛ وهكذا تتدخّل هذه الخلفية المعرفية بشكلٍ حاسم في تشييد معمارية المقصدية أثناء التلفظ، وتعين في فهمها وتأويلها، فـ"مجموع قدراتنا المعرفية تدخل في تأويل الملفوظات"[3].

ويمكن أن تكون هذه المعرفة؛ معرفة عامة، أو معرفة خاصّة وبدرجات متفاوتة، بموضوع معيّن، أو متعلقة بالعالم الخارجي، أو متعلّقة باللغة واستعمالاتها، أو متعلّقة بما يعرفه كل من المتكلم والمخاطب عن الآخر وعن نفسه، أو قد تكون مشتركة بينهما، أو قد تكون معرفة فكريّة[4]. إلاّ أن ما يهمّ البحث في هذا السياق هو التعرّف على مدى تأثيرها كقوة إجرائية في التحليل التداولي لمقصدية الخطاب. وترى أوريكيوني أنّ الخلفية المعرفية تتحرّك "على جميع الصّعد، فهي تدخل في عملية فكّ ترميز المحتويات الصريحة [...] ولكنها تتدخّل على نحوٍ جليّ ومكثّف أكثر بكثير في عملية فكّ ترميز المحتويات المضمرة"[5].

وتتضاعف الصّعوبة كثيرا في تقديم فهم وتأويل للمقصد الخطابي الذي تمتزج فيه المضمرات ويمتلئ بالاستعارات والكنايات، وهو ما يتطلّب استدعاء معرفة خاصّة من خارج الملفوظ، ولا سيما عند محاولة "فكّ شيفرة المضمّن أو التّلميح [...] يتعيّن كذلك اللجوء إلى هذه المعرفة الخارجية القولية الخاصة بغية التحقق من وجود بعض المحسنات البيانية"[6].

1- ينظر: كاترين كيربرات – أوريكيوني، المضمر، ص: 285.
2- حافظ إسماعيل علوي التداوليات علم استعمال اللغة، ص: 178.
3- المرجع نفسه، ص: 178.
4- ينظر: كاترين كيربرات – أوريكيوني، المضمر، ص: 285.
5- كاترين كيربرات – أوريكيوني، المرجع نفسه، ص: 287. وينظر: حافظ العلوي، التداوليات علم استعمال اللغة، ص: 179.
6- كاترين كيربرات – أوريكيوني، المرجع نفسه، ص: 287.

وهذه الصور المجازية لا يتمّ الحكم على مجازيّتها إلاّ في ضوء معرفة العالم الواقعي والظروف الشخصية التي تحيط بصاحب الخطاب لبناء دلالة تصورية لمقاصده. لذلك كان "لا بدّ أن تكون قابليتنا في الوصول تلقائيا إلى تفسيرات ما لم يكتب وما لم يتم قوله مستندة على بنى معرفة موجودة مسبقا. تؤدّي هذه البنى وظيفة معروفة موجودة مسبقا لنماذج مألوفة من خبراتنا السابقة التي نستعملها لتفسير تجارب جديدة"[1]. ويقترح جورج يول لهذه المعرفة مصطلح مخطط schema، ويعني به البنية المعرفية الموجودة مسبقا في الذهن[2]. وعندما تكون المخططات من نوع "أكثر دينامية، فإنها تدعى مخطوطات، والمخطوطة script هي بنية معرّفة موجودة مسبقا تتضمن تتابع أحداث"[3]. وتستعمل هذه المخطوطات لإيجاد تفسيرات لأحداث ما يجري.

وفي ربط المقصدية بالإطار الضمني للملفوظ، تتدخّل الخلفية المعرفية بوصفها مقدمات ضمنية في العمليات الاستدلالية التي يجريها المخاطب لتوليد المعنى المستلزم من المعنى الحرفي. وبحضور هذه المقدمات المعرفية في ذهن المتكلم، وافتراضه حضورها في ذهن المخاطَب، يضمّن المتكلم خطابه المعنى الضمني، ومن ثمّ، يتمكّن المخاطب من اكتشافه. ولعل الإجابة على السؤال الآتي توضّح ذلك[4]:

س: هل تريد فنجانا من القهوة؟

وهو يحتمل عدة إجابات تتفاعل مع تعدد الدلالات التصورات لمقصدية الملفوظ:

أ- لا أحبّ شرب القهوة.
ب- لا أتناول منبها قط.
ت- أريد أن أنام بعد ساعتين.

1- جورج يول، التداولية، ترجمة: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ودار الأمانن الرباط، المغرب، ط1. 2010، ص: 130.
2- ينظر: المرجع نفسه، ص: 130.
3- المرجع نفسه، ص: 131.
4- ينظر: المرجع نفسه، ص ص: 180-181.

من الواضح أن الإجابة الأولى (أ) مباشرة وحرفية عن السؤال، بينما الإجابة الثانية (ب) إجابة غير مباشرة عن السؤال ذاته، ولا يتمكّن المخاطب من فهمها إلا في ضوء خلفية معرفية تفيد بأن القهوة منبه من بين المنبهات. أما الجواب الثالث (ت)، فهو غير مباشر أيضا، ولا يتمكن المخاطب من فهمه وتأويله إلا في ضوء خلفية معرفية تفيد بأن القهوة منبّه من المنبهات، وأنها تمنع شاربها من النوم لأكثر من ساعتين من لحظة شربها. وهاتان المعلومتان يتضمنهما السؤال وينقلهما إلى المخاطب بشكل ضمني[1].

ومن الضروري أن نتعامل مع مثل هذه الإجابات بوصفها تفسيرات محتملة أو ممكنة، عادة ما يتجنّبها المستمعون إذا لم تسعفهم خلفيتهم المعرفية بمزيد من المعلومات[2]. وهذا الأمر يجعل الخطاب "ممارسة تستثمر المعارف المسبقة، وتشكل في الوقت نفسه معارف جديدة لا تنضب"[3].

ومن هذا المنطلق، تُعدّ الخلفية المعرفية مهمّة لتحديد ما تعنيه مثل هذه الملفوظات عندما يتلفظ بها متكلم في سياق معيّن[4]. أي أنّ الكفاءات الموسوعية والخلفيات المعرفية هي مفتاح قراءة لمقاصد الخطاب.

وهكذا بالنسبة للخطاب أيا كان نوعه، فبقدر ما تمدّنا خلفيتنا المعرفية بمعلومات، نبني تفسيرات لما نسمع أو نقرأ أكثر بكثير مما تتضمنه الملفوظات أو الكلمات. وعليه فلا ينشأ فهم ما يقال أو يقرأ من الملفوظات أو الكلمات والجمل مباشرة، وإنما ينشأ مما تسعفنا به الذاكرة من معلومات مختزنة، فيتحقق التواصل بين المتخاطبين أو بين الكتّاب والمتلقين.

1- ينظر: كاترين كيربرات – أوريكيوني، المضمر: 289.

2- ينظر: جورج يول، معرفة اللغة، ترجمة: محمود فرّاج، دار الوفاء، ط1، الإسكندرية، 1998، ص: 153.

3- كاترين كيربرات – أوريكيوني، المضمر: 290.

4- محمد محمد يونس علي، المعنى وظلال المعنى، دار المدار الإسلامي، ط2، ليبيا، 2007، ص ص: 148-149.

الباب الثّاني:

استراتيجيّات التأويل والانفتاح التداولي للخطاب

- الفـــصل الأول: الاستراتيجيّات المعرفية في تأويل الخطاب.
- الفصل الثاني: الاستعـــارة واســـتراتيـجيات التّـــأويل.

يخضع الخطاب بشتّى فنونه وأنواعه لمقوّمات متعدّدة وعناصر متلازمة وأركان منسجمة، تنضوي تحت إطار مبنين وعامّ يضبط آلياته إنتاجاً وتأويلاً. تتحدّد أهم هذه المقوّمات في لزوم توفّر المشاركين (المُلقي والمتلقّي) على كفاءات متنوعة ومعارف واسعة تنتمي إلى مستويات مختلفة وهو ما تُطلق عليه التداوليات بالكفاءات الموسوعية للمتواصلين[1]. فحاولت مقاربات نظرية متعدّدة البحث في مقوّمات الخطاب ومرتكزاته، فكانت الحصيلة بناءَ نماذج عمّقت البحث في مختلف الإشكالات التي يطرحها الخطاب، سواء من حيث آليات إنتاجه وشروط تأويله ومستلزماته.

لهذا سنحاول الوقوفَ على بعض التّصورات التي تناولت هذه الحزمة من الإشكالات مركّزين على ما قدّمته المقاربات المعرفية (أي ما يتّصل بعلم النفس المعرفي) في وصف معمارية الوظيفية لمختلف أنساق المعلومة الموجودة في الدماغ والتي توظَّف في عملية إنتاج وتأويل الخطاب[2]. وكانت استثمرت التداولية التطورات الهائلة المكتشفة في ميادين الذكاء الاصطناعي واللسانيات وعلم النفس المعرفي والعلوم العصبية وفلسفة العقل وغير ذلك من مجالات المعرفة. وتجتمع هذه الميادين في البحث عن تفسيرات لقُدرة العقل الإنساني ونشاط الدّماغ واشتغاله،كما أنها تبحث عن وصف منهجي للسيرورات العقلية العاملة على مستوى الأنظمة الحية وكذلك دراسة الآليات العصبية المنظمة والفاعلة على مستوى الدماغ والتعبير عن هذه الأوصاف المجردة بصيغ البنية والوظيفة والمضمون[3]. أو بعبارة أخرى: هي تبحث في طبيعة المعرفة ومما تتألّف، كما تتعمّق في دراسة معالجة المعلومات سواء الرمزية منها أو غيرها؛ وذلك بتناولها على مستوى التّمثُّلات المعرفية، ومن خلال عمليات الفهم والاستدلال والتأويل. أي أن الاهتمام بالمجال الذهني والحقل المعرفي، قد استعاد عافيته، بعد الإقصاء الذي تعرّض له في كثير من مباحث الفلسفة وعلم النفس السلوكي. فاسترجعت هذه الحقول تحت

[1]– يُنظر إلى: كاترين كيربرات–أوريكيوني، "المُضمر"، ترجمة: ريتا خاطر، ص ص: 284–289.

[2] - Schiffrin.D., *Approches to discourse*, oxford ukand cambridge USA, Blackwell, 1994, pp : 27-31.

[3] look to "David Lee, *Cognitive Linguistics:an introduction*, Oxford University Press 2001,p.2&3.

مظلة التداولية دراسة أشكال الاشتغال المعرفي للعقل الإنساني إلى جانب إعطاء أهمية للاستبطان (introspection) لكونه طريقة تُفيد في الكشف عن عدد من الوقائع التي لها حضور معين في هذا الاشتغال[1].

1. تحديد الخطاب:

حاولت دراسات عديدة تحديدَ مفهوم الخطاب بالاستناد إلى أبعادٍ متعدّدة، غير أنه يمكن إجمالاً اعتبار تلك الدراسات قد قامت بتحديد الخطاب من زاويتين: أولاهما في كون الخِطاب وحدة لغوية خاصّة تتعدّى حدود الجملة ويمكننا هنا إدراج مفهوم **فان دايك**[2] للخطاب كوحدة لغوية كبرى تُشكّل توليفاً فيما بينها. وتعتمدُ هذه الزاوية على مبدأي التضامّ والتلاحم؛ فالخطاب على حدّ تعبيره هو "أكثر من متوالية اعتباطية للجمل..إنه تآلف بين الجمل. إنه تمديدات مركّبة"[3]. أمّا الزاوية الأخرى فتركّز على الجانب الاستعمالي للخطاب، بعبارة أخرى على البؤرة الإنجازية. وفي هذا المضمار يمكننا إدراج تعريف **شفرن**[4]، التي تعتبر الخطاب استعمالاً للغة لأهداف إحالية أو مرجعية، كما يمكن أن ندرج التعريف الذي ساقه أحمد المتوكل : "يعدّ خطابا كل ملفوظ/مكتوب يشكّل وحدة تواصلية تامة"[5].

بين هذه الزاوية وتلك، يمكننا توظيف تصوّر يُدمِجهما معاً؛ فالخطاب يتجاوزُ في تلاحم بناه حدودَ الجملة ليُشكّل لنا بنية كبرى، ويحتفظ في الوقت نفسه على خصائصه الاستعمالية وشروط إنتاجيته وما يرتبط بتواصليته أثناء الأداء اللّساني.

إنّ الخطاب نشاط مبنين مبدؤه حصر القصد التواصلي ومنتهاه تمرير هذا القصد التواصلي في خطاب معيّن. إنه شكل من أشكال التأثير على الآخر؛ إذْ يهدف إلى التأثير على وضعية معينة،

---

[1] – عبد الكريم بلحاج ، "علم النفس المعرفي:قضايا النشأة والمفهوم"، مجلة فكر ونقد. دار النشر المغربية، الدار البيضاء، العدد 58.

[2] - Van Dijk.T.A, *Cognitive text models and discourse*. In M.Staimnow (ed). Language, structure, discourse and the access to consciousness, Amsterdam, Benjamins,1997 , pp 189-226.

[3] - ibid, p : 191-192.

[4] - Schiffrin.D., *Approches to discourse*, Oxford Ukland Cambridge USA, Blackwell, 1994, p 390.

[5] – أحمد المتوكل، الوظيفية بين الكلية والنمطية، دار الأمان، الرباط، 2003، ص: 23.

وهو محكوم بطبيعته الدّينامية، وخصائصه التفاعلية، باعتبار أنه يخضع لقُطبين أساسيين: يمثل أحدهما المتكلم، الذي يصوغُ قصداً تواصليا محدّدا وثانيهما المخاطَب، الذي يبني تأويلا لقصد المتكلم. إن الخطاب –كما يشير إلى ذلك مانكونو[1]– هو الاستعمال الحقيقي للّغة في أوضاع حقيقية بواسطة متكلمين حقيقيين.

2. آليات الإنتاج والتأويل:

سعت المقاربات التداولية المعاصرة –التي تتّصل في أجزاء منها مع مقولات العلوم المعرفية (sciences cognitives) – إلى تقديم تصوّرات جديدة لفهم ميكانيزمات و وظيفيات إنتاج الكلام وفهمه من جهة، وتفسير الإجراءات الذهنية المحرّكة له من جهة أخرى، إلى جانب استقصاء مختلف الإجراءات والآليات التي تشتغل تحتها تداوليات المعارف والمعلومات وتنظيمها في خطابٍ استراتيجي أو تخييلي. كما تبحث أيضا في آليات اشتغال مقاصد هذا الخطاب، استقصاءً لاستراتيجياته النصية وإدماج أوصافها بما يراه المؤوّل ملائماً للإجراءات الذهنية المتضمنة في إنتاج الخطاب وتأويله. وقبل عرض التصورات التداولية والمعرفية الحديثة حول آليات الاشتغال الذهني للمقاصد واستراتيجيات التأويل، ارتأينا ذكر بعض الفرضيات ما قبل التداولية التي ساهمت في البحث عن أوليات الفهم والتأويل الخطابي.

أ. الفرضيات ما قبل التداولية ومسألة التمثيل المعرفي:

تعدّدت المحاولات في إخراج صيغةٍ مهمّة لتفسير الاشتغال الذهني وكيفية تبلور وتأويل الخطاب، إلاّ أنها ظلّت ناقصة إذا ما تمّت مقارنتها بالصعيد المعرفي الذي قدّم إنجازات مهمّة وثريّة في مجال الاشتغال الذهني وغيره من النشاطات المعرفية. ومن هذه الجهود:

[1] -Maingueneau.D, *L'analyse de discours et ses frontières* ; Marges linguistique, N9, 2005, PP 39-45.

1– النموذج التفاعلي Le modèle interactif :

و نظّر له كل من مارسلان ولسون وتايلور: فالمستمع يُحاول تأويل ما يُدركه كلية مباشرة بعدما يلتقط هذه المدركات، كما أنّ السياق عامل مهم في تأويل المنطوقات[1]. وقد "وضعا أثر الانتظار المرتبطة بالسياق موضع البداهة، واقترحا التخلي عن فكرة المستويات المتميزة للمعالجة ... [وهذا يعني أنَّ] نشاط الذات سيقتضي بناء تأويل للجملة منذ البداية. وذلك بالاستناد إلى نماذج المعلومات المتوفرة في وقت واحد: عناصر معجمية: آثار نحوية، أو معطيات سياقية"[2].

2– النموذج التسلسلي Le modèle sériel :

وتُسمّى أيضا بالمداخل المعجمية؛ حيث يمتلك كل متكلم للُغةٍ من اللغات في الذاكرة معجما داخليا، أي مجموعة من التمثيلات مع وحدات دالة في لغته، ومن تحديدات هذا المذهب: "أنه كلما كانت الكلمة متواترة، كان المدخل إليها أكثر سرعة، وهذا هو أثر التواتر، وأن الكلمة لتكون أكثر سرعة إذا سبقتها كلمة أخرى تشترك معها دلاليا، وهذا هو أثر التنبيه"[3]، ومن رُوّاد هذا المذهب هم: فورستر؛ حيث رأى أن عملية الفهم منوطة بالمعالجة المعجمية أي مماثلة بين الوحدات كالليكسيمات والغرانيمات...."وهو يتطابق مع تصور تغير الصوت؛ حيث تُنفَّذ المعالجة المعجمية بشكل مستقل عن المستويات النحوية والدلالية، وتدعو إلى النظر إلى المعجم بوصفه قاموسا نستشيره تبعا لبحث تتابعي ونشيط"[4]. ونجد أيضا ضمن الأطروحة التعاقبية مورتون "وهي تقترح أن لا يوجد بحث، تنشيط

---

[1] J-Caelen,"*Eléments de linguistique et de pragmatique pour la compréhension automatique du langage: du signe au sens*", CLIPS, France, p37.

[2] – أوزوالد دوكرو وجان ماري سشايفر، "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان"، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2007، ص: 452.

[3] – المرجع نفسه، ص: 449.

[4] – المرجع نفسه، الصفحة نفسها.

آلي للكلمات عن طريق المعلومات التي يجمعها النسق. وإنَّ هذه السيرورة للتنشيط السلبي، والتي تسمح بالكشف عن أثر التنبه مثلا، لتفترض تفاعلا دائما بين كل مستويات المعالجة"[1].

وتكاد تجتمع هذه التصورات المعجمية والدلالية، في محاولتها تقديم تفسير لما يحدث قبل التلقي وأثناءه وبعده، على أن المُتلقي يستقبل توليفات من الكلمات المنظمة في جمل مضبوطة نحويا وحاملة لمعنى، ومحققة لفعل تواصلي، وهذه الجمل بدورها تنتظم في شكل أعلى وهو الخطاب وذلك في المحادثات والحوارات والقصص مثلا. ويُمكن تمثيل حيّز بحثها في المخطط التالي[2]:

1 – أوزوالد دوكرو وجان ماري سشايفر، "القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان. ص: 449.

2 – فالح العجمي، العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص، مجلة عالم الفكر، إصدار المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد28، العدد 1، 1999. ص: 349.

ب. التصورات التداولية:

تلتفت التداولية إلى دراسة المعنى التواصلي، أو معنى المرسِل في كيفية قدرته على إفهام المرسَل إليه بدرجة تتجاوز معنى ما قاله[1]؛ وتطرح هذه المقاربة من التساؤلات ما هو جوهري في البحث عن عمليات الفهم والتأويل مثلا: "كيف نربط علاقة مع الأشخاص الآخرين بوساطة القول؟ وكيف نسهر على بقاء علاقات موجودة سلفا؟ وكيف يُمكننا التأثير على نشاط وآراء الأشخاص الآخرين؟ وما هي الطرق التي تتم بها الإحالة داخل التلفُّظات على سياق النشاط والمقام، وكذلك على واقع العالم (الطبيعة) والمجتمع، و سيرورة العمل الذي يتِمُّ نقله بوساطة التقاليد والتربية والخبرة؟"[2].

هذا يعني عامة أن الحقل اللساني التداولي يهتم بالبُعد الاستعمالي والإنجازي للكلام، ويأخذ بعين الاعتبار المتكلم والمخاطب والسياق، وما يقوم من تواصل وتفاعل بين هذه الأركان ووصف جدّي لآليات هذا التواصل في الخطابات، والمتمثلة في عملية الفهم الأوّلي، متبوعة بعملية التأويل؛ "فالمُرسِل يبحث عن أفضل طريقة لينتج خطابا يُؤثّر به في المُرسَل إليه، كما أن المُرسَل إليه يبحث عن أفضل كيفية للوصول إلى مقاصد المُرسِل كما يُريدها عندما أنتج خِطابه لحظة التلفُّظ، وهذه الإجراءات لا تتبلور عبر منظومة خوارزمية تجريدية كما هو الحال في النحو، بل عبر تقدر ذهني عام"[3].

ونجد هنا مجموعةً من التساؤلات التي تفرض نفسها منها: ما الكيفية التي نصوغ بها أقوالنا؟ أو ما هي الميكانيزمات المشتغلة التي تحدث في الأذهان؟ وإضافة إلى الأداءات العادية للخطاب التي نقوم بها هناك استعمالات منزاحة عن أشكال التواصل المعهودة، فما هو مردّ ذلك؟ وهي إشكالات نحاول الإجابة عليها أولا لنبحث بعد ذلك عن وظيفة هذه الميكانيزمات داخل الاشتغال الذهني، وهي ببساطة عمليات تنزع إلى ممارسة نوع من التحليل والتفكيك والاستنتاج والاستدلال والبناء للأقوال، بما فيها الانزياحية التي نتلقّاها في البلاغات اليومية والجمالية (أي في الأدب) وذلك بشكل

---

1 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، "استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص: 22.

2 – الجيلالي دلاش، "مدخل إلى اللسانيات التداولية"، ترجمة: محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992، ص: 43.

3 – عبد الهادي بن ظافر الشهري، استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية، ص: 24.

وظيفي في عملياتنا العقلية. كما يبحث الاشتغال الذهني في المعرفة من حيث صيرورتها، والتنظيم وفق البناء المعرفي للفرد، وتجهيز وتصريف ومعالجة المعلومات من حيث أنظمةُ التجهيز وطبيعة اشتغالها، واستراتيجيات المعالجة التي تتوقف فاعليتها على خصائص البناء المعرفي للفرد[1].

و تبحث كل من العلوم المعرفية والمقاربة التداولية عن إجابة لتساؤلات من قبيل:كيف أننا قادرون على معرفة ما نعرفُه؟ وما هي البنيات الإدراكية التي تجعل من المعارف متداولة بيننا؟ وما هي حدود وقدرات المعرفة وميكانيزمات العملية الإدراكية؟ وكيف يشتغل الذهن؟ نحو كيف يستقبل ويُرسِل؟ وكيف يُرتب؟ وكيف يستنتج؟[2].ومن أهم أطروحات العلوم المعرفية حول كيفية اشتغال الذهن البشري أثناء التلقي: أطروحة الوظيفية التي مفادها أن كيفية اشتغال الذهن البشري البيولوجي شبيهة باشتغال الآلة الميكانيكي أو الالكتروني، ومن أنصار هذا الاتجاه هيلاري بوتنام[3] Hilary Putnam.

وهناك الطرح التمثيلي أو التمثيلية: أي أن أدمغتنا تشترك مع الحواسيب في قدرتها على معالجة التّمثُّلات[4] (Représentation) ذات الصّورة الرمزية. ومن أبرز ممثلي هذا المذهب نجد: جيري فودور و دان سبربر وسوزان دردر ولسون وغيرهم.

1- جيري فودور Jerry A.Fodor: جيري فودور[5] Jerry A.Fodor، من خلال تنظيره للمنظومية أو القالبية Modularité de l'esprit، التي تُكون مع نظرية الفضاءات الذهنية Les

[1] - عبد الكريم بلحاج ، علم النفس المعرفي:قضايا النشأة والمفهوم. دار النشر المغربية، الدار البيضاء، العدد: 58.

[2] - عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج:مقاربة تداولية معرفية، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، المغرب، 2000، ص25.

[3] - هيلاري بوتنام فيلسوف ومنطقي أمريكي وُلِد سنة 1926، وهو من القائلين بالنسبية العلمية التي تُقرّ باستقلال الواقع مع أنه يعتبر أن مقاربة هذا الواقع لا تتسنّى إلاّ من خلال مختلف الخطاطات المفهومية ومن خلال الممارسة.

[4] - التمثل و التمثيل مصطلحان يسود في التداولية وهما مجموعة المعارف والاعتقادات التي تُخزّن في الذاكرة (التمثل) ويتم استرجاعها عند الحاجة ومعالجتها معالجة ذهنية (التمثيل)

[5] - جيري فودور فيلسوف وعالم نفس أمريكي وُلد سنة 1935. باحث في مختبر متخصص في الالكترونيات. يُدرّس الفلسفة وعلم النفس منذ سنة 1963 في معهد مساشوستس للتكنولوجيا MIT، من الذين أوضحوا مفهوم المنظومية الذي كان شائعا في الدراسات اللسانية النفسية وقد أعطاه صيغة حديثة في كتابه: Modularity of Mind 1983.

espaces mentaux النظرية التداولية المعرفية، قدّم تصوراته حول آليات اشتغال أذهاننا عندما نقوم بتلقي النصوص والبلاغات. وافترض فودور Fodor أن اشتغال الذهن يتّصل بالمدركات الموزَّعة على منظومات متخصصة في معالجة المدركات البصرية، والأخرى في معالجة المدركات السمعية، وثالثة في معالجة المدركات اللغوية[1].

وحسب فودور؛ فالذهن يحتوي على صنفين من الأنظمة: المدارية المتخصصة في التحليل والمعالجة عن طريق نظام معرفي يُدعى القالب، وأنظمة مركزية تعمل على مركزة المعلومات المدركة ومُراقبة تألُّفها، وذلك بإدماجها في المعلومات المختزنة في الذهن، ويتكوّن هذا الأخير من أنظمة قالبية متخصصة: كالقالب اللّمسي والشّمي واللّساني....وهدف القالب هو التمثيل أو التّمثّل La représentation: أي أن تشكّل المعلومة يكون رمزيا أو تركيبيا على غرار اشتغال الأنظمة المركزية التي تتطلّبها[2].

ومعالجة المعلومات اللغوية أو المرئية أو السمعية في ذهن البشر تمرّ عبر: المـُحوّلة، ثم النظام الطرفي فالنظام المركزي. فأولا تُترجم المـُدركات الحسية إلى نسقٍ يقرأه النظام الطرفي، ثم تُعالج هذه الترجمة في منظومة متخصصة بمعالجة المـُعطيات التي تُدركها هذه الحاسة، وهنا يحدث تأويل أولي لهذه المعطيات ولا يكتمل في هذا المستوى حتى يتدخل النظام المركزي؛ من حيث تربط النَّواقل العصبية المدركات المعالجة بهذه الأنظمة المتمثلة في المقاصد والخلفيات والاعتقادات المستعملة لأغراض معرفية وسلوكية وظروف عامة في الملفوظ. وفي الأنظمة المركزية تتم مهمة إتمام عملية التأويل، وتتحقق هذه المهمة من خلال "مقارنة المعلومة مع معلومات أخرى معروفة سلفا، أو معلومات وفّرتها -في الآن

[1] – آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم: علم جديد في التواصل، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2003، ص74و75.

[2] – عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج، ص29.

ذاته- أنظمة طرفية أخرى، كما تتحقق نتيجة عمليات استدلالية[1]، وتتم فيه عمليات الاستدلال المتعلق بالأيام العادية وجوانب التفكير المعقّد الخاص بالعلم والفكر والفن.

إذا، أعطى فودور أهمية بالغة للأنظمة المركزية؛ ففيها تندرج العمليات التداولية ومن هذا المنطلق تأتي دراسة التأويل التداولي للأقوال – في رأي سبربر و ولسون – من إيضاح طريقة اشتغال عمليات النظام المركزي.

2- دان سبربر ودردر سوزان ولسون[2]:

خالف سبربر و ولسون فودور في ما جاء به ، من تصورات حول الاشتغال الذهني، وذلك يأتي بينا في إصدارهما : الـملائمة: التواصل والمعرفة."Relevance:communication and cognition" الصادر عام 1989؛ حيث تحدّثا عن المنظومية المعمّمة: أي أنه لا يُوجد نظام مركزي بل هناك فضلا "عن المنظومات المتخصّصة بمعالجة معطيات الإدراك، منظومات أخرى مدخلها ومخرجها معطيات تصورية: ويُمكن للنوع الثاني من المنظومات أن يصلُح مدخلا لمنظومات أخرى من النوع نفسه، ولهذا قد تُوجد منظومات إدراكية Perceptuels ومنظومات تصورية Conceptuels[3]. وقد أسّسا كل منهما نظريةً في علم النفس المعرفي تُسمى نظرة المُناسبة[4] أو الـمُلائمة La théorie de pertinence، والتي تهتم أكثر من سابقاتها المعرفية والتداولية بمعالجة و بحث إشكالات التأويل التي تُعدّ آخر مرحلة في معالجة القول اللساني.

[1] – آن روبول وجاك موشلار، "التداولية اليوم"، ص74.

[2] – ديردر سوزان ولسون Deirder Susan Wilson متخصصة في اللسانيات وُلدت سنة 1941، تُدرّس في جامعة لندن. صدر لها بالاشتراك مع دان سبربر: La pertinence, Communication et cognitive, 1989. et Façon de parler, cahiers de linguistique françaises 7, 1987.

[3] – آن روبول وجاك موشلار، "التداولية اليوم"، ص: 75.

[4] – مفاد هذه النظرية أن تأويل الأقوال يقوم على استدلالات تستند إلى السياق وتفضي إلى نتائج، بحيث يكون القول مناسبا كلما كان الجهد المبذول في تأويله أقل والنتائج التي نتوصل إليها أكثر، وتضعف درجة المناسبة كلما كان جهد التأويل كبيرا. ولهذا اعتبرا المناسبة مسألة مرتبطة بت "المردودية: وتقييم الإنتاجية مثلا بمعيار المدخل والمخرَج (الجهد/النتائج).

فالفهم الحرفي يكون في المستوى الذهني؛ حيث تستقبل المعلومات المرتبطة بالأنظمة التقليدية، ويدفعنا الأمر إلى التساؤل عن كيفية معالجة القول وماهية ميكانيزمات التأويل؟ وكيف تتم؟

يمُرّ القول عبر النواقل العصبية ليصل إلى القالب اللساني المتخصّص الذي يعمل على تقديم الشكل المنطقي للقول، وهو مرتبط بسياقه؛ فالنظام المداري اللساني يُعطينا شكلا منطقيا مُكوّنا من مفاهيم يُعدّ كل واحد منها عنوانا يضم معلومات منطقية (تضمين أو تعارض..) وموسوعة أخرى معجمية. أمّا السياق الذي يُحلّل في دائرته الأقوال موجود ضمن ذاكرة العمل القصيرة الآنية التي تُحيط بها كمّ غير منته من المعلومات المحيطة بنا لذلك نجد أنفسنا أمام صعوبة اختيار ما هو ملائم. ما يُستخلص من هذا الكلام – عند سبربر و ولسون — أنّ القول والسياق يُشكلان معا المقدمات الأساسية للتأويل.

التأويل عند سبربر وولسون نوعان: لساني وتداولي، فاللساني: ما وقف عند عتبة البنية اللغوية الدّاخلية والتداولي ما تجاوزها إلى إحالات خارجية ينتمي إليها الخطاب، وفي نظرهما: للتأويل إمكانيتين إجراءيتين هما[1]:

1- يكون للتأويل موضوع واحد:وهو وصف عملية الفهم المرتبطة باللغة، وهو الوصف النّسقي الداخلي.

2- يكون التأويل ممزوجا بمنظومة عامة للعمليات المعرفية التي تُحقق الفهم الشامل للقول (سياقي).

والأقوال عندما تُؤول تمرّ عبر مرحلتين تأويليتين هما: التّرميزية فالاستدلالية. إذن، ما هي المراحل التأويلية لمعالجة الأقوال في نظر سبربر و ولسون[2] ؟

---

[1] – عبد السلام عشير، إشكالات التواصل والحجاج، ص21.

[2] – آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص: 78.

هي: أولا: المدخل المنطقي: معلومات متعلقة بالعلاقات المنطقية التي يُقيمها المفهوم مع مفاهيم أخرى: تناقض، واستلزام، فالمفهوم في صيغته المنطقية، نتوصّل من خلاله إلى المعطيات بواسطة عنوانه.

ثانيا: المدخل الموسوعي: مجمل المعلومات المتوافرة لدينا عن الأشياء التي تُوافق المفهوم.

ثالثا: المدخل المُعجمي: المقابلات للمفهوم في لغة أو لغات طبيعية.

وعندما يتشكّل السياق انطلاقا من المعلومة المتوفرة من مفاهيم الصيغة المنطقية أو ما تشكّل عن تأويل أقوال سابقة تُضاف إلى الصيغة المنطقية للقول مكونة مقدمة إضافية، وتُطبق حينئذ العمليات الاستدلالية الضرورية لتُمكّن من التّوصّل إلى نتيجة أو عدة نتائج لتتمّ عملية تأويل القول.

وترتكز العملية الاستدلالية لتأويل الأقوال، والتي تجري في النظام المركزي، على أساس مبدأ الملائمة أو المناسبة المرتبط بالتواصل الإشاري الاستدلالي. معنى هذا أن كل قول من الأقوال التي تنتمي إلى التواصل الإشاري الاستدلالي يُولد عند المخاطَب نتيجة انتظار المناسبة الخاصة به، أو بعبارة أخرى مبدأ الملائمة مبدأ تأويل يستعمله المخاطَب بغير وعي إبان عملية التأويل. و لعلّ المثال التالي سيُوضّح هذه النقطة[1]:

* ساكن محلّي في جزيرة سياحية　　　　* زينب سائحة في هذه الجزيرة

الساكن المحلّي لأحد الجزر السياحية

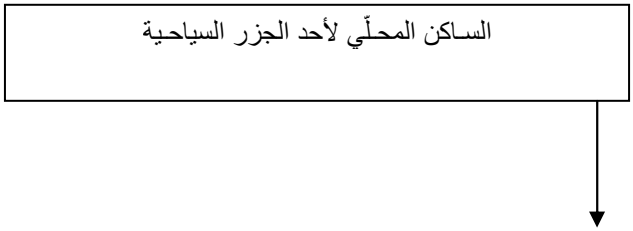

↓

1-يشير إلى السّحب.

[1] – يُنظر بشكل مفصل وموضح في: آن روبول وجاك موشلار، التداولية اليوم، ص ص: 84و85.

2-فالسحب مناسبة للساكن المحلي بمقتضى معارفه.

3-فعله التواصلي الإشاري تمثّل في شدّ زينب من كُمّها، فحركته ولّدت انتظارا لمناسبة، وكانت بذلك غايته واضحة تلفت الانتباه إلى هذه السحب.

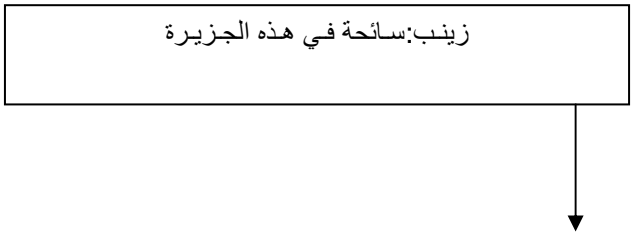

زينب:سائحة في هذه الجزيرة

1-تعرف هذه السحب، ولكن إشارة الساكن أعطتها دلالة ما.

2-السحب غير مناسبة لها، ثُم أضحت مناسبة نتيجة للفعل الإشاري للساكن.

3-هذه السحب لها مناسبة معينة، أي أنه أراد إخبارها بأمر جدير، عليها أن تُركّز عليه.

المناسبة: وهي مسألة مردودية؛ فعمل التواصل الإشاري الاستدلالي (الذي يقوم به الساكن المحلي) يكزن مناسبا إذا كان المخاطَب –زينب- *"يُجَنَّبي بقدر ما يُنفق"* أي "إذا تكلّلت الجهود التي يبذلها المخاطَب لتأويل عملية التواصل الإشاري الاستدلالي هذا بنتائج كافية تستحق تلك الجهود"[1]: فمجهودات الساكن من إشارات ودلالات ستجعل زينب تبحث عن مقدمات منطقية ضمن معرفتها الموسوعية الموجودة في ذهنها، مستعملة الاستدلال الذي يقودها إلى استنتاج أو عدة استنتاجات، فقد تكون هذه السُّحب مصحوبة بزوبعة، أو قد تكون الزوابع خطيرة، وفي حال حصول الزوبعة تبقى داخل البيت، فالساكن المحلي يُريد إخبارها بوقوع زوبعة فعليها المكوث في مكان آمن.

وبعد ذكر التصورات والفرضيات التداولية وماقبل التداولية حول الفهم والمقصدية والتمثيل الذهني وخطاطات التأويل، سنحاول ضبط الآليات التي يستند إليها المتلقّي في عملية التأويل التي يقوم بها، وما يترتّب عنه من تعقيدات تحليلية أحيانا وقراءات مستعصية في أحايين أخرى، إلى جانب

[1] – آن روبول وجاك موشلار، "التداولية اليوم"، ص: 81.

ما يتولّد عنها من مختلف الإجراءات التي يوظّفها المؤوّل بغية فهم الخطاب الشّعري وإدراك مقاصده التّداولية والتّواصلية، سعياً منه إلى تقديم توصيفات تداولية مع ما يتلاءم مع الهندسة الخطابية الشعرية.

ت. آليات الإنتاج ومراحله:

تتكوّن لدى الباثّ أثناء الخطاب القدرة على تحويل مقاصده ونواياه أو أفكاره وأحاسيسه عبر الإبلاغ والإخبار والإقناع إلى كلام منطوق. وعليه يتزايد الاهتمام بكيفيات اشتغال هذه الأنساق اللغوية أثناء التلفظ وتخصيص حيز لطريقة تقديم تمثُّلاتها وترجمة ذلك في مسالك الخطاب. بعبارة أخرى إن بناء نظرية حول المهارات المعرفية المعقّدة يُوجب بناء معمارية للنسق الإجرائي المتضمّن في إنتاج الكلام. في الاتجاه نفسه يشير **فايول**[1] إلى أن الوصول إلى فهم آليات الإنتاج لا يتأتّى إلاّ بالتركيز على إشكالات محدّدة في فهم وتحديد وضبط القوالب واستقبالها، يجملها كالآتي:

1. وجوب تحديد كمّ محدّد من القوالب وضبط كيفية استقبال كلّ قالب منها نمطا معينا من المعلومة وتحويله إلى نمط آخر.

2. ضرورة إبراز العلاقات الوظيفية المتواجدة بين هذه القوالب والوقوف على كيفية اشتغالها. بمعنى هل تشتغل بشكل مستقل؟ فلا تأخذ بعين الاعتبار إلاّ المعلومات المداخل، أمْ أنّها تشتغل بشكلٍ تفاعليّ؟ وبالتالي عليها أن تأخذ بعين الاعتبار المعلومات التي ترد من القوالب الأخرى.

3. ضرورة إبراز الهيكلة وتحديد العلاقات البنيوية بين القوالب، ليتسنّى رسم خرائط اشتغالها (أي هل تتم بشكل تسلسلي أو بشكل موازي) وما يترتب على ذلك من إجراءات.

4. ضرورة مقاربة إجراءات المراقبة التي تقوم بمهمة تنظيم ونقل المعلومات وتقويم النّاتج.

وكان لفلت قد قدّم سنة 1989 في كتابه **الكلام من القصد إلى التمفصل** محاولات جادّة لتفسير تقنيات إنتاج الكلام والخطوات التي ينجزها الباثّ في تشكيل خطابه، مركّزا نظره على

[1] -Fayol.M, *La production verbale*, In Cours de psychologie, processus et applications. Dunod, 1995 pp : 258-261.

العناصر الأساسية التي تكوّن إنتاج الخطاب، منها: الحقل التصوري وفيه تتكون المعلومات وتتشكل كنشاطات ذهنية لتمثل بداخلها مقاصد تواصلية محددة، من المعلومات التي تعالجها الإجرائية؛ أي نسق إجراء إنتاج الخطاب والانتباه وتحليل المعلومات ويستعمل المكون التصوري هذه الإجراءات لتفعيل قدر معين من المعلومات وتهييئه للتحليل. كما تعالج أيضا المعلومات الخبرية أي القضوية التي تتضمن معلومات حالية عن المحيط وكل ما يتصل بالسياق المكاني والزماني. ويرتكز منطلق إنجاز الخطاب على المعلومة الخبرية، وبذلك تتّخذ بنية الرسالة الشّكل الذي يصوغه لفلت كالتالي[1]:

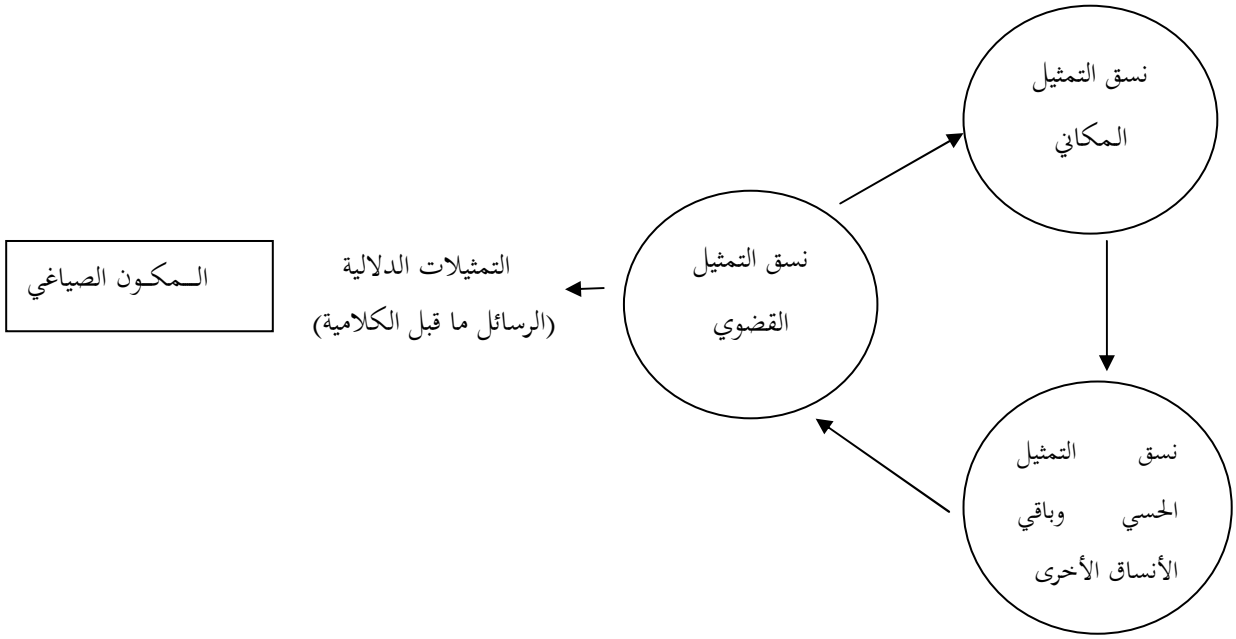

مخطّط بياني لبعض الأنساق التمثيلية المتضمنة في الفكر واللغة

ولعلّ التركيز على آليات معالجة المعلومات والمقاصد في الذّهن البشري يرتبط ارتباطا بما سمّاه لفلت بـ"ذاكرة الاشتغال" باعتبارها تعمل وفق مستويات خمسة حدّدها غاريت كالآتي[2]:

1. مستوى تصوّري: يتمّ فيه تركيب تصوّري للمُحتوى.

---

[1] - Levelt.W.J.M, *Speaking : from intention to articulation*, Cambridge, Mass, MIT, 1989, pp : 73.

[2] - Garrett.M.F, *The organization of processing structure for language production* : *Applications to aphasic speech*. In D.Caplan A.R Lecours et A.Smith (Edit), Biological perspectives on language, Cambridge, th MIT Press, 1982, p : 172-193.

2.مستوى وظيفي: يتمّ فيه انتقاء الزّمر المعجمية وإسناد الأدوار الخاصة بها.

3.مستوى موقعي: يتمّ فيه انتقاء إطار تركيبي لإنتاج العناصر المعجمية وإدماجها في الجملة.

4.مستوى صوتي: يتم فيه تخصيص الجزئيات الفونولوجية والصّرفات النحوية والوحدات المعجمية.

5.مستوى إنتاج تعليمات النطق: يتمّ فيه مراقبة إنتاج التّلفظ.

ويتخذ المكوّن الصياغي موقعا مهما في البنية التصورية التي ينقلها إلى بنية لغوية، وتتحدد وظيفته في البحث عن اللّمات في المعجم الذّهني. "إن اللّمات وحدات مركّبة، وهي منطلق توليد العلاقات النحوية العاكسة للعلاقات التصورية التي يتضمّنها الخطاب"[1]، إذ بناء الخطاب أساسه التوافق بين المعجمية والخطية؛ حيث من الضروري أن يتم ربط اللمات بدلالات معينة وبمتواليات محددة تحكمها رتبة خاصة. ومن الملاحظ أنّ المكون الصياغي يتفرّع إلى مكونين هما:

1-المرمز النحوي: يتضمّن إجراءات للوصول إلى اللمات[2] وتوليد علاقات نحوية تعكس العلاقات التصورية. إن انتقاء اللمة من المعجم الذهني، لتكون جزءا من ما قبل الرسالة يؤدّي إلى تفعيل مقولتها، وإذا عرفنا أن اللمة تختزل كلا من المعلومة الفونولوجية والمعلومة الصرفية والمعلومة التركيبية، نعرف أن تفعيلها سيؤدّي إلى ترميزها في جمل مما يفضي إلى البنية السطحية للخطاب.

- المكون الصوتي: يتخذ دخلا له ما ينعته لفلت بـ"الكلام الداخلي". يتألف المكون الصوتي من مخططات صوتية، يقوم انطلاقا منها بإنجاز بيانات صوتية هي في أساسها عبارة عن تطبيقات لتعليمات عصب-عضلية، يتم بموجبها توليد اللغة المنطوقة. إن السرعة المتوسطة للكلام هي ثلاث كلمات في الثانية، تنتقى من بين عشرات الآلاف من الكلمات الموجودة في الذاكرة، مما يعني ضرورة

---

[1]- يُنظر: الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 81.

[2]- المرجع نفسه، ص ص: 115-118.

انتقائها بسرعة من المعجم الذهني[1]. بالرغم من التباين الذي يُلاحَظ بين المكون التّصوري ونَظيريْه النحوي والصوتي، في انتقائية الأفكار وتنظيم المقاصد والتّصورات.

إلاّ أنّ هذه المكوّنات الثلاثة تشتغل بصورة متوازية ومتناسقة. في هذا الإطار يشير لفلت[2] إلى تبنّي مجمل المقاربات للشكل الموازي، ويحيل بهذا الخصوص إلى كاريت ، الذي يعتبر المرور من المستوى التصوري إلى مستوى تحديد البنية الوظيفية يتم بشكل متوازي. وقد انعكس ذلك على تصوّر إجراء إنتاج الخطاب؛ إذ سيأخذ الصورة التي ينقلها لفلت عن كامبن وهونكامب في البيان التالي[3]:

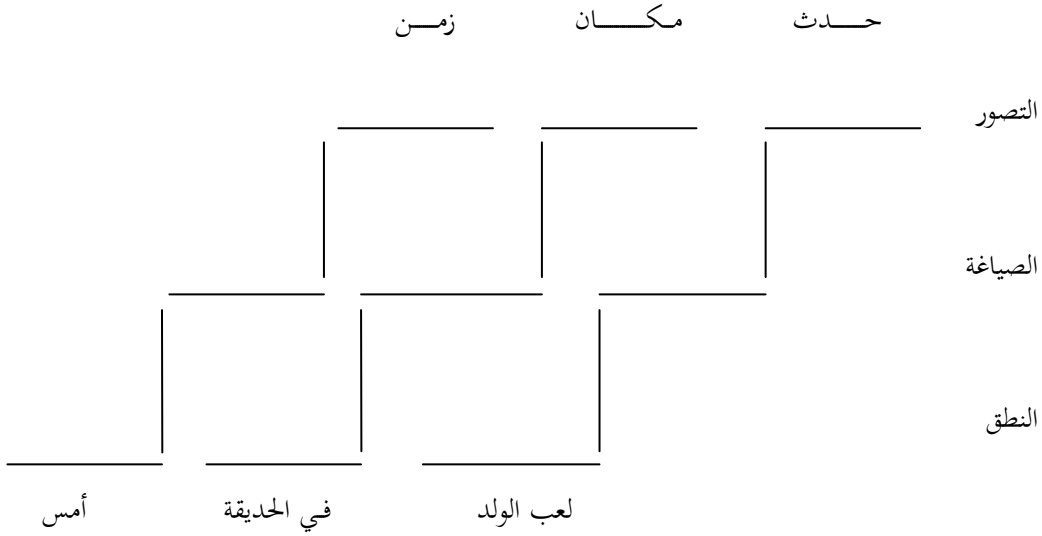

مخطّط بياني حول إجراء التّلفُّظات

نستنتج من هذا المُخطّط البياني أن عملية وضع الحدث في المكوّن التصوري تتم بالتوازي مع عملية ترميزه في المكون الصياغي، فتفعيل المكون الصياغي لا يتوقّف عند الانتهاء من بناء تصور كامل لمحتوى الخطاب، وإنما يتم تفعيل هذا المكون بمجرد تلقيه لجزء واحد من محتوى الرسالة. إن

[1]– الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص: 68.

[2] - Levelt.W.J.M, *The skill of speaking*, In P.Bertilson P.Eelen& G. d'ydewalle (eds) ; International perspectives on psychological science, Hove, England Erlbaum, Vol 1, p 259.

[3] - Levelt.W.J.M, *Speaking : from intention to articulation*, 66.

طريقة الاشتغال هاته توظف أيضا في إجراء إنتاج التلفظات المعكوسة، كما يوضح البيان الذي ينقله لفلت[1].

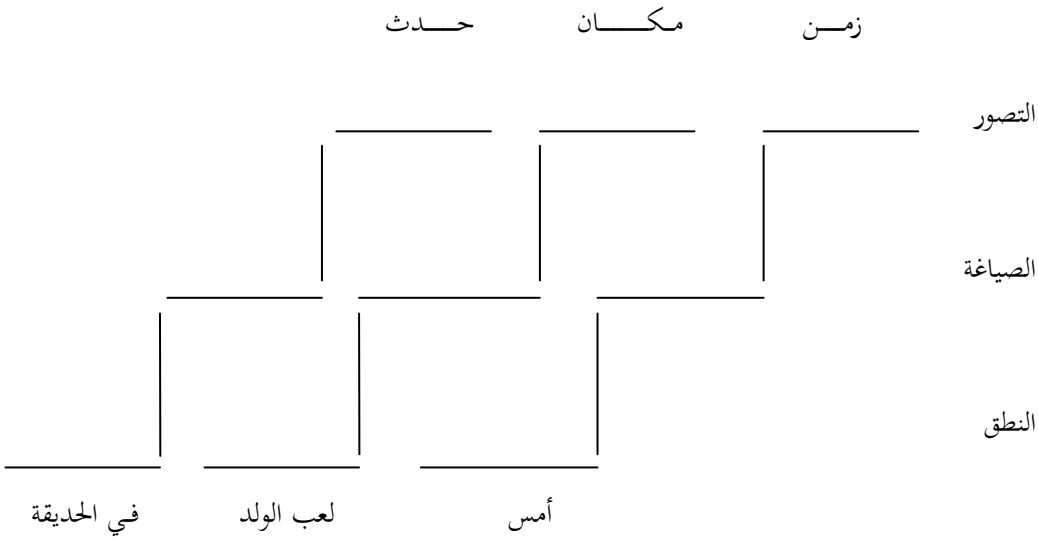

مخطّط بياني لإجراء التلفظات المعكوسة

حيث يرمز الزمن في المكون التصوري قبل المكونين الآخرين، هنا يوضع المكون المكاني في حالة انتظار ويحافظ عليه، وذلك بفضل وحدات ثلاث هي:

أ-ذاكرة الاشتغال: وهي تخزّن أجزاء الرسالة التي تم تحليلها.

ب-وحدة التخزين التركيبية: وهي تعرض نتائج الترّميز النحوي.

ج-وحدة تخزين النطق: وتتضمّن أجزاء من التخطيط الصوتي لتحقيقها لاحقا.

فوحدات التخزين لها القدرة على التعامل مع مختلف أنماط المعلومات الصادرة من مختلف مكونات أنساق الإنتاج الكلامي وتحليلها في مختلف الأوقات وبمختلف درجات السرعة. الأمر الذي يتيح برمجة فعالة للغة[2].

[1] - Levelt.W.J.M, *Speaking : from intention to articulation*, p 57.
[2] - Van Dijk.T.A, *Cognitive text models and discourse, p95.*

يتّضح عبر هذا المخطّط البياني أن المحدّد والمحرّك في توليد وإنتاجية الخطاب هو القصد الكلامي، وأن العبور أو الانتقال من القصد التواصلي إلى الخطاب يمرّ عبر مراحل متعدّدة تـؤطّرها المكونات الثلاثة التي ضمنها لفلت نموذجه.

وبما أن تحقيق القصد التواصلي يتم عبر تجزيئه إلى مقاصد فرعية، فإن ذلك يُلزم المتكلم بوضع مخطّط عام لخطابه يكون شاملا للمخططات الإخبارية الفرعية التي يضعها لكل قصد فرعي على حدة. هذا يعني أن البنية القصدية للخطاب سُلميّة، وأن الانتقال من قصد فرعي إلى آخر يتطلّب الرّجوع إلى القصد الموجود في أعلى الهرمية التراتبية، وهي عملية تضبطها استراتيجية وتخطيط وترتيب وتنظيم لأجزاء المعلومات والملفوظات التي ينوي الباث إبلاغها.

وهنا تهتمّ التداولية بفهم مقاصد الباث أثناء عملية التمثيل الذهني الذي يضم محتوى وتصورات الخطاب، وفكّ المؤشّرات أو الجزئيات التلفظية التي تدلّ على بنية القصد الكلامي. وقد وصف لفلت هذا النشاط التداولي لفهم مقصدية الكلام بـ"ماكرو تخطيط"؛ حيث يتمّ الانطلاق في وصف الخطاب في إطار منظور معين وفي وحدة إخبارية خاصة ذات صورة قضوية، بما يستلزم ذلك من تحديد للمعلومة الجديدة وإسناد لوظيفتي البؤرة والمحور وكل المظاهر الضرورية. وذلك لا يتأتى للمتكلم، إلا إذا كان ملما بالشروط اللغوية التي تتيح الاستجابة لها تخصيص الخطاب وتبليغه التبليغ الصحيح إلى السامع. ويوضح ليفلت مجمل هذه الإجراءات في الشكل البياني التالي[1]:

[1] - Levelt.W.J.M, *Speaking : from intention to articulation*, 145.

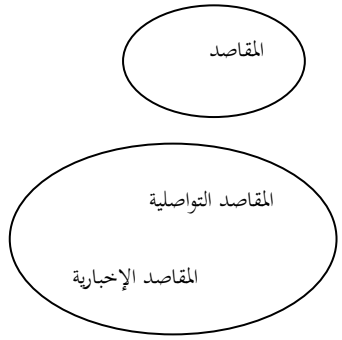

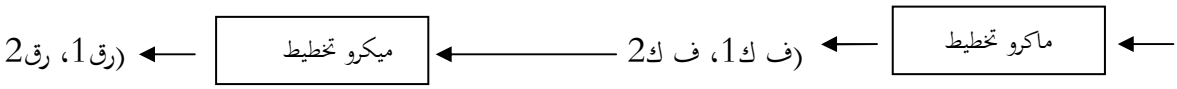

حيث ف ك = فعل كلام ر ق= رسالة قبل كلامية

ث. آليات التأويل:

يرتبط التّأويل في جوهره ومضامينه بإعادة بناء المعنى، وما يتبع ذلك من إجراءات فكّ رموز الخطاب التي يلجأ إليها المخاطَب، والتي هي في مجملها آليات تهمّ تفعيل وتحيين المعارف اللغوية وغير اللغوية[1]. وقد أرست الآليات المختلفة والاستراتيجيات المتعددة التي يلجأ إليها المخاطب في فهم الخطاب، مجموعة من النماذج التي تروم تقديم تفسيرات دلالية ومعالجات لمحتوى الخطاب وما يتبعها من استراتيجيات ومهارات تأويلية. من بين نماذج الفهم النموذج الذي قدّمه كنتش وفان ديك[2]. وقد انطلق هذا النموذج من فكرة أساسية تتلخص في أن فهم الخطاب ممارسة استراتيجية تتطلب بناء تمثل ذهني يحلّل فيه الخطاب بالاستناد إليه.

وفقاً لذلك يتضمّن هذا النموذج وصفاً للآليات والخطوات التي يقوم بها المؤول في تحليل الخطاب، إذ ينطلق من تفكيك القضايا إلى ماكرو قضايا، ليلتمس مقاطعها المحورية وما يقتضي ذلك من انتقاء وتنضيد للمعلومات الضرورية واستبعاد للمعلومات الثانوية واستحضار للاستدلالات

[1] - Eimerl.K, *Langage oral et langage écrit*, Divergences et interactions dans l'apprentissage de discours, In Cours de psychologie, procesus et applications, DUNOD , 1995, p : 156.
[2] - Van Dijk.T.A& Kintsch.W, *Strategies of discourse comprehension*, New York, Academic Press, 1983, p : 54.

الدلالية الضمنية أو غيرها من الإجراءات المنطقية[1]. أي أن عملية تمثل المعلومات المتضمنة في الخطاب تتخذ طابعا سُلميا، حيث ترتب حسب أهميتها من جهة، وتبعا لعلاقات العلية التي تربط بين أجزائها من جهة أخرى)[2]. بعبارات أخرى يشرع الإجراء التأويلي للخطاب بتفكيك هذا الأخير إلى قضايا جزئية وترتيبها ترتيبا هرميا أو سلميا، قصد بناء دلالة القضايا المشكلة له، ومن ثمة تخطي هذا المستوى لإقامة البنية العامة للمحتوى.

في هذا الإطار عزّز فان ديك مفهوم الميكرو بنية أو ما يسمى بـ"أساس النص" واعتبره لائحة من القضايا المبنينة التي تمثل المعنى المحلي للنص[3]؛ حيث تنتظم كل قضية في محمول وعدد من الموضوعات. ولا يكتفي الاشتغال القرائي والمفهومي للخطاب في معالجة المعلومات ذات الميكرو بنية، بل يقتضي تنظيم هذا المستوى الأساسي للخطاب في شبكات تصوُّرية أو ذهنية في بناء أعلى هو الماكروبنية. حيث يقوم بعملية حذف وبناء وتعميم كغربلة وانتقائية للحدود التصورية للخطاب، وقد استعرضها فان دايك كما يلي[4]:

– قاعدة حذف بموجبها يتم حذف المعلومات الاستطرادية.

– قاعدة بناء بموجبها يتم حصر العناصر الملائمة.

– قاعدة تعميم بموجبها يتم تجاوز السياق المباشر.

من منظور تداولي عام، ركّز فان دايك في فهم وتأويل الخطاب على أهمية الربط بين المستوى المحلي والمستوى الشّمولي الأعلى في عملية الإنتاج والفهم والتأويل. ويتطلّب هذا الاهتمام أو التركيز من

[1]– يُنظر: جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013، ص ص: 33-36

[2] - Eimerl.K, *Langage oral et langage écrit*, p : 157.

[3] - Van Dijk T.A, *Macrostructures sémantiques et cadres de connaissances dans la compréhension de discours*. In.G. Denhière (eds), Lille, Presse universitaire de Lille, 1984, p : 23.

[4] - Van Dijk T.A, *Macrostructures : an interdisiplinary study of global structures in discourse*, interaction and cognition, Hillsdale, N.J.Erlbaum Associates, 1980, p : 78.

المؤوّل أن ينطلق في ضبطه للمعنى من مجموعة من الفرضيات، التي من الضروري أن يأخذها بعين الاعتبار في تأويله للخطاب. يحدّدها فان ديك وكينتش فيما يلي[1]:

-الفريضة الوظيفية: أي أن الخطاب له وظيفة معينة في السياق الاجتماعي.

-الفرضية التواصلية: أي أن الخطاب له موقع في السياق التواصلي.

-الفرضية التداولية: أي أن الخطاب فعل اجتماعي يحركه قصد تواصلي محدد.

-الفرضية التفاعلية: أي أن الخطاب يتموقع في إطار سياق تفاعلي معين.

-الفرضية الحالية: أي أن الخطاب محكوم بالقيود التي يفرضها الوضع الاجتماعي.

كما أن المؤول في فهمه للخطاب المقاصدي يهتدي بمجموعة من الاستراتيجيات المعرفية التي تساعده على فهم الخطاب. يجمل فان ديك وكينتش أهمَّها كالتالي[2]:

-استراتيجيات التلاحم المحلي: وفقها يتم البحث عن محيلات مشتركة وإقامة ترابطات دالة بين القضايا المتشابهة.

-ماكرو-استراتيجيات: تتأسس انطلاقا من القضايا المحلية، وتشكل بذلك بنية سلمية ذات مستويات ماكرو-قضوية عديدة.

-استراتيجيات الإنتاج: إن المتكلم يضع مخططا ماكرو-بنيويا يمكنه من بناء متراصّ لخطابه، يعكس منطق إجراء التحليل هذه العملية.

-استراتيجيات أخرى يمكن اللجوء إليها كالاستراتيجيات الأسلوبية والبلاغية الفنية. ولا يتم الأخذ بهذه الفرضيات المعرفية إلاّ في إطار استحضار حاسم ومحدد هو بعد السياق.

---

[1] - *Strategies of discourse comprehension*, p : 55.
[2] - Ibid, *p 96.*

ج.نموذج السياق:

لاستقصاء دلالة الخطاب وفهم بنياته الصغرى والكبرى وضبط تصوّراته العامّة ومقاصده الخفية، على المؤول الاستدلال في جزء مهم من عمله القرائي على السياق، ذلك لكونه المؤسس للفرضيات التي يقيمها المخاطب حول المعنى. وتبرز أهمية السياق في أنه يمكن – كما أشار إلى ذلك إمرل[1]– من أن يسدّ الثغرات التصورية التي قد يتضمّنها الخطاب[2]. فإذا كان هذا الأخير يجمع ما بين البُعد النصي والبُعد السياقي، فإن البعد الأخير هو الموجه للبحث عن المعنى، إذْ يُعدّ وسيطا محددا لجملة من الأبعاد التي تيسر فهم الخطاب يجملها فان ديك فيما يلي[3]:

-البعد الزماني والبعد المكاني (حيث أن الخطاب يؤطره مكان وزمان محددين).
-البعد الاجتماعي (حيث أن الفرد المنتج للخطاب محدد اجتماعيا).
-المحيط المؤسساتي.
-الأهداف التواصلية.
-المشاركون وأدوارهم الاجتماعية والكلامية.
-العلاقات العامة القائمة بين المشاركين.
-انتماء المشاركين وفئاتهم (جنس، عمر...)

يرتبط تشكّل فهم الخطاب وتأويله بأبعاد متعددة، كما يرتبط في الآن نفسه، بعدد من الإجراءات والعمليات التي تضمن إقامة توليفات بين معاني مختلف الوحدات، وذلك انطلاقا من تحليل المعلومات التي يتضمنها. يتوخى هذا التحليل بناء تمثيل معرفي يهم الدلالات المؤسسة للخطاب. في هذا الإطار يدرج فان ديك وكينتش مفهوم "نموذج السياق" الذي يتأسّس على مفهوم

[1] - Eimerl.K, *Langage oral et langage écrit*, p :144.
[2] - Van Dijk.T.A , *Cognitive text models and discourse*, In M.Staimnow (ed), Language structure, discourse and the access to conciousness, Amsterdam, Benjamins, 1997, pp : 189-226.
[3] - Levelt.W.J.M, Speaking : from intention to articulation, 47.

"النموذج الذهني" الذي اقترحه جونسون-لورد وحدّده في كونه تمثيلا للمعرفة، سواء المعرفة القصيرة الأمد أو المعرفة الطويلة الأمد. ويمكن تلخيص شروط هذا التمثيل فيما يلي[1]:

-أنه يمتلك بنية موازية لبنية الوضع الذي يمثله.

- يمكن أن يتشكل فقط من عناصر موازية للوحدات التي يمكن إدراكها.

- لا تتضمن متغيرات، وإنما يتضمن رموزا ثابتة، لا يفترض فيها أن تتغير بتغير الوقائع.

نلاحظ أن جونسون-لورد قد ركّز على تمثيل الوضع، في تحديده للنموذج الذهني. وهي فكرة نراها واردة أيضا عند فان ديك وكينتش، في اعتبارهما لنموذج السياق بأنه تمثيل معرفي للأحداث والأعمال والأفراد. وهو الاعتبار الذي أكّده فان ديك[2]، حينما حدّد نموذج السياق في كونه التمثيل الذهني الذي يبنيه المشاركون بخصوص الوضع الاجتماعي، وذلك لتوجيه الأحداث التواصلية، إنه: "يمثل النوايا والمقاصد ووجهات النظر والتوقعات والآراء وما يعتقده المشاركون بخصوص بعضهم البعض، وبخصوص التفاعل الحاصل أو بخصوص النص المكتوب أو المقروء أو بخصوص خصائص سياقية أخرى"[3]

يتّضح إذن، أن نموذج السياق هو عبارة عن تمثيل ذاتي للوضع الذي يتمحور بداخله الخطاب، وهو يتشكّل انطلاقا من إدراج المحيلات المعبرة عن وحدات وعلاقات وخصائص، وتكوين حمولات بخصوصها، لذلك يُعدّ وسيطا بين البنيات الدلالية للخطاب من جهة، ونماذج الأوضاع أو الأحداث التواصلية من جهة أخرى. إن التمثيلات الاجتماعية الموجودة في الذهن تسهم بشكل كبير في تحديد جوانب إنتاج الخطاب وتأويله.

ومن المفيد الإشارة إلى أن من أبرز خصائص نموذج السياق هي العرضية والدينامية التي تلفه، بالنظر إلى خضوعه للتغيير والتحيين الدائمين. مردّ هذا التغيير حاجة المشاركين إلى تكييف نماذجهم

1 - Van Dijk.T.A& Kintsch.W, *Strategies of discourse comprehension*, p : 48.
2 - Van Dijk.T.A, *Cognitive text models and discourse, p32-37.*
3 - Ibid, p : 198.

السياقية لكي يتمكّنوا من المشاركة بمهارة وبشكل ملائم. ومن هنا تتعدّد أوجه التأويلات بتعدد واختلاف زاوية رؤية السياقات. وهذا ما يتطلّب الاستناد إلى المهارات التي يوظّفها المؤول. وعلاوة على أنه حيوي ومتغيّر، فهو فردي كذلك، لتشكُّله من جملة من التمثيلات والتأويلات الذاتية للحدث التواصلي والفعل التخاطبي. لكن على الرغم من أنه فردي فإن بنيته اجتماعية.

ح.مفهوم الملائمة:

إن مفهوم الملائمة وثيق الصلة بمفهوم السياق ومحدد له. فإذا عدنا مثلا إلى التمييز بين نمطي السياق المحلي والشامل، نجد أنه يتم الانطلاق من السياق المحلي لفحص خصائص المشاركين وظروفهم الزمنية والمكانة المباشرة، بعد ذلك يتم المرور لبلوغ السياق الشامل. وهذا المرور يمكن له أن يكون غير منته، لذا يلزم اللجوء إلى إجراءات تَحُدّ من هذا الطابع اللانهائي للافتراض التأويلي للسياق الخطابي[1]. وذلك لا يتأتى إلا باللجوء إلى مجموعة محدودة ومحددة مسبقا سلفا من الوسائط التي تسمح بعزل متغيرات سياقية ثابتة من شأنها أن تساعد على تأسيس تصوّر ثابت للخطاب. يشترط في هذه الوسائط أن تكون خاضعة لشرط الملائمة.

وقد استند فان ديك إلى مفهوم الملائمة في محاولته التمييز بين مفهوم السياق ومفهوم الوضع. يقول "للتمييز بين السياقات والتعقيد التام للأوضاع الاجتماعية، تحدد السياقات كبنية لها كل خصائص الوضع الاجتماعي، التي هي نسقيا ملائمة لإنتاج الفهم ووظائف الخطاب وبنياته"[2]. كما نجده حاضرا عند ميشلي في اعتباره السياق: "تأويلات متغيرة حسب الأشخاص للوضع الاجتماعي، فهو بناء خاص ينتج عن"جهد المشاركين الذين يؤوّلون الوضع وينتقون الخصائص الملائمة"[3].

---

[1]- يُنظر: جيوفري ليتش، مبادئ التداولية، ترجمة: عبد القادر قنيني، ص ص: 24-25

[2] - Van Dijk.T.A , *Context models in Discours processing*, In. H.Van Ostendorf et S.Goldman (ed), The construction of mental representations During Reading, London, Lawrence, Erlbaum, 1999, p : 130.

[3] - Micheli.R, *Contexte et contextualisation en analyse de discours : regard sur les travaux de T.Van DIJK*, Semen 21 pour l'analyse de discours politique url :http : //Semen revues.org/document1971.html.

يرتبط هذا الإشكال بوضع إشكالي أساسي آخر حاولت نظرية السياق مناقشته، يتلخص في تحديد الإجراءات التي تجعل من خصائص وضع اجتماعي معين تؤثر في تشكيل الخطاب. للإجابة على هذا الإشكال، أدرج فان ديك البعد المعرفي، ليشرع في تفسير الكيفية التي يؤوّل بها المشاركون الوضع الاجتماعي تأويلا يمكنهم من إعادة صوغه وبنائه[1]. ونتيجة لذلك يصبح التأويل السياق خاضعا لتمثيلٍ ذهني ذي خاصيتين مميزتين:

– إنه بياني، أي أنه لا يحتفظ إلاّ بخصائص الوضع الملائمة للمشارك.

– إنه دينامي، أي أنه لا يصاغ دفعة واحدة عند البدء في عملية التفاعل الكلامي، وإنما هو خاضع للبناء وإعادة البناء بشكل دائم ومستمر.

وإدراج البعد المعرفي في إدراك السياق عن فان دايك يمكّننا من تفسير التنوعات الفردية التي تطبع أنماط الخطاب، في اختلاف الخلفيات واتّساع الكفاءات الموسوعية من شخص إلى آخر. كما يظهر في الآن نفسه أنّ بنية نموذج السياق هي من اختيار المشاركين، لكن هذا الاختيار مقيّد اجتماعيا، وهذا التقييد هو الذي يتحكّم في انتقاء وسائط التقويم المعرفي؛ حيث تتمّ التحقيقات الفردية المتمايزة انطلاقا من مجموعة من الوسائط المرسخة اجتماعيا والمتعاقد والمصطلح عليها.

خ.التلاحم الخطابي:

يقتضي رصّ جملة المعلومات المنظمة للخطاب خيطا رابطا بينها ليرسم عبره المتكلم مقاصده وآثاره الخطابية. هنا تختلف طرق تلقي هذا الخطاب وعلى المؤول أن يحسن إدارة عملية التلقي هذه ليحافظ على التلاحم القائم الموجود بداخل القول أو الخطاب.

إذا عرفنا أن الخطاب متغير[2]، فإن التلاحم هو السّمة المحددة لفهمه. وهو ذو جانبين أحدهما مرتبط بالخطاب والآخر مرتبط بالتفاعل القائم بين كل من المعطيات التي يتناولها الخطاب والبنى

[1] - Micheli.R, *Contexte et contextualisation en analyse de discours* .
[2] - Schiffrin.D., *Approches to discourse*, 32.

المعرفية التي يملكها المتلقي. يشير ككليون ولاندري إلى أن الجانب الأول يرتبط بثلاثة مستويات هي[1]:

1.التلاحم المحلي أو الخطي: يتعلق بالعلاقات السطحية أو الضمنية القائمة بين القضايا المتجاورة.

2.التلاحم الشامل: يتعلق بالقضايا السطحية أو الضمنية القائمة بين مجموع قضايا النص والتي تضمن التطور الوقائعي للمجموع ومختلف العقليات التي يخضع لها والغايات التي يرمي إليها.

في هذا الإطار يشير إمرل إلى أن دلالة الخطاب لا تختزل في دلالة مجموع القضايا التي يتضمنها، بالتالي فهي لا تحدد بحساب مجموع معاني الكلمات التي تؤلفه، أو حبس فهم الخطاب في دلالاته المعجمية، وإنما ينبغي تخطي ذلك لاستحضار ما سماه ب"المؤشرات البرالغوية"[2]، كالنبر والخارج لغوية والحركات التي ترافق الكلام، معتبرا أن القدرات الميتانصية هي التي تسمح بإقامة تسلسل التلفظات في الخطاب، وبالتالي فهي الضامنة لتلاحمه. وهذه المساعدات التداولية هي التي تخول للمخاطب ضبط المعلومة ومراقبتها.

3.التلاحم الأساسي: يتعلق بالبنية الأساسية للنص، وهو يستجيب لمبدأ الضرورة المنطقية في تأسيس الموضوع وتطوره.

كما أن هناك تلاحم إحالي تحدّث عنه فان ديك وكينتش، وينبني هذا النوع من التلاحم على تكرار الموضوعات، بمعنى أنه إذا كانت القضيتين ق1 وق2 تشتركان في الموضوع نفسه فهما متلاحمتان إحاليا، والأمر نفسه يصدق على القضيتين اللتين تشكل إحداهما موضوعا للأخرى. ولهذا يُعد التلاحم الإحالي الأهم بالنسبة إلى تلاحم البنية الدلالية للخطاب أهم مرحلة في التأسيس المعرفي للخطاب؛ إذ يتطلب بناء التمثيل الدلالي لبنية الخطاب دراية وفحصا للتلاحم الإحالي القائم بين

---

[1] - Ghiglione.R & A.Landré, *Analyse de contenu*, In cours de psychologie, processus et applications, DONUD, 1990, pp : 557.
[2] - Eimerl.K, *Langage oral et langage écrit*, p :147.

القضايا والملفوظات. ولهذا يفعّل المؤول معارفه وافتراضاته المسبقة التي تمكنه من أن يقيم علاقات بين المعطيات بغض النظر عن وجود أو غياب المؤشرات اللغوية.

وبالتالي يخضع إلى قابليته لأن يُؤوَّل في إطار سياق تواصلي محدّد، الأمر الذي يلزم المشارك بأن يستحضر في بنائه للتأويل الوظيفة التواصلية، فيأخذ بعين الاعتبار البنية البؤرية والإخبارية للجمل المشكلة للنص. وهنا نتبين أن السمة الأساسية للنص المتلاحم، هي ضمان الاستمرارية البؤرية بين الجمل المؤلفة للنص. ويقتضي التلاحم من المتكلم التخطيطَ الجيد لما يريد أن يقوله والتحكّم في مجال المعارف التي يودّ تفعيلها[1].

يُدرك المتتبع لما سلف ذكره في الصفحات السابقة حول أنماط التعرف على فهم الخطاب وآليات تأويله، تعقّدَ عمليات الإنتاج والفهم والتأويل الخطابية؛ فهي ليست بسيطة، بل مركبة وتتداخل في تفعيلها معلومات مختلفة لغوية وذهنية وتصورية وجوانب أخرى سياقية واجتماعية، وهو ما حاولت أن تُفصّل فيه فرضيّات جمعٍ من المتخصّصين المعاصرين في نظريات الخطاب.

[1] - Levelt.W.J.M, *Speaking : from intention to articulation*, 78.

الفصل الثانـي: الاستعارة واستراتيجيات التأويل

سنحاول عبر هذه الصّفحات تسليط الضوء على إحدى الرؤى الجديدة التي ظهرت في السنوات الأخيرة حول مبحث البنيات البلاغية للمشابهة بشكل عام وتداولية الاستعارة بشكل خاص، حيث أخذت الاستعارة اهتماما كبيرا في الدرس التداولي وخلاصات علم اللغة المعرفي [cognitive sciences]. وهي بهذا تُمثّل امتدادا لدراستها في البلاغة القديمة منذ بدايتاها اليونانية، مرورا بالبلاغة العربية، إلى غاية الدّراسات الأسلوبية المعاصرة. ونظرا للأهمية الخاصة والشيوع الكبير الذي أخذته هذه الرؤى التداولية والخطابية الجديدة، وامتدادها إلى حقول معرفية أخرى غير الحقل اللغوي والنقدي والبلاغي، رأيت الوقوف عندها والتعريف بها عبر صفحات هذا الفصل.

تهتم العلوم المعرفية (cognitive sciences) بدراسة الأساليب والأنظمة التي يعمل بها العقل الإنساني لمعرفة وإدراك وفهم التمثلات التي تُحيط به، سواء أكان ذلك في استقبال ما يرد إليه، أو إعادة إنتاجه مرة أخرى. بعبارة أخرى تهدف الأنظمة المعرفية إلى معرفة كيف يتمثل الإنسان الواقع الخارجي ويصوّره بدقة وفعالية[1]. ومن أهم تلك العلوم: علم النفس المعرفي، وعلم اللغة المعرفي، وبحوث الذكاء الاصطناعي، وعلم الأعصاب، والفلسفة، والأنتروبولوجيا.

1.بين الاستعارة واللسانيات المعرفية:

يهمّنا من تلك العلوم المعرفية علم اللغة المعرفي (Cognitive linguistics) هذا العلم الذي بدأ قرابة عام 1970 وبرز في عام 1980، وفي ربع القرن الأخير ظهرت الكثير من الدراسات التي تتناول عددا من مباحث هذا العلم[2]. وهو يدرس اللغة بوصفها عنصرا مهما من عناصر تشكيل

[1] - Look : Jeffery Scott Moi and Albert N.Katz, *Metaphor implications and applications*, Lawrence Erlbaum Associates, Mahwah, NJ, 1996, p : ix.
[2] - Look : William Croft and D.Alan Cruse, *Cognitive Linguistics,*

المعرفة الإنسانية. ويأتي اهتمام علم اللغة المعرفي بـ(المشابهة) لأهميتها في تشكّل واكتساب المعرفة، حيث يستفيد الإنسان من المشابهة في شؤون حياته المختلفة، فهو يستفيد منها في حلّ المشاكل واتخاذ القرارات وإنتاج السّلوك وابتكار الأداء والاستراتيجيات وخلق خطاب إبداعي وتخييلي أيضا، وذلك من خلال قياس التجربة الجديدة عند التعامل معها على تلك التجارب السابقة المشابهة لها المخزنة في عقله. وعندما نتحدّث عن العادي علينا أن نراه كأنه غير عادي كما يقول بورس توماشيفسكي (Boris Tomashevsky)، إذ "هناك تقنيات لغوية لا حصر لها يمكن استعمالها لتحقيق عدم الاستقرار هذا في العلاقة: بين العلامة/ الدال ومفهومها، أو لتحقيق هذه المساءلة لطبيعية أي مفهوم مشفّر. فرؤية شديدة التبسيط، على سبيل المثال، يمكن إبداعها عن طريق كتم المصطلح المعتاد لشيء نقوم بوصفه، متظاهرين بأن هذا الشيء غير مشفّر في ذهن المتكلّم"[1].

كما أنّ الاستعارة تفيد الإنسان في المعالجة المنظمة والتصنيف والتبويب، فالمشابهة "من الوسائل المعرفية التي تُساعد الإنسان على تنظيم العالم وفهمه وتخزينه... إننا نُخزّن الموضوعات والأحداث والانفعالات والأشياء المجردة إلى درجة مشابهتها إلى أنماط نموذجية (prototypes) تعتبر ممثلة بدرجة عالية للمقولات...لذلك فإن المشابهة من الآليات التي ينظم بواسطتها الذهن إدراكه للموضوعات وغيرها"[2]. وهذا يعني أن المشابهة من أهم وسائل المعرفة الإنسانية التي بها يدرك الإنسان تصنيف الأشياء وتقسيمها من خلال درجات التشابه بينها. وقد ركّزت دراسات علم اللغة المعرفي على دور المشابهة عبر مبحث الاستعارة (metaphor)[3]. ويعدّ كتاب "الاستعارات التي نحيا بها" لمؤلفيه: جورج لاكوف ومارك جونسون أحد أهمّ الكتب التي نظّرت لهذه القضية؛ إذ يُعدّ نقطة تحول مفصلية هامة للنظر نحو الاستعارة بشكل جديد.

[1]- روجر فاولر، النقد اللساني، ترجمة: عفاف البطاينة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012، ص: 105

[2]- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية–مقاربة معرفية، دار توبقال، الدار البيضاء، ط1، 2001، ص: 05.

[3]- أجد من الضروري هنا أن أشير إلى أن علم اللغة المعرفي يَعُدّ الكلام استعارة حسب التصور الانجليزي للاستعارة، فإذا خلا من أدوات التشبيه فهو استعارة عندهم، فجملة (الحياة رحلة) هي استعارة في التصور الانجليزي، بينما هي في التصور البلاغي العربي تعد تشبيها بليغا.

والاستعارة حسب تصورات العلوم المعرفية هي "فهم مجال تصوّري واحد في ضوء مجال تصوري آخر"[1]. وبالتالي يكمن جوهر الاستعارة "في كونها تتيح فهم شيء ما وتجربته انطلاقا من شيء آخر"[2]. إنها "عملية ذهنية تقوم على التقريب بين موضوعين أو وضعين، وذلك بالنظر إلى أحدهما من خلال الآخر"[3]. ويسمّى علم اللغة المعرفي المجال الأول الذي يُستعار منه باسم: المصدر (source)، في حين يسمى المجال الذي يُستعار له باسم الهدف (Target).

ويمثل أحد الباحثين[4] لذلك بالعبارة التالية: (كان ستالين على قمة الاتحاد السوفييتي وكان الفلاّحون في القاع). فهذه العبارة تشير إلى أن (القوة أعلى)، حيث تُفهم الصلات الاجتماعية في ضوء الأبعاد الاتجاهية. وهذا يعني أن التفكير بالاتجاه حاضر عند التفكير بالعلاقات الاجتماعية، من خلال ربط الموقع الاجتماعي الأقوى بدرجة القمة في خط عمودي متخيّل. فقد استعير (القمة) و(القاع) للموقع الاجتماعي الأقوى والأضعف. فنحن –حسب التعريف السابق- نفهم الموقع الاجتماعي الأقوى في ضوء القمة، والموقع الأضعف في ضوء القاع. وعلى هذا فالمصدر هو (القمة-القاع) لأنهما هما اللذان أخذ من مجالهما ليدلاّ على الاستعارة، والهدف هو (الموقع الاجتماعي الأقوى والأضعف) لأنه هو المستهدف بالمعنى الجديد الذي تدلّ عليه الاستعارة. ويكون المصدر عادة شيئا تجريبيا (كالقوة التي نحسها ونجرّبها في حياتنا دوما)، في حين أن الهدف يكون في الغالب شيئا مجردا (كالموقع الاجتماعي في المثال السابق).

تبدو المشابهة بين المصدر والهدف بسيطة جدا عبر هذا الخطاب الاستعاري، لكن هناك أنواعا من المشابهة مركبة جدا ويتم فيها الربط (Mapping) بين أشياء في المصدر مع ما يقابلها في الهدف،

---

[1] - Zoltan Covceses, *Metaphor : apratical introduction*. Oxford University Press.Inc, 198Madison Avenue, New York, 2002, p : 4.

[2]- جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، تر: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 1996، ص: 23.

[3]- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص: 90.

[4] - Look : Joanna Gavins and Gerard Steen. *Cognitive Poetics in Practics*. Routledge, London, 2003, p : 100.

بمعنى أن هناك توافقات بين المصدر والهدف[1]. فإذا نظرنا إلى الاستعارة التصورية (الحياة رحلة) نجدها —كما يذكر لاكوف وترنر– تربط بين طرف في المصدر مع مقابل له في الهدف بهذا الشكل:

- الميت الذي يغادر الحياة هو المسافر.
- مقاصد الحياة هي وجهات المسافر.
- وسائل تحقيق تلك المقاصد هي الطرق.
- مصاعب الحياة هي العوائق التي تعترض المسافر.
- التقدم في الحياة هو ما يقطعه المسافر في رحلته.

فمثل هذه التشابهات تعدّ ربطا Mapping بين المجالين التصوريين (المصدر والهدف)[2].

ومن خلال هذه النماذج الخطابية التي تحتمل صورا متعددة وكثيفة للمشابهة الاستعارية، تشدّد العلوم المعرفية على البعد المفهومي والذهني للاستعارات.

فالعلوم المعرفية تعطي اهتماما كبيرا للاستعارة بوصفها إحدى أهمّ آليات التفكير والمعرفة التي يعتمد عليها العقل الإنساني بشكل كبير في إيصال مقاصده؛ فالاستعارة "حاضرة في كل مجالات حياتنا اليومية. فهي ليست مقتصرة على اللغة، بل توجد في تفكيرنا وفي الأعمال التي نقوم بها أيضا. إن النسق التصوري العادي الذي يسيّر تفكيرنا وسلوكنا له طبيعة استعارية بالأساس..وإذا كان صحيحا أنّ نسقنا التصوري في جزء كبير منه ذو طبيعة استعارية، فإن كيفية تفكيرنا وتعاملنا وسلوكياتنا في كل يوم ترتبط بشكل وثيق بالاستعارة"[3]. هذا يعني أن المشابهة لا تقتصر على الأبعاد الفنية والجمالية، بل تسعى إلى الكشف عن التخطيط والترابط الذهني والمعرفي للخطاب البلاغي في فكره ولغته كأداة للفهم والإفهام.

---

[1]- يُنظر: جورج لاكوف، حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل، تر: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، ط1، 2005، ص: 12. من مقدمة المترجمين.

[2]- Look : George Lakoff and Mark Turner, *More than Cool Reason*, University of Chicago press. USA, 1989, p: 3, 4.

[3]- جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 21.

تربط العلوم المعرفية التجربة البلاغية بالتجربة العملية أو البراكسيس، لأن الفهم ينطلق من فهم التجربة في سياقها المعاش؛حيث نجد لدى الكائن البشري ميلا "إلى احتواء العالم المحيط به، وذلك بواسطة تمثله، وتخزينه في ذاكرته على شكل معلومات يعود إليها عند الحاجة، ولا يكتفي الكائن البشري بالميل إلى احتواء العالم باعتباره موضوعات، بل يتعدّى ذلك إلى تخزين الأحداث والانفعالات والموضوعات المجردة"[1]، وطبعاً تتباين مصادر ووسائط التخزين ممثلة في الثقافة والمجتمع والدّين والتّراث. فيستقي المتكلم تصوراته الخطابية في أشكالها الاستعارية من الحياة وما يركب تجربته الشخصية فتُؤثر عليه تأثيرا بليغا ويُترجمها بشكل واضح في صوغ خطابه باستراتيجية تلفظية وحنكة تداولية. "إنّ نسقنا التصوري أساسه تجاربنا في العالم، فكل التصورات المنبثقة بشكل مباشر (مثل: فوق–تحت–والشيء–والمعالجة المباشرة) والاستعارات (مثل: السعادة فوق، والجدال حرب) لها أسسها في تفاعلنا المستمر مع محيطنا الفيزيائي والثقافي، وكذلك بالنسبة للأبعاد التي تبنين تجربتنا....، إذ تنبثق بشكل طبيعي من نشاطنا في العالم، وهذا النوع من النسق التصوري الذي نملكه ناتج عن نوعنا باعتبارنا كائنات، وعن الكيفية التي نتفاعل بها مع محيطنا الفيزيائي والثقافي"[2].

وهذا يعني أن المعطيات الواقعية المجسمة منها أو الرمزية يتمّ تمثلها وفهمها فهما تجريبيا ماديا. ففهم المعطيات المادية هو فهم مباشر وطبيعي و"غير استعاري"، وأمّا تلقي المعطيات المعنوية فتُفهم استعاريا. ولهذا تلاحظ إحدى الدراسات[3] حضور الاستعارة بقوة عند الحديث عن التجارب المعنوية. فقد ظهرت الاستعارة في أحد النصوص بنسبة 48 بالمائة في المقطع الذي يتحدث عن تجربة غير حسية. في حين أن المقطع الذي يتحدث ع تجربة حسية تظهر الاستعارة فيه بنسبة 18 بالمائة، ويعزو هذا إلى الفرضية التي تقول إننا نتوقع استخدام الاستعارة أكثر عند التفكير بشيء غير ذي أساس تجريبي.

[1]- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص: 05.

[2]- جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 129و130.

[3] - Look: Joanna Gavins and Gerard Steen, *Cognitive Poetics in Practice*, p: 109.

2. التّصور الاستعاري واللغة الاستعارية:

يُفرّق المعرفيون بين نوعين من الاستعارات، هما: الاستعارات التقليدية (conventional metaphors)، والاستعارات الجديدة (novel metaphors)[1] وليست التفرقة بينهما راجعة إلى مكان وجودهما في الشعر أو الكلام العادي، وإنما لأهميتهما المعرفية المرتبطة بالتجربة الإنسانية. فالاستعارة التقليدية تحضر في العقل الجمعي وأساسها التجربة الإنسانية، في حين أن الاستعارة الجديدة تكون فردية وأساسها الربط التصويري.

ولكن الاستعارات الجديدة والتقليدية ليست صوغا لغويا بل تصورات استعارية، حيث تفرّق اللسانيات بين الاستعارة بوصفها تصورا ذهنيا، والاستعارة بوصفها صياغة لغوية. إذ يؤكد جورج لاكوف ومارك ترنر على "أن من الضروري لأي مناقشة في الاستعارة أن تفرّق بين التصور الاستعاري الرئيس، الذي هو معرفي بطبعته، والتعبيرات اللغوية المحدّدة لتلك التصورات الاستعارية"[2].

وتبنى الاستعارة التقليدية على فكرة شائعة في أذهان الناس تُسمّى : "التصور الاستعاري، أو الاستعارة التصورية (conceptual metaphor)، وتعرّف بأنها "صيغة الفكرة التي تتبلور من خلال الارتباط بن مجال المصدر ومجال الهدف"[3]. وأما الاستعارة بوصفها صوغاً لغويا فتسمّى: "التعبيرات الاستعارية" (Metaphorical expressions). والفرق بينهما يكمن في أن التصور الاستعاري موجود في العقل الإنساني عموما أو بين أبناء الثقافة الواحدة، في حين أن التعبيرات الاستعارية موجودة في الكلام اللغوي، والمصدر المولّد لها هو التصور الاستعاري"[4].

ويمكن أن يتمّ ذكر مثال لتوضيح الفرق بينهما. لننظر إلى بعض الكلمات التي تدور في حديث الناس اليومي عند وصفهم: (الجدال) لنرى كيف تحضر الاستعارة فيها بشكل واضح، وكيف تمثل

---

[1] - Look : William Croft and D.Alan Cruse, *Cognitive Linguistics*, p: 195.
[2] - George Lakoff and Mark Turner, *More than Cool Reason*, p: 50.
[3] - Marcel Danesi. *Poetic Logic : The Role of Metaphor in Thought, Language, and Culture* (Language and Communication, V.1) 2004 Atwood Publishing. Madison. USA. p: 67.
[4] - Look: Zoltan Covceses. *Metaphor : A Practical Introduction*. P: 6.

هذه الأمثلة شواهد على ارتباط الاستعارة بالفكر وليس باللغة وحدها، فالناس مثلا قد يقولون عند وصف جدال معين[1]:

- لقد دافع عن وجه نظره.
- إنه يهاجم رأي الطرف الآخر.
- أصابت فكرته الهدف.
- انتصر في ذاك الجدال.
- إنه يتخذ إستراتيجية ممتازة.

إن العبارات التي تحتها خط هي ألفاظ مستعارة من سياقها الأصلي (الحرب) مستعملة في سياق (الجدال)، فهي إذن (تعبيرات استعارية)، وهي تظهر في حديث الناس اليومي باستمرار دون أن ننتبه إلى استعاريتها. لكنها أيضا تنبثق من (تصور استعاري) ذهني واحد، فهي جميعا مأخوذة من التصور الاستعاري: (الجدال حرب). وهذا يعني أن الإنسان العادي يفهم الجدال من خلال الحرب. فهو يستعير ما يخص الحرب ليفهم به الجدال. وهذا التصور الاستعاري القابع في ذهن الإنسان هو الذي أفرز تلك التعبيرات الاستعارية، كما يوضّحه الشكل التالي:

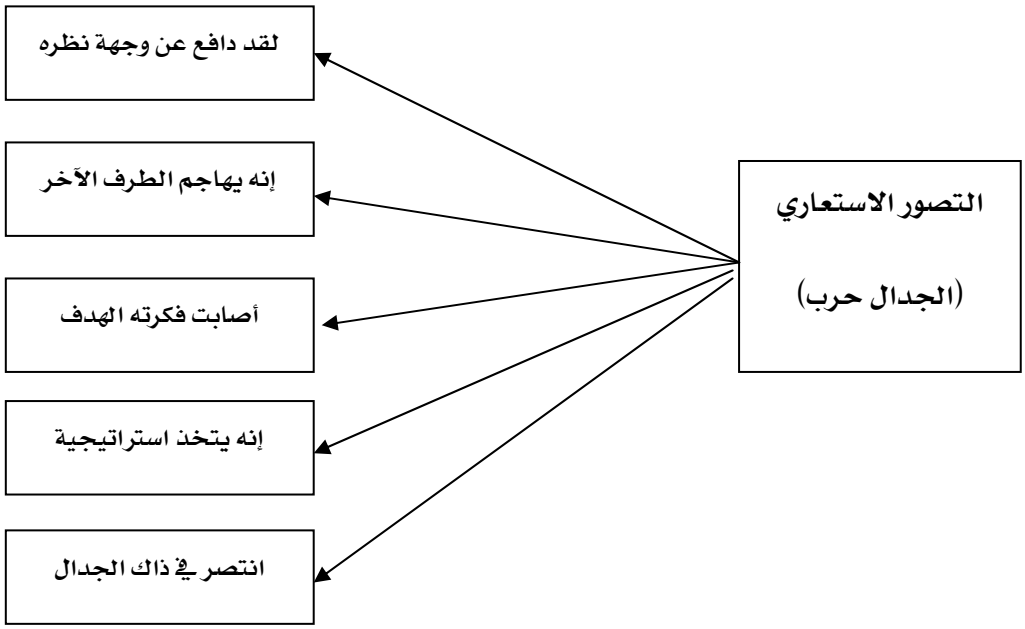

[1]- هذا المثال مأخوذ من: جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 22و23.

ويمكن التوضيح بمثال آخر يتحدث فيه الناس عن الحياة، فهو يقولون مثلاً في أحاديثهم اليومية عن الحياة:

- بدأ حياته بشكل جيد.
- نحن ننتقل إلى مرحلة جيدة.
- إنه يسير حياته دون وجهة.
- وصلت في حياتي إلى حيث أردت أن أكون.
- لن أسمح لأحد أن يقف في طريقي.

إن "هذه الطريقة في الحديث عن الحياة تُعدّ عند كثيرين حديثا طبيعيا معتادا في شؤون حياتنا اليومية...ولا تعدّ تعبيرا بديعا أو لغة أدبية. وسنرى من تأمّل هذه الأمثلة المعطاة أن كثيرا مما نتحدّث به عن "الحياة" مأخوذ من الطريقة التي نتحدّث بها عن الرحلة"[1]. وهذا يعني أن ثمة تصورا استعاريا يحكم أفكارنا عن (الحياة)، فنحن نستبطن في عقولنا الاستعارة التصورية التالية: (الحياة رحلة)، وهذا التصور الاستعاري هو الذي يولّد في أحاديثنا الكثير من أمثال التعابير الاستعارية السابقة.

إن الإنسان يحمل في ذهنه مخزونا من التصورات الاستعارية التي شكّلها من خلال التجارب التي مرّت بها حياة الإنسان، أو التي شكّلتها الثقافة والتراث الذي يعيش فيه. ومن خلال ذلك يفهم الإنسان بعضا مما حوله فهما استعاريا. إنه حسب هذه الرؤية يعاين كثيرا من الأشياء التي يحياها في ضوء أشياء أخرى بوعي أو بدونه، وتشكّل هذه التصورات الاستعارية كثيرا من مواقفه الحياتية وعباراته اليومية. لذلك تنهض استراتيجيات تأويل الاستعارات بالاحتماء بالعوالم الثقافية والاجتماعية للمؤلف، التي تصبغ ذهنه، وآلياته أثناء الذروة الإبداعية، فيتلفظ بشبكة تتفاعل فيها رموز ومقولات وخطابات مجتزأة من بينية اجتماعية ودينية وسياسية محددة؛ فالقراءة التأويلية للخطاب الشعري "تتضمن في الإخراج الإبداعي للنص الشعري احتمالات الدخول في الأبعاد الدلالية التي يحتملها،

[1] - _ Zoltan Covceses, *Metaphor: A practical Introduction*.. P:3.

أي احتمالات الاعتناء بالمستوى التأويلي الذي يحيل إلى مراجع اجتماعية-تاريخية أو نفسية — ذاتية للنص وجماليته. في هذا المسعى بالذات تجد دراسة النص الشعري اكتمالها، تعرف كفايتها البدئية-الاحتمالية مداها الإدائي الأرحب، وتتيح بذلك[1].

وهو ما يعني أن ثمة بنى ذهنية استعارية مشتركة في العقل الإنساني. هذه البنى الفكرية الاستعارية المشتركة هي ما أطلقت عليه اللسانيات المعرفية بـ (التصورات الاستعارية). وهي استعارات تقليدية موجودة في وعي الإنسان العادي والشاعر المبدع على حد سواء. وتنعكس هذه التصورات الاستعارية على حياة الإنسان بالكامل، بما في ذلك لغته فتؤدي إلى حصول التعبيرات الاستعارية الممثلة لتلك التصورات.

3. الاستعارة والتركيب:

تُعدّ الاستعارة أمرا متصلا بالدلالة بلا جدال، ولهذا تُتناول غالبا من خلال دورها الكبير الذي تلعبه في أداء الدلالة. إلا أن المعرفيين رأوا أن التصور الاستعاري قد يمتدّ إلى التركيب أيضا، وفي هذا يشير لاكوف وجونسون إلى أن الكلام يأتي في ترتيب معين من حيث مواقع الكلمات وأماكنها، أي من خلال فضاء مكاني، وهذا يعني أننا "ندرك اللغة بصورة طبيعة استعارية من خلال الفضاء...فتصوُّراتنا الفضائية تنسحب إذن بشكل طبيعي على التعابير اللغوية، فنحن نعرف الكلمة التي تحتل موقع الصّدارة في الجملة، ونعرف إذا ما كانت كلمتان متقاربتين أو متباعدتين عن بعضهما...ولأننا نتصور الشكل اللغوي باعتبار ما هو فضائي، فإننا قد نجد أن بعض الاستعارات الفضائية تنسحب مباشرة على شكل جملة ما كما نتصورها فضائيا، وقد تُخلق بعض الترابطات الآلية والمباشرة بين الشكل والمحتوى ترتكز على استعارات عامة في نسقنا التصوري"[2].

ويمكن التمثيل لذلك بالتصور الاستعاري الذي يظهر في العبارات التالية:

---

[1]- سامي سويدان، في النص الشعري العربي: مقاربات منهجية، ص: 17.

[2]- جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 133.

- ✓ لم تصله الفكرة بوضوح.
- ✓ يصعب علي وضع أفكاري في كلمات.
- ✓ كلماته تحمل معاني موحية.
- ✓ الجملة خالية من المعنى.
- ✓ توحي المقدمة بأفكار كثيرة.

فهذه التعبيرات تدلّ على أن ثمة تصورا استعاريا أنتجها يقرر بأن (الكلام قناة أو مجرى)، "فالمتكلم يضع أفكارا/أشياء داخل كلمات/أوعية ويرسلها عبر مجرى إلى مستمع يخرج الأفكار/الأشياء من كلماتها/ أوعيتها"[1]. وهذا يعني أن الإنسان يتصور الأفكار أشياء، والكلمات والتعابير اللغوية أوعية، والكلام قناة/ مجرى. ومادامت التعابير اللغوية (أوعية)، وأفكارها ومعانيها هي (محتوى) هذه الأوعية، فإن هذه الاستعارة تنعكس على التركيب، فلو "أن لدينا أوعية حقيقية صغيرة، من المنتظر أن يكون محتوى هذه الأوعية محصورا، والعكس صحيح لو كانت لدينا أوعية كبيرة. إذا طبّقنا هذه الملاحظة على استعارة المجرى حصلنا على التنبؤ التالي: "كلما زاد الشكل زاد المحتوى"[2]. بمعنى أنه كلما زاد الوعاء زاد المحتوى والعكس صحيح، فكلما زاد (الشكل) اللغوي زاد (محتوى) الأفكار والمعاني في الجملة. وهو ما نراه واضِحاً في كثيرٍ من التعابير، مثل قولنا: (جرى، وجرى، وجرى إلى أن سقط) فهي تشير إلى جري أطول ما تصفه (جرى) واحدة، ومثل: (إنه طويل جدا جدا) حيث تدلّ على طول أشد مما تفيده (طويل جدا)[3].

وبخصوص الحضور اللافت للاستعارات داخل الخطاب الشّعري، تنفتح هيكلة القصيدة المعاصرة على حركية كبيرة وحضور مكثّف للاستعارات التي توظّف بشكل استراتيجي. والمتتبع لهذه الحركية، يجد الخطاب الشعري الحداثي ينبض بكمّ هائل من الزّخم الدّلالي والانزياح البلاغي. لذلك

[1]- جورج لاكوف ومارك جونسون، الاستعارات التي نحيا بها، ص: 29.

[2]- المرجع نفسه، ص: 133-134.

[3]- لمزيد من الأمثلة، يرجع إلى المرجع نفسه، ص: 133-143.

نلفي نظريات القراءة والتأويل المعاصرة تستنجد بأكثر من أداة إجرائية وتطّور كذا منهج لتُلْقي بمزيدٍ من الضّوء على زوايا وأركان الخطاب الشّعري المفعم بالإزاحات والتّشتت والتضارب الدّاخلي. لهذا يمكن اعتبار "القصيدة نصّا غير مغلق على جهازه اللغوي والمعنوي. يشتّت رتابة توزيع اللغة، يحرّكها لأبعاد معرفية مفتوحة ذات بنية فراغية حجمية، غير محدّدة بمستوى واحد مع اكتمال حركية المعنى الذي يتركها النص بما يتناسب وسويّة التلقي. وهذا النص، يوظّف العلاقة التواصلية بين المفردات بطريقة مختلفة، ويفتح اللغة على مساحة غير منضبطة من سياقات البناء الدّاخلي، وسياق القراءة، وذلك لتستمدّ القصيدة حركيتها وعنفها من تحريك الدّلالات في سياق بعدي جديد ومختلف"[1].

وهذه الحركية التأويلية في نشاطها الدّؤوب قد لا ترسم حدّا أو حدودا تضبطها وتجعلها قاعدة أو قانونا يمكن تطبيقه بمعيارية على أي خطاب شعري مهما كان؛ لتحافظ على خصوصية المعنى الشعري في لانهائيته ودينامية دلالاته. وبذلك تنعتق السيرورة التأويلية للخطاب الشّعري من أسر الهياكل والبنى وصرامة الأنساق وعلمية الأنظمة التحليلية. وقد دعمت النظريات التداولية النشاط التأويلي بما يجعله أكثر ثراء وفيضا بالمعاني التي يزخر بها الخطاب الشعري في إبداعيته وبلاغته.

4. الاستعارة والثقافة:

إن أهم النتائج التي تُقطف من التصور المعرفي الاستعاري الجديد هو اعتبار الاستعارة مفتاحا من مفاتيح العقل البشري، فهي أداة مهمة في التعليم والتأثير والتغيير الإنساني، كما أنها في ذات الوقت تبدو مفيدة جدا في الكشف عن التصورات المعرفية للأفراد والجماعات والثقافات. ولأن هذا الموضوع واسع ومتشعّب سيقتصر الحديث على ما يلي: صلة الاستعارة بالثقافة، وصلتها بالسلوك الإنساني.

[1]- جمال الدين الخضّور، زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الإيديولوجية للنص، حركة الزمن، الإيديولوجي، المعرفي، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1995، ص: 107.

يعي الإنسان ما حوله من خلال التجارب التي يعشها في الوسط المحيط، سواء أكانت التجارب مع الطبيعة، أو من خلال الثقافة. وهذا يعني أن بعض الاستعارات قد تكون مشتركة بين العقول الإنسانية جميعا؛ لأن مصدرها الطبيعة التي يتعامل معها الجميع بشكل متقارب. كما أن بعض الاستعارات قد تختلف من مكان إلى مكان بحسب تراث وثقافة ذلك المكان.

وإذا أردنا أن ننظر إلى أثر الثقافة في الاستعارة فإن بالإمكان استظهار شيء من ذلك، في حين تلك التصورات الاستعارية تختلف من ثقافة إلى أخرى. وكمثال لذلك يشير أحد الباحثين إلى فرق في الاستعارات الشائعة عن الوقت بين المجتمعات المتقدمة والمجتمعات المتخلفة[1]، ففي المجتمعات المتقدمة الصناعية، سنجدها تبني تصورا للوقت في ضوء المال أو الذهب، لذلك تشيع في حديث أفرادها عبارات من مثل:

- أنت تضيّع وقتي.
- لا أملك وقتا أعطيك إياه.
- كيف تصرف وقتك هذه الأيام.
- يضيع كثير من وقتي عندما أمرض.

فهذه العبارات تنجم عن تصور استعاري يرى بأن (الوقت مال). أما المجتمعات المتخلفة التي تهدر قيمة الوقت فتشيع فها عبارات من مثل:

خذ كل وقتي، فأنا معك حتى الصباح.

نستهلك الوقت انتظارا لأذان الإفطار.

لا تأبه بتبذيرنا الوقت في هذا الحوار.

فهي تنطلق من تصور استعاري مختلف، يرى بأن (الوقت عملة رخيصة).

[1]- يُنظر: عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص: 68-69، والأمثلة المذكورة في هذا السياق منقولة عنه بتصرف يسير.

ومثل ذلك الاستعارة الاتجاهية، فقد تتأثّر بالثقافة والتّراث المشترك. فنحن نرى مثلاً كيف يأخذ "تصوّر اليمين جزءا كبيرا من النسق الإيجابي في الحضارة الإسلامية، لتعلّق الأمر بعدد من الآيات القرآنية التي ربطت الفَلاَح باليمين، ويتعلّق كذلك بكثيرٍ من كلام العرب وخاصّة الشّعر"[1] في حين أنّ اليمين لا يرتبط بأيّ معنى غير دلالته الاتجاهية في الثقافة الغربية. وهذا يعني أنّ بالإمكان دراسة الخصائص الثقافية لأمة من الأمم من خلال تتبع الاستعارات الواردة في كلامها، والتعرف من خلالها على التصورات الفكرية الاستعارية التي تشيع بين أبناء تلك الثقافة. ف"السيرورة الأساسية لتمرير المعاني من عقل إلى آخر لا يمكن النظر إليها على أنها مجرد توجيه آلي للمعلومات من (أ) إلى (ب) لا يعكّر صفوه الاضطراب، بل هي سيرورة من تحديد المعاني والاتفاق عليها. ومع أن شفراتنا المشتركة توفر لك ولي وجه معاني كلمات مثل طعام، جمال، تقدم، إلا أن اختلاف تجاربنا الحياتية يجبرنا على التفاوض الضمني كي نرسّخ ما يعنيه كل منا عندما يستعمل كلمة ما، وكي يعرف مدى تباين أو توافق استعماله مع استعمال آخر" [2].

5. الاستعارة والسلوك الإنساني:

إذا كانت الاستعارة تصوّراً ذهنيا يسكن عقل الإنسان كما يقول المعرفيون؛ فمن الطبيعيّ أن تكون ذات أثر على حياته كلّها. إذ يعتمد الإنسان على مخزون التّجارب التي يحتفظ بها في عقله لإنتاج السّلوك الجديد الذي يمرّ به. إنه يستعير من تلك التجارب المخزنة ما يظنه صالحا للتعامل مع الوضع الجديد. فالذي يدخل على سبيل المثال بيتا جديدا لأول مرة يضع يده مباشرة في منتصف الباب للبحث عن المقبض، وإلى جوار الباب مباشرة للبحث عن مقابس الإضاءة، إنه يفعل ذلك لا من خلال معرفته بالمكان بل من خلال مخزون التجارب السابقة التي يستعيرها ليتعامل بها مع هذا الوضع الجديد.

---

[1]- عبد الإله سليم، بنيات المشابهة في اللغة العربية، ص: 72-73.

[2]- روجر فاولر، النقد اللساني، ترجمة: عفاف البطاينة، ص: 99و100.

ومن خلال التصور الاستعاري يبرز ذكاء المتكلم عبر استراتيجيته الخطابية حيث يقوم بتقسيم العالم المعقّد الذي يعيش فيه إلى مجموعات أو عناصر صغرى يمكن تحديدها ومعرفتها ثم هو الكائن الذي يستعمل تلك المعرفة لأداء أعمال وفق ما تقتضيه حاجاته وظروفه على وجه يخطط له ويتحكم في مساره. فالمحيط يمثّل مصدرا للمعلومات تُستقى منه بتوسط الموارد الحسية كالإبصار والسمع واللمس...يشتغل عليه النظام الذكي ترتيبا وتبويبا وما على ذلك من وجوه التنضيد والمقْوَلة والحفظ والتسجيل والتخزين، ويمثل التخطيط ما به يكون التوليف بين تلك المعلومات في سبيل إنجاز أي عمل قد يكون مفيدا للكائن الذكي، ويقتضي هذا الأمر حصول ملكية بموجبها يكون تمثيل المحيط تمثيلا مرنا قابلا للتّكيف مع كل جديد[1].

فالاستعارة عبر الخطاب أسلوب تفكيري يتصوّر فيه الإنسان الأشياء من خلال مقارنتها بوعي أو بدونه بأشياء أخرى، لقد تعوّدنا أن نسمع مثلا: (الناس معادن)، و(الزواج قفص ذهبي)، و(الحياة عقيدة وجهاد)، و(الأم مدرسة)، و(إنما الأمم الأخلاق)..الخ. إننا هنا نعاين شيئا ونحاول أن نفهمه في ضوء شيء آخر، من خلال سحب بعض الخصائص والسمات من أحد الطرفين إلى الآخر.

إنّ الاستعارة وفق هذا التصور هي رؤية تتغلغل في عقل الإنسان وتحدّد اختياراته السّلوكية والمعرفية والشّعورية حتى على المستوى الفردي، فالإنسان الذي ينظر إلى الحياة على أنها غابة – مثلا– سيعيش حياته في توجّس وخوف من أن يتعرّض للأذية والافتراس في أية لحظة، وسيعيش حياته منطويا لا يثق أو يختلط إلاّ بقلة قليلة من الناس. أمّا من يرى الحياة على أنها حديقة أو رحلة سياحية فسيحرص على أن يستمتع قدرَ ما يستطيع وأن يتعرّف على كل شيء يراه، وأن يتطلع إلى التعرف على ما يشبع رغبات البهجة وحب الاستطلاع لديه. ومن هنا تقوم العلاجات المعرفية النفسية على فكرة تغيير تصور الإنسان عن الشيء الذي يقلقه، إنها تحاول أن تزرع استعارة جديدة مكان المختزن في عقل الإنسان المريض، لأنّ هذه الاستعارة الجديدة سينجم عنها سلوك جديد بلا شك. وقد حاولت بعض الكتب الحديث عن أثر التصورات الاستعارية على حياة الإنسان على المستويات

[1]- الأزهر الزناد، نظريات لسانية عرفنية، ص ص: 15و16.

المختلفة، فكيف يمكن أن يكون للاستعارة دور في التغيير الشخصي، وفي تشافي المريض، وبعض الحوادث الاجتماعية كالطلاق، وأثر في السلوك والشعور الإنساني...إلخ[1].

6. الاستعارة والإبداع الأدبي:

تحدّثنا سابقاً عن رؤية المعرفيين للاستعارات إما أن تكون (تقليدية) أو (جديدة). فالتقليدية هي التي تشيع بين الجماعة اللغوية، وهي تُبنى —كما سبق القول– على تصورات استعارية (أو استعارات تصورية). وهذا يعني أن موقف الشاعر والمبدع من تلك التصورات الاستعارية التقليدية لن يخلو من حالة من هذه الحالات الثلاث[2]:

- في أن يستعملها كما يستعملها العامة في كلامهم اليومي بطريقة آلية أتوماتيكية.
- أن يوظّفها بطريقة إبداعية فريدة، إمّا بالتوحيد بين عدد منها، أو توسيعها، أو بلورتها في صور قوية...الخ
- أن يحاول التفكير بطريقة جديدة لا تمتثل لذلك التصور الاستعاري، وإنما تطرح تصورا فرديا خاصا بالمبدع.

وهذا يعني أن التّصور الاستعاري كما يقول أحد الباحثين، قد يؤسّس الاستعارات التقليدية العرفية وبعض الاستعارات الإبداعية على حدّ سواء. إذ يمكن أن تكون الاستعارات الإبداعية راجعة إلى تصور استعاري موجود في الاستعارات التقليدية أيضا[3]. وقد أثبت لاكوف وترنر ذلك بدراستهما للاستعارة الشعرية في عدد من النصوص، ووجدوها ترجع إلى استعارات تصورية موجودة في الاستعارات التقليدية[4].

---

[1]– انظر الفصل الثاني والثالث في:

Jeffery Scott Mio and Albert Katz *Metaphor Iimplications and Applications*,

[2] - Look : George Lakoff and Mark Turner, *More than Cool Reason*, p: 51.

[3] - Look : Joanna Gavins and Gerard Steen, *Cognitive Poetics in Practice*. p:101

[4]– انظر بشيء من التفصيل في الفصل الأول من كتابهما:

More than Cool Reason, p 51-56.

لكن هذا لا يعني عدم قدرة المبدع على صناعة صوره الخاصة، فهذا يمكن أن يحصل في الاستعارة الجديدة (التصويرية). فهي ليست مبنية على تصور استعاري وإنما على معاينة شيء حسّي في صورٍ أخرى. إن السيرورات تتضمّن فك التشفير (uncoding) – أي فضّ الربط المتوارث بين علامة/ دال ما ووحدة ثقافية ما – واختياريا إعادة التشفير (recoding) أي ربط مفهوم مستحدث بعلامة/ دال ما وبالتالي ترسيخ صلاحيته. وبهذا تكون السيرورة النهائية (القصوى) في الإبداع اللغوي هي تكوين شفرة جديدة كاملة، أي منظومة من النُظم اللغوية الجديدة التي تشفر مجالاً جديداً وكاملاً من المعرفة. وإعادة التشفير الشاملة هذه في اللغة الأدبية – وهي عادة ما تكون لغة جنس أدبي بعينه – كانت ولا تزال هدف أولئك الكتاب والنقاد الذين سعووا إلى قدح شرارة الثورات الأسلوبية، كي يغيّروا تماما طريقة التعبير في الأدب[1].

والشّاعر في هندسته لخطابه الشعري لا يشمل ذلك التوظيف القبلي والبعدي للمفردةَ فقط، بل يشمل أيضا علاقة المفردات فيما بينها، بتوظيفها القبلي والبعدي، من خلال الجمل والعبارات والأقوال والصور...ومع تكامل هذا التوظيف البعديّ، تكتمل الفضاءات التي يُحيل إليها النص الشعري، ويحمل بذلك تمايزه الخاص الواسم له، والذي يستند على عناصر التناقض بين السياقات نفسها، وبينها وبين الرؤية بشكل مفتوح على بوّابات اللامحدّد من منظومة السيكولوجيا بعناصرها الخيالية والمعرفية، بحيث يعيد ربط اللاّوعي القابع في اللاشعور السيكولوجي للمتلقي، إلى الأساسي والرئيس في حالاتٍ من الترابط المفتوحة على إمكانيات تحميل جديدة لقراءات مختلفة. بما يوازي استحضار العلاقات الغيابية في النص إلى مقدمة الحضورية الماثلة في قوام النص نفسه. ويتمّ هذا الانتقال-الفعل، عبر الحركية الزمنية بشكل مختلف عن كل أشكال الإبداع الأخرى. فالزمن الملحميّ في النص الإبداعي متحرك، متصاعد يتّسم بتحريك الكتلة لحلزون الزمن الاجتماعي[2].

---

[1]- روجر فاولر، النقد اللساني، ترجمة: عفاف البطاينة، ص: 101.

[2]- جمال الدين الخضّور، زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الإيديولوجية للنص، ص: 108.

وبإبداع هذه الاستعارات يقوم الكتّاب بإنتاج علاقات جديدة بين الأشياء. وهذه الاستعارة التصويرية تبنى على المشابهة، ولكن هذا لا يعني أنها مجرد لغة، وإنما مع هذه الاستعارات لازال هناك محاولة لتغيير رؤيتنا لشيء في ضوء آخر، ولذلك فهي تغيّر رؤيتنا لها. والمشابهة مجالها واسع أمام المبدع الأدبي، ولكن هذا لا يمنع من التأكيد على وجود الاستعارات التصورية التقليدية المبنية عل التجربة البشرية حتى عند المبدعين[1].

ويمثل النقد المعرفي اتجاها نقديا جديدا بدأ يزاحم النقد التقليدي، حيث ينظر النقد المعرفي- مستفيدا من العلوم المعرفية عموما واللسانيات المعرفية خصوصا- إلى الأشكال الأدبية والأسلوبية والبلاغية بوصفها أدوات مهمّة في الكشف عن فهم النص للعالم، والتعرف على رؤيات النص ومفاهيمه الكبرى. فالنص الأدبي وفق هذا التصور هو شكل من أشكال تجسيد التجربة الحياتية اليومية للإنسان وإضاءة جوانب الوعي والمعرفة الإنسانية التي أسّست إحساسنا وأسلوب رؤيتنا للعالم من حولنا. كما ينطلق النقد المعرفي من قناعة ترى أن دراسة التعبير الأدبي سوف تقود إلى اكتشاف منهجية التفكير التي تحكم النص الأدبي. فدراسة الأدب في نظر النقد المعرفي هي دراسة لطريقة تفكير الإنسان ووعيه الحياتي من خلال استكشاف ذلك من خلال استعمالاته اللغوية. ومن أهم تلك الكتب التي نظّرت لهذا اللون النقدي الجديد كتاب ألّفه (بيتر ستوكول)، تناول فيه فن الشعر معرفيا وجعل ذلك عنوانا للكتاب[2]، وجاء بعده باحثون أخذوا الرؤى النقدية التي طرحها في كتابه وطبّقوها على عدد من النصوص الإبداعية في كتاب نقدي تطبيقي[3].

وتتخذ اللغة أهميتها في النقد المعرفي بوصفها إحدى أهم أدوات تخزين وتوصيل التجارب الحياتية الكامنة في عقل الإنسان. لذلك يعوّل النقد المعرفي كثيرا على اللغة المجازية، وبالأخصّ على الاستعارة بوصفها مفهوماً إنسانيا أساسيا في العلوم المعرفية. حيث أعطت الاستعارة دورا مهما في التعرف على الوعي والمعرفة الإنسانية التي تحكم صياغة النص الأدبي، وتتغلغل في أنسجته. لهذا تقترح

[1] - Look : Joanna Gavins and Gerard Steen, *Cognitive Poetics in Practice*. p:103, 104.
[2] - Look : Peter Stockwell, *Cognitive Poetics: An Introduction*. Routledge, London. 2002
[3] - Look : Joanna Gavins and Gerard Steen,*Cognitive Poetics in Practice*. 135.

القراءة المعرفية والتداولية استنطاقا للنص، وتوخيا لتصوراته "ورفض الخضوع لآليات طرق التفسير الجاهزة، لكن هذه القراءة الاستنطاقية ذاتها تتفاوت فتصل أحيانا في تناولها للنصوص الفنية الغنية التي تتميز برؤاها المركبة إلى مستوى الإبداع، وتتوارى مع النص الفني إذا ما توافر للناقد أساس معرفي راسخ، يوجهه نوع من الحدس الملهم"[1].

ذلك أن النص قد تحكمه بنية استعارية كبرى تؤثر على كافة أبعاد وجوانب صياغة النص، وتكون ذات صفة توليدية تنتج صياغات استعارية ولغوية أخرى متوافقة معها. ويكون دور الناقد هو محاولة التعرف على هذه البنية الاستعارية الكبرى والكشف عن تأثيراتها المختلفة في أنحاء النص.

[1]- اعتدال عثمان، إضاءة النص، ص : 100.

الباب الثّالث:

المقصدية والاستراتيجيّات التأويلية في شِعر محمّد بنّيس

- الفـــصل الأول: استراتيجية المقصدية عند بتّيس: الموت وقلق الذات الشاعرة.
- الفصل الثّاني: استراتيجيّات تأويل الخِطاب الشّعري عند بنّيس: نداء الأهواء والإنصات إلى اللاّنهائي.

يلجئ المؤوّل إلى التقنيات التداولية لثرائها بأدوات إجرائية تمكّنه من تحليل وتأويل الشبكة الخطابية الشّعرية المعقّدة بطبيعتها الانزياحية المتفرّدة كجنس أدبي خاصّ، لما يحتويه الشعر من استراتيجيات نصية وبؤر مقاصدية تتمثّل عبر إشاريات وقرائن معجمية أو سياقات تدليلية.

وما الكشف الذي يقوم به المؤوّل إلا عنوانا على التفاعل الجادّ بين المؤلّف (الشاعر) والمتلقّي (القارئ والمؤول)، فمن جهة يوظّف المبدع خبراته الجمالية وآلياته الفنية في صوغ خطاب تتقاطع فيه الآمال والآلام وتتشابك فيه الوقائع بالأحلام، ليمنح للقارئ خطابا تنسجم فيه البنى النصية مع البنى الذهنية والتصورية للمؤلف صاحب الخطاب، لكن عملية التمثل والصوغ هذه تُعاد قراءتها مرارا وتكرارا؛ لأنها تحتمل أكثر من وجه وتتطلّب أكثر من تفسير. وليتدارك القارئ المؤول هذه الصعوبة التي تواجهه يسعى صوب تحقيق دلالي وتداولي لتقنيات وآليات اشتغال الموضوعات الخطابية داخل الاستعمال الشعري؛ أي وصف وتجريد وفهم للممهدات النفسية والرواسب الاجتماعية والثقافية وحتى الشخصية للمبدع، ليس بطريقة كلاسيكية كما عوّدتنا المدارس الأدبية في أوجهها التقليدية، بل بالتفكير بشكل جديد وجادّ وعميق في تحقيق الذهن لتقبل تمثلات الدلالة الواردة عند المتكلم في ربط الاشتغال التركيبي بالدلالي إلى غاية البعد الإنجازي، أي من التصور والتلفظ إلى الفعل والأداء "يتحدّد المعنى من خلال عناصر داخلية، وأخرى خارجية، تتمثل الأولى في البنية التركيبية والدلالية، ومعرفتنا باللغة والنحو والمعجم. أما الثانية فمرتبطة با يتعلق بالنص وظروف كتاباته وموازياته الخارجية من بينانات وحوارات حول (لماذا وكيف كُتب)؟"[1].

[1]– محمد بازي، التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010، ص: 53.

عندما يتأمّل القارئ بتمعّنٍ أشعار محمد بنّيس، يتبيّن الكثافة المفهومة داخل وحدات خطابه الشعري وبنياته الصغرى والكبرى، ويلمس قيما إنسانية في غاية التعقيد يترجمها عبر أشعاره فتأتي في غاية الغموض والغرابة والترميز. من هنا وجب على القراءة النقدية لخطابه أن تبتعد عن الآنية والانطباعية في تأويلها لمقاصد الشّاعر وخفاياه الشخصية. فلا تقوم بإسقاطات أهوائية أو انفعالية أو تعلّلها على أساس لغوي صوري بنيوي. فعوالم بنّيس أو أي شاعر مقتدر تمتزج فيها المقاصد والظّنون والأهواء وشتى الحالات الذهنية والعاطفية. فالنّص اللغوي هو الإطار الذي تتجسّد من خلاله الإستراتيجية التواصلية؛ فهو يُوصِل إلى هدف التواصل؛ ولذلك لا بدّ من دراسة تكوّن النص أو عمليات بنائه التخطيطية الذهنية والفعلية المتحققة كجزء من الإستراتيجية[1]. ومن أبرز القضايا الأنطولوجية التي عالجاه بنّيس في شعره، هي الموت.

وقد ارتبط فضاء الموت في الخطاب الشعري بفردية الذات الكاتبة، ومن الجسد الفردي يكتسب تمييزه في المكان والزمان. فتأمُّل الموت شعريا لا يجيب عن كونه حدثاً أو حالة بقدر ما يتفاعل مع الغياب باعتباره سؤالا وجوديا يصل إلى عتبة الحقيقة الفلسفية كي يربك سؤالها عن العلائق الممكنة بين الغياب والعدم ما دام الموت "هو وجه الحياة المُبعد عنّا، وغير المضاء من لدُننا"[2].

لهذا تعدّدت الأنساق الفلسفية ونزعتها المختلفة في النظر إلى تجاوز الموت وضبطه عبر الذات اليقظة وقدرتها على احتوائه ضمن تعرّفها على علاقة الجسد والرّوح. ولم يكن تعرّفها في بعض الخطابات إلاّ إنتاجا للاستخفاف بالموت كما يمثله فرانز كافكا، أو إنتاجا بالموت كما يمثله نيتشه حين يلحّ على ضرورة وجود "إرادة موت مختلف، أي موت حرّ وواع من غير صدفة أو مفاجأة"[3]. فبين الخطر والمخاطرة تقوم رؤية الموت ومواجهته من خلال معرفة كيفية اختيار الموت، ومن هذه

---

[1] – يُنظر: فان دايك، "النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي"، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2000، ص: 218.

[2] - Martin Heidegger, *Chemins qui ne mènent nulle part*, Coll Tel, Gallimard, Paris, 1986, p : 363.

[3] - Maurice Blanchot, *L'espace littéraire*, coll Idées, Gallimard, 1968. p : 116.

البينية تملك القصيدة يقظتها فيما هي تحوّل المرئي إلى لامرئي، حيث يكون الفعل الشعري ضروريا في عالم الشّدة "ويكون الشعراء هم الأكثر مخاطرة بالنشيد والغناء يأتون، وبهما ينقادون لمواجهة الموت"[1].

لكن ما هو النشيد؟ أهو نشيد الموت نفسه أم نشيد الحياة؟ وهل التغني، هنا، نوعٌ مكن استبطان الغياب أمام فكرة الموت باعتبارها تجسيد له تجاه المقدس؟ وهل تعني مواجهة الموت بالنشيد والغناء تقليدا أو محاكاة للمقدس الذي يحضر أو ينسحب كما كان الأمر مع التجربة التراجيدية في اليونان وفي الغرب؟

استراتيجية المعمارية الشعرية في قصيدته **نهر بين جنازتين**:

يبدأ التفكيك بقراءة استراتيجية التسمية أو العنونة، فهي توازي في أهميتها الاستراتيجية البنائية للخطاب بشكل عام، فتضاعف من التكثيف الدلالي الذي يحيط بمدار القراءة والتأويل. ومن هنا نلحظ في تركيب "**نهر بين جنازتين**" مزجاً بين تسمية الإخبار والتّعيين من خلال تقديم عنصر النّهر مركبا اسميا نكرةً، وبين الظرفية للمكانة التي أصبحت صفةً للنهر وإحدى لوزامه الدلالية.

وليس في هذا التّركيب استعارة ولا طرف يُكنّى بطرف، بل جملة من التجاوبات والتقاطعات التي تُسمّي علاقة الماء بالموت في المكان والزمان، ولو نظرنا إلى العلاقة المحلية بين الماء والنهر لألفيناها علاقة زمنية لا تؤشّر على تعيُّن جهة مخصوصة بحكم خاصية الجريان والامتداد.

ومن هنا يفرض البناء الدلالي تصوّراً أوليا مفاده أنّ النهر يفصل بين موكبين جنائزيين فيما تقوم إعادة بناء المعنى بإدخال عنصر —هنا والآن– في خطاب العنوان؛ حيث يحصر النّهر مع الجنازتين فتنتفي الصّلة الموقعية —لا المكان– ليكون الاندماج إيقاع هذه العلاقة. وبقراءة عاشقة يحتفل الإيقاع بنشيد الماء إذ يصير النهر ملتقى الجنازتين فيما هو يتوسّطهما في موكب لانهائي يتّجه حيثما يحفر الماء مسالكه وأخاديده.

[1]– محمد بنيس، الشعر العربي الحديث، دار توبقال، ج3، ط3، 2001، ص: 245.

فاختيار التّسمية في هذا الدّيوان أفقه الشّعري، وهو ما يسمح بإعادة تأمّل الموت كواقعة شعرية مسكونة بالتهديد الذي يطال الذات الكاتبة. هذا الكلام، يحيل، صراحة، على ما يُسمّيه الشّاعر نفسه "بنوبة الشّعر" حينا، وما يُسمّيه "بالمباغتة" حينا، وما ينعته حينا آخر، ب "غيمة الرّؤيا"، في الآن نفسه، إلى أنّها أي الرّؤيا تتملّكه فجأة ك"يوم بلا ميعاد"، حتى لكأن الشعر وحي يأتي إلى الشاعر هكذا كما اتّفق. لا يراوده على مهل، ولا يتراءى له تدريجيا، بل يسبيه من نفسه فجأة، ويأخذه من ذاته بغتة، أو كما لو أنّ القصيدة تدهم الشاعر وتجيئه بشكل مباغت عنيف، ممضّ، عات[1].

فالتفكير في الذات عند بنيس لا ينفصل عن التفكير في الكتابة من حيث هي ممارسة زمنية لعناصرها ودوالها، وفي هذه الجدلية يكون اختبار الممكن الشعري فعلا تاريخيا يؤكّد استحقاق الذات لماء الكتابة.

ومن هنا نفهم مقصدية الشاعر، في أنه لا يهدم ثنائية الحياة والموت ليغدو مطلب النص ودلاليته هو تحويلُ الموت إلى حاجة تضمن حياة الذات مقابل موت الآخر. وخير مؤشر نصّي على هذه السيرورة الحيوية بين الموت والحياة، اختيار بنيس عنوان هذا الديوان **النّهر** بما يحمله من حمولة دلالية للجريان ودورة الزمن والحياة، حيث تمجيد الكتابة هو تمجيد مائها، لذلك كان إنتاج الدلالية يُصاحب شفافية الماء كإيقاع يرتسم بتحوّلات الجسد في اللغة، ولهذا اتّسق دالّ النهر بجنازة الذات وجنازة اللغة في تشكيل رؤياوي يتهيّأ بمشهدية نصية لإيقاع الماء واللغة والذات من حيث هو إيقاع يسري في جسد النص باحثا عن معنى آخر للموت.

هنا تكمن حيوية القراءة واستراتيجيات تأويل الخطاب الشعري في محاولتها الغور بين طيات خصوصية النص الشعري فيما يتضمّنه من أسرار لا يمكن الكشف عنها جهارا أو بأدوات بسيطة. فهذه الخصوصية هي فن الخفاء الذي يبقى طيّ الكتمان قابلاً للإظهار، وقادراً على جعل المعتم من

[1]– محمد لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية، ص ص : 28 و29.

الكينونة يُفصح عن غيابه بغياب ملوّن لا يتنكر لجذوره الأصلية. إنّ المعنى أو المضمون في هذا التصور، هو في أفق اللانهائي، هو ما نقف على ضفافه أو نبحر فيه ولكننا لا نحدّه لأنه لا استقصاء له. فهو متجدّد بتجدّد القراء، متعدد بتعددهم. لكن ما اللانهائي؟ "لذلك أقول أنّ المعنى هو من ظِلال اللانهائي أو من رعيته؛ والقراءة هي طقوس التماسه. وهو ما يسمح لنا بأن نلتمس بمشاعرنا وخيالنا وذائقتها ومخزوننا الثقافي اللحظة التي يضعنا فيها الشعر على مشارف اللقاء بين الرائع والمروّع، على ضفاف الغامض اللامتناهي"[1].

ولا تزال القراءة لقصيدة **بنّيس** تحوم حول ملفوظ **النّهر** ودلالية الماء التي يعكس مقصدية الشّاعر وإيقاع ذاته، والماء في هذه القصيدة يوزّع لعبة الدّوال فيما هو يُعيد تسميتها على جسد النص عبورا ذا تلوينات لانهائية؛ وهكذا يختبر الشّاعر مسافة الذات منصتاً إلى مختلف الجهات التي تعبر إليه من الماء إلى الماء.

ويكون مفتتحُ الديوان بنص –بعيد– لقاءً يعيّن المسافة أوّلا ويلقي بظلال المتكلّم على المكان والزمان من أجل التزوُّد للعبور. فالبُعد دالّ على مكان الذات المتكلمة، غير أن المُبعد قد يتعدّد إذا ما اعتبرنا مكوّن اللّحاق أساسيا في عملية التلفظ التي يؤشّر عليها عنوان النص، إذ يكون البعيد هو الشاعر كما يكون الماء أيضا. فمن يعبر إلى الآخر في فضاء الموت؟ لنُنصت إلى ما يكتب الشاعر[2]:

سأُنصتُ

مُلْقياً وجهي إلى أدنى برودة شُرفةٍ

تُملي عليَّ خريفها

سُحباً ودُبّالاً

[1]- خالدة سعيد، فيض المعنى، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2014، ص:18.

[2]- محمد بنيس، نهرٌ بين جنازتين، الأعمال الشعرية، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2002، ص: 527

لَهُنَّ المَاءُ مجهولاً

يُضاعفُ بذرةَ المجهولْ

سأنصتُ ساهراً

ثَـمِلاً

لجوف الماء

ليلاً يخطف القدمين

سأنصتُ لازرقاقِ الوقت

مُصطدماً

بشلاّلٍ

ومُنحدراتِ أوديةٍ

وأسفلِ ضفَّةٍ ترنو إلى جبلينْ

يختار النّص بناءً زمنيا للأفعال يروم تقوية العلاقة بين الذات والمجهول، فالمستقبل زمنٌ يتّسعُ لكل ما تفكّر فيه الذات الكاتبة في الحاضر؛ وعبر الكتابة يكون الإنصاتُ فعلاً حيويا مستمرا ومتعدّد الأوضاع؛ لأنّ الكتابة الإبداعية، هي أساس اختراق لتاريخ الابتداع نفسه؛ توقظ الأصداء وتصيد الأحلام وتثير الأسئلة مؤسّسة للقراءات المتعددة. ما يعني أن القراءة المكتملة غير ممكنة، وهذا من أسرار الشعر والنصوص العليا[1].

[1]- خالدة سعيد، فيض المعنى، ص: 18.

في المقطع الأول يربط بحال التعرف حيث يبادر الشاعر إلى الخارج كي يتعرّف إليه دون أن ينتظره. فحين يلقي وجهه يكون مستعدّا للقاء مع الخارج في لحظة برزخية يمثلها عنصر الشرفة الواصل بين الداخل والخارج. إنه وصل حوار يقوم على علاقات الإنصات والتلقي إملاءً، حيث يتحوّل الوجه إلى صفحةٍ لها ماءُ الكتابة ينضحُ مثلما نضحُ ماءُ الوجه؛ فالأشياء موضوعُ الإملاء ليست مفروضة على الشاعر قسراً، بل هي تنصت لمائها تجاه الكينونة ذات الوجود المضاعف.

ولذلك تكتسبُ الذاتُ والأشياء تسميتها للزمن في تكوينيته المتعدّدة؛ فالبرودة والخريف يُعدّان من بين التواردات العديدة للموت، وبينهما يفتتح النص أفق الذّات الكاتبة نحو إعادة تسمية هذا الزمن: بذرة المجهول المضاعفة. فهل المجهول، هنا، هو الموت أم الماء؟

إن قيمة الزمن هي الرّهان الذي يُمكّن الذات من متابعة الإنصاف لمختلف التجليات. وهنا عبر هذه الإيحاءات الغامضة للماء "تصبح الكلمة في التجربة الجمالية إشارة حرة، تمّ تحريرها على يدي المُبدع الذي يُطلق عتاقها ويرسلها صوب المتلقي، لا ليقيّدها المتلقي مرة أخرى بتصوّر مجتلب من بطون المعاجم – وهو ما نقترفه دائما في حق النصوص الأدبية فنسهم في قتلها، وإفساد جماليتها– وإنما للتفاعل معها؛ بفتح أبواب خياله لها؛ لتُحْدِث في نفسه أثرها الجمالي. وهذا هو هدف النص الأدبي. وعلى هذا تصبح النص فيما تُحدثه إشاراته من أثر في نفس المتلقي. وليس أبدا فيما تحمله الكلمات من معان مجتلبة من تجارب سابقة، أو دلالات مستعارة من المعاجم[1].

وفي هذا المقطع الشعري نجد كلّ الأشياء تقول كينونتها، وهنا نقف على استراتيجيات اختيار الشاعر للون الأزرق، عندما وصف لنا الزمن أو الوقت في ازرقاقه؛ حيث تلتقي تواردات اللون مع كثافة الماء في فضاء يتميّز بحركة النزول والصعود. تلك هي تخوم الماء وهو يحفرها عميقا، تارة تبدو هادئة وأخرى هادرة لتختفي في ظلمات لها الباطن مسارا لانهائيا، وفي هذا المسار تتحوّل الرؤية إلى إنصات لمادية الأشياء داخل الذات التي تعيش حالة شطحٍ لها التخلي سمة متجاوبة مع المحو.

[1]– عبد الله الغَذّامي، تشريح النّص: مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط2، 2006، ص: 18.

إن الشعر يكتم الكثير من المضمرات والمقاصد الذاتية الدفينة التي تترسّب بعمق في دهاليز الخطاب الشعري. و"محاولة التقاط تلك اللحظة التي يمثل فيها الشاعر في حضرة الشعر، ويأتي الشعر ليتراءى أمام الشاعر كالهاجس تماما ويمثل في حضرته وعدا يمكن الإمساك به. إنها لحظة متميزة متفرّدة لأنها لحظة الميلاد العظيم: ميلاد الشعر والشاعر ودحرهما لسلطان الصمت. ولكنها لحظة محجبة، متكتّمة على نفسها، متسترّة في غاية التّستّر لا تخبر عن ماهيتها ولا تقول خباياها إطلاقًا[1].

فمحاولة جسدنة اللّقاء بالموت، أو الفناء هي في غاية التعقيد الشّعري، عبر إقدام الذات واستعدادِها للإقامة على حدودِ الخطر وتقوية الإحساس بالجسد أثناء السّكرات التي تطول مع فعل الكتابة. ولمّا كان تكرار الفعل –سأنصت– مقترنا بالحال في بناء المقاطع، فإن التحويل الذي يلحق هذا الاقتران تركيبيا يدخلنا في إيقاع تأمّل الذات وقدرتها على استجواب الموت، وذلك ما يفعله الشّاعر حين ينقل حال الاصطدام من أناةُ إلى ازرقاق الوقت باعتباره تجاوبا يعضدُ نقل النظر إلى الإنصات ليغدو الماء أقوى من الموت. إنه ماء الذات الذي ينقلب على أحوال الموت في زمن تحفره الكتابة وتدعو أثرها في المكان من غير أن تكون له ذاكرة الطلل، بل بالسفر والرحيل يتاخمُ الأثرُ إيقاعَ الماء.

ولا يُقدّم الشّاعر في هذا الخطاب جنازة الذات باعتبارها منعاة ترافقها لغة البين والفراق، بل هي رؤيا تتّسع للمرئي واللاّمرئي، للحياة والموت، للزمان والمكان؛ لذلك احتفت في الجنازة طقوس الدّفن أو الصّلب أو الحرق. ففي المقاطع الأخيرة من القصيدة الشّعرية تتجاوب الصفحة المتعدّدة من جهة المكان النصي مع هذا المرور الذي يأخذ من البياضات والفرغات قوّة الاختراق في الزمن. جاء في المقطع الخامس قول بنّيس[2]:

[1]– محمد لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية، ص: 15.
[2]- محمد بنيس، نهرٌ بين جنازتين، الأعمال الشعرية، ص: 529.

بـــــعيدٌ الـــنّـــــهـر

يستضيء بصـــوته زنـجــيٌّ يفضِّضُ ملتقى

الأدغالِ من أعلى

المساقطِ

بابِلِيٌّ يقتفي أثر النّجوم

وبربريٌّ يكتسي بالرَّعْد

والحجَر المُسنَّن

في

التُّخُوم

يخرج بناءُ الصّفحة عن التّعلق المعجمي الذي تفرضه كلمة "بعيد" الموجودة في الربض الأيمن من الصّفحة، لأن عنصر التوجيه بين المتواليتين أو النصين مقاميّ بالدرجة الأولى نظرا لغياب المتكلّم بينهما معا، في الوقت الذي كانت حركته في المقاطع السابقة مُوجّهة للتعلقات بمختلف مظاهرها النّصية والدلالية.

ولذلك أضحى الضمير الغائب متعدّداً يشمل المتكلّم كذات وجسد كما يشمل الموت والماء، إذ ليست الاستضاءة بالصوت، هنا، قرينة دالّة على الكلام بمعناها الاستعاري الذي يستدعي الصّدى أثرا لتعيين المكان في العتمة، بل الصوت نداءٌ يحضر فيه الماء والموت عنصرين متداخلين فيما تكون الذات ملتقى تقاطعهما وتجاذبهما.

وبهذا العبور يُعيد الشاعر إيقاع النّداء وقد اتّخذ من الزمن ما يمنح التّسمية تعدُّدها؛ ففي المتواليات الموجودة على يسار الصفحة نسمع صدى النّداء في تكوينيته المنتسبة للماء، حيث يكون

النّهر زنجيا وبابليا وبربريا في آن، لا جنسية له سوى الحياة التي تبدأ معه العبور كلّما تشكّلت أخاديده وجداوله في مختلف الأمكنة. إنه حضن اللانهاية وهو يُعيد الحياة إلى الأشياء؛ في الذات تتشكّل بذرتها وفي الكتابة تنمو:

قطرةٌ كتبت مسالك قطرةٍ

ليدٍ

تؤَكّدُ للحصى نبضَ

ارتعاشٍ لا يكفُّ

عن التّجدُّدِ بين سِرّ متاهةٍ

ومتَاهَةٍ

نبعُ الدّواخِلِ

نعمةٌ

فاضَتْ على لون الوُشومْ

ليس التّجدّد هنا، عودةٌ إلى تموز لبناء فضاء الموت وحركته في النّسيج النصي، بل هو سمة الكتابة وخصيصة صيرورتها. ففي الشّعر ليست للأشياء هوية ثابتة أو دلالة نهائية. الأشياء في الشعر ذات هوية متحركة أو على الأقل ذات قابلية للتحوّل بقوة التأويل وبفعل تنوّع القراء. ما دامت القراءة هي لقاء لحظيتن ومخيلتين بل ذاتين، لقاء يتكرّر ويتجدّد مع كل قارئ[1].

[1] – خالدة سعيد، فيض المعنى، ص: 13.

ويتّصل في هذا المقطع الشّعري الداخل والخارج بماء الكتابة عند تقاطع الحقيقة والسؤال، حيث العبور إلى الأقاصي موسومٌ بالتخلي عن الأثر الذي يحيل على الموت والاستعداد لبلوغ عتبة المحو كي تتّخذ الذّات من السؤال زادها في الإقامة على حدود الخطر.

وإذا كان للماء سمة المحو، فإنّ علاقة الشاعر بها هي علاقة صداقة ومصاحبة مادام الماء يفيض على مختلف الرّسوم من خلال الكتابة. هكذا تغدو الكتابة مواجهة للأثر الذي يُحضر الموت في الزمان والمكان، إذ ليس الأثر سوى كتابة أخرى تمجدُ الحقيقة واليقين وتستسلم لميتافيزيقا الموت، وهي الكتابة المسالمة بطرائقها في إعادة النموذج والمثال. ولعلّ استدعاء تدافع القطرات وتواليها يعيدُ إلى الذات تكوينية العالم من خلال الطُّوفان كعنصر محوٍ أكبر للذّات المشتركة؛ وبهذا يصاحب الماء جنازة الذات فيما هو يحميها من التماهي والتماثل لكونها ذاتاً تنادي على الماء باستمرار.

وتتواصل هذه الشّبكة من التجاوبات مع النّهر؛ حيث تتشكّل نِسَبُ التّعلق بين النهر والذات، والنهر واللغة، والذات واللغة في ضوء السّؤال والظّن والمسافة نحو إنتاجِ دلالية العبور. ثم إنّ الإبقاء على البُعد بين الشّاعر والنهر لا يترجم الحاجة إلى العبور كما لا يترجمه البحث عن الذات للتعرف عليها، بل هو تقويةٌ للسّؤال ومناطُ العتبة لبرزخية تجاه المجهول. يكتب محمد بنيس في هذا النص ما يلي[1]:

مع النّهر

هذا البعيدُ

يظلُّ بعيداً أقولُ لنفسي أنتِ التي لستُ أعرفها سوفَ

يجري المدى بيننا صفحةً من مياهٍ عهودُ

[1]- محمد بنيس، نهرٌ بين جنازتين، الأعمال الشعرية، ص: 533.

انشقاق الطبيعةِ تنزعُ عنكِ التُّراب لأبصر غوراً يعودُ

إليّ برنَّة ناي تأبَّد فينا غيابٌ وما بيننا غيرُ وجهٍ لهونا قليلاً

بأشباهنا كلّ يومٍ عدَونا إلى صيحَةٍ كيف لي أن أميز بيني

وبينك يأتي النّشيدُ

خليطاً من التّبر والعتمات سينفصل الوجه عن وجهه ثمّ تسقطُ قطعةُ بردٍ على شفتيَّ يتوهُ المُريدُ

يقومُ عنصر تحويل البيان في هذا المقطع بنقل تركيب المعيّة من دلالة المشاركة والقُرب إلى دلالة الوَسَاطَة والبعد. وللإشاريات والرّوابط السياقية أهمية بالغة في فهم تداولي للخطاب الشعري، ومكنوناته؛ فالمؤوّل في تحليله لشعرية الخطاب ينصّ على تداوليّة الرّوابط والضَّمائر وأسماء الإشارة وأسماء الأعلام وأسماء المكان وغيرها مراعاةً منه لأوضاع المتكلم والمخاطب والزمان والمكان والأشياء المحيطة، ومن صياغة قوانين للمجادلة ولنجاعة الكلام ونجاحه ولتحليل النصوص[1].

فحينما يتمّ إسناد صفة البعيد للنهر يكون اسم الإشارة من جنس الموصوف لتشمل الصفةَ والموصوف حالة واحدة يراها الشّاعر من خلال وضعيته التي تنبئ عن علاقة افتقاد؛ غير أن عدم الإسناد المذكور يضع النهر بمعيّة اسم الإشارة القائم بالنسبة للذات، ولذلك انبجست وضعية السّؤال في شكل مقام يُوحي بتعلّق سببي مردُّهُ بقاءُ البعيد مجهولا - أقولُ لنفسي أنتِ التي لستُ أعرفها -.

فسؤال معرفة الذات/ النفس لا يقف عائقا أمام الشاعر بقدر ما هو سؤال وجودي، فهو ينسل من المطلق إلى المادي؛ أي إلى الجسد حيث يتعمّق حضور الماء وعداً واصلاً بين أنا وأنت وبين الهنا والآن، رغم أن الجدلية الأخيرة موكولة إلى المستقبل — سوفَ يجري المدى بيننا صفحةً

[1] - محمد مفتاح، "دينامية النص: تنظير وإنجاز"، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط3، 2006، ص: 37، و "تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص"، ص: 151.

من مياهٍ -. هي ذي الكتابة التي تنادي على مائها، وهي التي تؤرّخ للذات كينونتها حيث تصير ألفة الطبيعة مع الذّات تأسيساً للمواجهة؛ فانشقاق الطبيعة لا يعني التخلي على وجه الصّراع، بل يُعدّ سمةَ الحياة وتجدُّدها من خلال عناصر الماء والتراب والهواء والنار في تفاعلاتها وتناقضاتها. ونزعُها الترابَ عن الذات هو شكل من أشكال مواجهة الموت وتأبيدٌ للألفة بدلَ الغياب الذي يصيبُ القدرة على الرؤية والحركة في اتجاه المدى المكتوب بسريان الماء. فهل هذه الجنازة إمعانٌ في غَوْر الذات وموكب للعبور؟

لا يكون استبصار الشّاعر للموت عن طريق وساطةٍ أو مشابهةٍ لتجربة أخرى غير تجربة الذّات نفسها، فاللّهو بالأشياء لديه غير مقترن بلعبة المرآة، وإنما هو وعي بتلك المُمَارسة إلى الحدّ الذي تبدو معه عملية التّواصل مع الذات مبنية على لغتين مختلفتين تقود إحداهما الأخرى إلى الموت أو تتنكّر له على الأقلّ.

ويمكن القول إنّ الشاعر يُدخِل الآخر في هذه الجدلية باعتباره عارفا ومنسجما مع حقيقته ومصيره، فمنذ بداية "القراءة لا يبقى القارئ والنص في حال عزلة ولا حصانة؛ لا عزلة واحدهما عن الآخر، ولا عزلة لقائهما عن الخلفيات ولا عن المناخات الثقافية المحيطة، أو عن الحقول والتداعيات"[1]. ومن ثم كان هذا الإشراك حاملا لبذرة الهدم عبر نقد لغياب السؤال لدى الآخر الفردي والجماعي، بل إنه نقدٌ لما يمكن أن يكون عالقا بالذات بوعي أو بدون وعي؛ هكذا يتمّ التخلص من الوجه الاستعاري لا الوجه الشخصي، أي من لغة غير مشاكسة لا ماء فيها.

وفي هذا المعنى يكون تعبير- طلقتُ ما قدمتُ- مفتوحاً على تداخل نصّي متعدّد الطرائق في مختلف النصوص، فاللحظة الشعرية "حالما تستردّ ماهيتها، تتسربل بالغموض. وتبدو كما لو أنّها تقف على تخوم ما لا يُقال أي تخوم ما لاذ بالصّمت. وتومئ مجرّد إيماء إلى ما يكمن في الواقعيّ من

[1]- خالدة سعيد، فيض المعنى، ص: 12.

خياليّ. لذلك تتبدّى كما لو أنّها حركة اجتياح لما يظلّ محتميا بالصّمت لا يطاله الكلام العادي، أو حدث استدعاء للغياب الكامن في الحضور"[1].

ومنها هذا النص الذي يقوم فيه فضاء الموت بتأسيس جانب من الطلاق المادي بين أنا/ أنت سواء اختار ضمير المتكلم جنازةَ الذات سمةً تميز علاقته بالماء والعبور أو اختار جنازةً أخرى تميز علاقته بالأشياء والعالم. وهي في هذه الحال جنازة اللغة.

لا بُدّ إذن من اكتمال مشهدية الماء والعبور كي يؤسّس المتكلّم الشّعري أمام هالة الموت امبراطورية بصفاء الأنا الفانية، حيث تنتفي حدود الحلم. وإذا كان فضاء الموت ملتقى للرغبات، فإن بعض العناصر التي تساهم في بناء مشهدية الماء والعبور تكتسي أهمية قصوى أثناء تشكُّل دلالية الأهواء بقدرتها على تحريك دبيب الرّعشة في الأشياء مع الزمن الذي يستجيب لحُمّى الأنا الفانية، خاصة وأن الزمن موسومٌ بالتحوّل. وهذه العناصر الاستراتيجية هي الشطح والنشيد في تجاوبهما الإيقاعي وفي انتظامهما داخل الخطاب الشّعري.

مع محمّد بنّيس تأخذ اللغة على عاتقها مغامرة التّمكن من الموت حينما تشغَل مادية الكتابة زمنا يعبر التركيبَ والمعجم، وهو زمن حركة بكل ما يحمله من تحوّلات نصية يُضيئها إيقاع البناء. ولعلّ تعبير جنازة اللغة ضمن هذه الرؤية لا يلغي تلك المغامرة بقدر ما يجعل التمكن من الموت أو السيادة عليه –بتعبير بلانشو– استحقاقا للموت، لأنّ التمكن منه "لا يعني أن تظلّ الذات سيدة نفسها أمام الموت..بل استحقاق الموت في الحياة الخاصة عندما يتمّ التّوجّه إليها والعودة من الموت المألوف في العالم"[2].

فالمألوف في اللغة هو تعبيريتها التي كفّت أن تحضر في شعر بنّيس، ولذلك كان موت اللغة إبدالاً أساسا في حياة اللغة وفي تاريخيتها من داخل الكتابة، فبها تسعى الأخيرة إلى تأسيس معرفة

[1] – محمد لطفي اليوسفي، لحظة المكاشفة الشعرية، ص: 23.

[2] - Maurice Blanchot, *L'espace littéraire*, p : 115.

بالذات والمجتمع: لغة في حالة شطح يأيتها النشيد إن لم تكن هي النشيد نفسه عبورا نحو عالم لم يصبح بعد مألوفا.

هكذا يتوجه بنّيس إلى اللغة بالصمت الذي يتركه فراغ الصّفحة عنصرَ بناء ذا إيقاع متجاوب مع المنفى المستمر في تعدّدية طرائق الكتابة. ومن هنا يبدو أن الفراغ متعدّد كما أن للمنفى نداء يدعو الشاعر للتعلم والإنصات.

الفصل الثّاني: استراتيجيات تأويل الخطاب الشعري عند بنّيس

نداء الأهواء والإنصات إلى اللاّنهائي.

1. الفناء ومحنة الموت:

تتّصل النهاية بالفناء ويتّصل الفناء بالبقاء. إنّ مراسيم الوداع ومقولات الرّثاء ومشاعر الحداد كناية عن شرط لا يكون الإنسان دونه إنسانا، ألا وهو شرط التناهي والفناء، إنه الشطر الآخر من الحياة وهو الموت. فمن الموت والفناء يكون الحِداد.

يُفجّر شاعرنا **محمّد بنّيس** من "الحِداد والمأساوي" شعرا خالدا. ففي تأبين الأصدقاء ينصت بنّيس بعمق إلى فاجعة الرّحيل، ويشيّد من رحيل الآخر طريقا جديدا مختلفا، بتوظيفه انزياحات تركيبية وإزاحات دلالية، لأجل رؤية جديدة لفهم الموت والحياة. هي طريق الشّعر ودروب القصيدة لاستئناف وعدٍ مختلف للّغة. وهذا الاستئناف هو مقاومة **بنّيس** للّرحيل، وتصدّيه للموت والنسيان والهجران الذي تتضاعف التباساته، يقول بنّيس في قصيدته "موسم الموت" في رثاء إلياس خُوري[1]:

حَانَ الوَقْتُ

حَانَ الوَقْتْ

[1]– محمد بنيس، مواسم الشّرق يليها مسكن لدكنة الصباح، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط2، 1990، ص: 35.

فَجَأْتُ الكِتَابَةَ تَعْبُرُ مِن غَيْمَةٍ تَرَكَتْ ظِلَّهَا

عَلَى تَعَبٍ يَتَوَهَّجُ فيهِ دَمِي كِبْرِيَاءْ

تَحِنُّ إِلَيَّ إذَا جِئْتُ أَرْمُقُهَا

صِفَاتٌ تُجَالِسُنِي فِي الخَفَاءْ

لَعَلّي حِينَ أُرَافِقُهَا

أُرَابِطُ بَيْنَ انْفِرَاطِ السُّؤَالِ وحُمَّى النِّدَاءْ

عبر هذه المقاطع يُصبح الرّثاء فكرة شعرية ضرورية عند **بنّيس**، وقيمة إنسانية وأخلاقية، تنطلق من أبيات القصيدة، لتُنصت إلى لانهائية اللغة ومجهولها. حيث خصّص **الشّاعر** عبر ملفوظات معبّرة عن ذاتٍ متشظّية [تحنّ/ الخفاء / حُمّى النّداء] داخل فضاء هائل للحِداد، في وداعه للآخر.

وفي ثنايا هذا الفضاء الشّعري دعوة مفتوحة على اللانهائي؛ إذ سهر **بنّيس** في قصيدته على استئناف وعد اللغة، مجهولا ولانهائيا، من أجل استحقاق الضيافة ورثاء الرّاحل. يقول في مقطعٍ آخر للقصيدة نفسها[1]:

تَجَمَّعْنَا فَكَانَ المَاءُ

نَخْلاً وانْحَنَيْتُ لِكُلّ زَائِرَةٍ

تنَادَيْنَا دَوَائِرُ وَجْهِيَ الأُولَى

[1]- محمد بنيس، مواسم الشّرق يليها مسكن لدكنة الصباح، ص ص: 43-44.

تَعَالَتْ فِي صُفُوفِ المَاءِ
صَافِيَةً يُزَرْكِشُ صَدْرَنَا بَعْضُ
الكَلاَمِ تَسَابَقَ الزّيْتُونُ بَيْنَ
صُرَاخِنَا قُلْنَا وكَانَ الطِّفْلُ
يَدْفَعُ مَوْتَهُ اقتَرِبُوا لَنَا الأَعْلاَمُ
هَلْ قَتَلُوكَ هذَا يَوْمُنَا أَبَداً لَهُ
سِرّاً طَرِيقَتَهُ فَمَالَكَ غَيْرَ أَنْ
تَلْهُو وتَضْحَكَ مِنْ جُنُونِ
الحَرْبِ يَا خِلِّي تجَاوَبَ فِي
السُّهُولِ غُبَارُهُمْ لَيْتَ البِلاَدَ
تَضِيقُ حَتَّى نَشْرَبَ الشَّايَ
المُنَعْنَعَ ثُمَّ نَرْحَلَ فِي اتِّجَاهِ
المَوْتِ

هَذَا المَوْتِ

هَذَا المَوْتْ

لِيَ أَنْ أُعْطِي قَدمِي
لِجِهَاتٍ يَعْرِفُهَا المطرُ اليَوْمِيْ
حَتَّى يَنْضُجَ غَيْمٌ
آخرُ

يَا مَنْ لاَ أَعْرِفُهَا

مرثية **محمد بنّيس** نشيد يتموّج في مجهول الذات، اقتفاء للأثر، نداء للمجهول [يَا مَنْ لاَ أَعْرِفُهَا]، لعب مع اللاّمرئي ورقص مع الأشباح [ثُمَّ نَرْحَلَ فِي اتِّجَاهِ المَوْتِ....هَذَا المَوْتِ.....هَذَا المَوْتْ] واستدعاء للمحجوب واستذكار للفاني [تَضِيقُ حَتَّى نَشْرَبَ الشَّايَ المُنَعْنَعَ]. رنّات عود تتعالى في قصيدة **موسم الموت،** متناسقة ومتناغمة في الصّوت والصّمت أيضا. شعر **بنّيس** انفتاح، يعود به راجلا إلى حيث النهاية في اللانهاية. يتدفّق في أشعاره من صمتٍ إلى صمتٍ، هناك ينصت إلى المجهول، اللانهائي، الذي يتكرّر أبدياً في كلام القصيدة، خارجا من العدم مواجها الموت والفناء.

لذلك يُحاول المؤوّل عبر استراتيجياته قراءة الخطاب الشعري وإعادة قراءته مرارا وتكرارا للاقتراب من سكنات الشاعر وذائقيته الرّفيعة وهشاشته الحسّية. فيفكّك شفرات الخطاب الشعري متكهّنا التوقعات والافتراضات والأجواء الضّمنية العميقة في قاع القصيدة.

لذلك كان الاعتماد على القراءة أمراً حتميا في فكّ مضامين ودلالات القول الشعري التي استغلق ضبط مقصدها؛ فلا نعدّ إضافة المعنى التي تأتي بها الاستعارة كيانا خفيا يقبع متنكرا خلف المعنى الحرفي أو أمامه. ف"إذا كانت الاستعارة تنتج عن تفاعل، فإن معنى الصورة المجازية لن يكون مادة

خفية بل هو عملية وحدث. ليس المعنى الاستعاري شيئا "هناك"، ينتظر اكتشافه في استقلاله، بل هو خلق بمشاركة القارئ يعتمد عليه في وجوده من خلال حلّه تنافر الصورة المجازية"[1].

وفي تأويل الخطاب الشعري حول الموت عند بنّيس، تتصدّى القراءة النقدية إلى تتبّع رؤى الشاعر ومقاصده حول الوجود وحركيته عبر ثنائية الموت والحياة، والاقتراب من شطحاته الشعرية كضوء متحرّك، متموّج، في ولعها بالمستحيل واللانهائي، من أجل هذا المدى الكلي المتمثل في ثنائيات "الموت/ الحياة، الحضور/ الغياب". في الإنصات إلى الآخر الرّاحل، الغريب والمألوف، الحاضر والغائب، يقبع شعر **بنّيس** في حذر من الأجوبة السهلة الممتعنة. إن الشعر بوصفه سلبا لفينومينولجيا (ظواهرية) العالم، أو لانكشاف ملموس وتجلّ مألوف "يتوخى إعادة فهم الوجود ومساءلة الكينونة لتأسيس رؤية الاكتناه العميق، ومن ثمّ تغدو فاعلته تمارس التأويل الشامل"[2].

2 – محمّد بنّيس "الزّائر – الحائر": الموت وشعرية الإرجاء:

الرّاحل تُرجى عودته؛ يُرجئ حضوره (بالمفهوم التفكيكي) ونحن دوما في اقتفاء أثره. هو آتٍ (L'arrivant) و"كل آتٍ قريب" كما تقول العرب، إنه العائد (Le revenant) البعيد الذي يأتي على عجل ويتراءى لنا في ومضات ويتمثل في بصمات، إنه يرقص في ذاكرتنا يصارع النهايات، هو أثر لا ينفكّ عن التَّجلي والتَّلاشي، هو إمكانية المُستحيل، فهو "اللاشيء" الذي يمزج بين الاستحالة والإمكان، أو تمفصل بين الحضور واللاحضور.

[1]– القراءات المتصارعة، ص: 112.

[2]– عبد العزيز بومسهولي، **الشعر والتأويل**: **قراءة في شعر أدونيس**، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء- المغرب، ط1، 1998، ص: 07.

يحيا بدون أبعاد وبلا آماد، يحيا و "هو" في دهاليز اللحود، يحضر و"هو" في عتمات الغياب.

يصوغ **بنّيس** هذه الانفعالات الملتبسة والمرتعشة في رثاء صديقه **إلياس خوري**[1]:

مَسْكُوناً بِمُعْجَمِي المَفْقُودِ أُخَاطِبُ فيكَ دَمِي وأُرَاوِدُ خلْخَالاً مُنْفَتِحاً لِجَلاَلِ تَسَكُّعِنَا أَنْتَ هُنَا

مِنْ فَاسَ دِمَشْقَ

دِمَشْقَ فَاس

خطٌّ لِمَوْتٍ وَاحِدٍ

مَعَهُ تَسْتَيْقِظُ زَهْرَةُ الضَّوْءِ والصَّوْتِ

لَــمْ يَنْسَحِبْ حَرْفِــي

يطلعنا الشاعر في خطابه هذا عن انتماء شبح **إلياس خوري** إلى زمن مغاير ومخالف للزّمن الذي نعيشُه، هو يقطن بيننا في زمن هارب [أنت هنا/ تَسْتَيْقِظُ زَهْرَةُ الضَّوْءِ والصَّوْتِ]. فالشبح يطوف في اليقظة والمنام حُرّا من قيود المكان أو الزمان، فتجده موجودا و مفقودا في سماء دمشق وفي فاس حاضرا في غيابه، "هو العائد دائما، وهو يظل يعود من جيل إلى جيل، ومن حِداد إلى حِداد، وهو ما يتبقى من الفناء، وما يحيا من بقايا النهاية"[2]. في هذه المرثية مساحة يقترب فيها البعيد ويعود

[1]- محمد بنيس، مواسم الشّرق يليها مسكن لدكنة الصباح، ص: 39.

[2]- صفاء فتحي، **من الفكرة إلى الشبح**، مجلة "أوان"، جامعة البحرين، العدد 4/3، 2003، ص: 82.

الغائب ويحضر المفقود ونألف فيها الغريب، تلك *المساحة* هي *ساحة* فيها للميت موضع ومأوى في مقصديات **بنّيس**.

ويحوم **شاعرنا** في رثائه لإلياس خوري في "الهنا" أو "الهناك"، فما يحدث في تلك اللحظات الهاربة يتلاشى ويُمحى من الحاضر لكن لا يُنسى فقد يسترجعه المخيال الإنساني في شكل تذكار يقبع في العمق تتعذر رؤيته؛ كالطّيف الذي يتخذ من الطِّياف* ميقاتا له، ومن العتمة ملاذا له، فلا تُدركه الأبصار ولا تشاهده الأنظار، إنه حدث عابر وطارئ وغير قابل للقياس.

ذاكرة **محمد بنّيس** الشعرية مخزن هائل للاستحضار؛ فهي أفقٌ يبزغ فيه الرّاحل، ليسكن معه مملكة شاسعة مجازية الصفات. هي كالوهم، ولعلّ "الوهم أشد رسوخا من الحقيقة، بل إنه متجذّر فيها بالدرجة التي يصبح متطابقا معها ومطابق لها تماما"[1] كما قال جاك دريدا.

وفي مقتطف آخر من مرثيته **موسم الموت**، يقول محمد بنّيس[2]:

حَانَ الوَقْتُ

حَانَ الوَقْتْ

فَامْنَحْ هَذَا الوَشْم ذَاكِرَةً

تَتَعَلَّقُ عَرْشَ المَاءْ

*- الطِّياف قي اللغة سواد الليل.

1 - Jacques Derrida, *La carte postale: de Socrate à Freud et au-delà*, Paris, Aubier Flammarion, 1980, p : 454.

2- محمد بنيس، مواسم الشّرق يليها مسكن لدكنة الصباح، ص: 45.

وانْفُخْ فِي أَوْرَاقِ الحُلْمِ مُقَدِّمَةً

تَرْوِي عَنْ سَيِّدَتِي الأَنْوَاءْ

فَلِيَ الآنَ انْصَرَفَتْ كَلِمَاتُكَ طَائِعَةً

حَتَّى اكْتَمَلَتْ فِي طَاعَتِهَا الأَضْوَاءْ

تظل آثار إلياس الشعرية شريدة بلا مقر، طريدة بلا مستقر تقع في ثنايا الحلم والذاكرة. تُزاوج بين الحضور(*pré*-sence) والغياب (*ab*-sence) "فالماضي هو دائما ماض دون أن يمضي نهائيا. والحاضر دائما حاضر دون أن يحضر كليا، أو هو لإمعانه في الحضور يحول دون حضوره فيبقى متسما بشحوب الماضي"[1]. إنّ ذكريات **بنّيس** مع **خوري** بارتداديتها إصرار على الحضور وبإعاديتها تأكيد على الوجود.

وتكشف الاستراتيجيات النصية في تجاوزاتها التركيبية عن مقاصد تتماوج بين التصريح والتضمين، فمنها الظاهر نصيا والباطن المستتر، فمثلا لفظة تدل على مؤشر تداولي لحالات الشاعر الأهوائية، وهو ما يتوافق مع دلالية العنوان بالقصيدة وهو بؤرة تتناسل عنها تراكيب مقصدية أخرى تدور حول الموضوع نفسه، وهي تيمة "الموت أو الغياب". فالمؤشرات النصية التي حملها المقطع الشعري السابق [الوشم/ الذاكرة/ انصرفت/ حان الوقت] بمثابة دلالة انفتاحية رغائبية لما ينطبع في التلافيف الذهنية للشاعر من دلالات وبنى تصورية، وهذه الخطاطات الذهنية يمتزج فيها حضور

[1]- في حوار مع جاك دريدا أجراه معه عبد العزيز بن عرفة، "**الدال والاستبدال**"، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1993، ص: 37.

أطياف وأصوات أخرى. فالنهاية تتّصل بالفناء ويتّصل الفناء بالبقاء. إنّ دعوة الأطياف وعودة الأشباح "كناية عن شرط لا يكون الإنسان دونه إنسانا، ألا وهو شرط التناهي والفناء، إنه الشطر الآخر من الحياة وهو الموت. فمن الموت والفناء يكون الحداد ومن الحداد يكون الشبح"[1]. إنَّ في النهايات حديثٌ عن بدايات مفتوحة مختلفة عن بدايات الزمن الماضي؛ ففي النهايات فوهات غير مسدودة تسري فيها الأشباح وتحضر عبرها الأخيلة والأطياف؛ ذلك أن الأثر (La trace) من مُخلَّفات صاحبه، فيخلد بعده سواء كان الأثر اسمه أو صوته أو صورته.

ومحاولة قراءة أشعار **بنيس** حول الموت هي طموح نقدي كبير؛ فالعناية التفسيرية والقراءة التأويلية لخطابه الإبداعي، تخلق أمام كلّ قارئ خرائط تصويرية ومجريات تأويلية في غاية الكثافة والتعقيد، لتعقّد رؤية الشاعر للكون والذات الإنسانية ورهاناتها وانعكاسها بشكل مهمين على النواة الخطابية الشعرية.

فحركة الأثر الشّعري هي حركة انتقال (translation)؛ فهو يتعلّق بحركة ضرورية في تفعيل وتمثيل تذكار أو شبح، يتم استدعاؤه وتذكُّرُه للحلول والتجسُّد، ويتم ذلك بالانتقال إلى ذلك الأثر اللاَّمدرك أو القفز بحثا عن الشبح الغائب[2]. تأثّر الشّاعر برحيل إلياس خوري، هو اقتفاء لأثره ومطاردة لخياله واصطياد لأطيافه. في مرثيته لعب مع اللاَّمرئي ورقص مع الأشباح واستدعاء للمحجوب واستذكار للفاني. الفاني الذي يأبى عن التَّناهي ويرفض الانمحاء.

1- صفاء فتحي، **من الفكرة إلى الشبح**، ص: 81.

2- يُنظر: جيل دولوز، **البرغسونية**، ترجمة: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1997، ص: 60.

3/ في الحبّ والكِتابة:

يُعدّ بناء نصّ الرّغبة عنصراً هاما في إنتاج دلالية الأهواء، إن لم يكن هوى من مجمل الأهواء التي اشتغلت في نصوص **بنيس**، غير أنّ الانتباه إلى الرّغبة ضمن فضاء اللوعة قد يفرض علينا تحديد نوعية الصّلة بينهما؛ من حيث التضمن والاكتفاء والكلية. وسواء كانت اللوعة أعمّ من الرغبة أو كانت الأخيرة محدودة بحكم ارتباطها بالمادي والملموس، لأن أهمية الرتبة والصّفة في تشكلهما داخل القصيدة لا يُضيف للبناء ولا للخطاب شيئا. ولذا كان نص الرّغبة في **كتاب الحبّ** متعدّدا من حيث الأماكن التي يدخلها القارئ وكذا العتبات المضيئة لتأملاته وإنصاته للجسد المتكلم. لهذا يظل الأفق الشّعري مفتوحا للكتابة والتعبير أو فسحةً ونسيجاً للتَّخريج؛ لتخريج وتفريغ الشحنات الداخلية من عشق وولع وهجران.

من خلال التشكل المادي للكتابة يبدو أن الارتباط بالزمن الشخصي الذي يؤرخ للذات إقامتها ذو وظيفة إيقاعية في فهم الذات للحياة. فإذا ما نظرنا إلى جدلية – هنا والآن – في تمثل المتكلم لجسده، ألفينا الزمن المحايث لوضعية الجسد ملتبسا بإيقاع العبور، وكأن اختيار الجسد للسكون هو في واقع الأمر استعداد لعبور ثان لا يهيء إقامة تنبئ عن استقرار في المكان.

بهذه الصورة يتقدم الجسد نحو انمحاء رغبة في إيجاد الصلة بين الهنا والآن: تلك الصلة النابعة من زمنه الخاص دونما تماثل أو تطابق مع زمن الموضوع الخارجي. ولهذه الصورة بناؤها النصي الذي

يضطلع التركيب بتخصيص تشكّلها ضمن علاقات تجاذب بين إيقاع الجسد الرائي وإيقاع الجسد المرئي. يقول محمد بنّيس في قصيدته: **مسكنٌ لدُكنة الصّباح**[1]:

لِيَكُنْ مَتَاعُ العَيْنِ شَيْئًا مِن

جِهَاتِ دَمِي

لِيَكُنْ جَنَاحُ النَّخْلِ مُنْتَمِيًا لِكَوْكَبَةِ

اقْتِحَامِي

تِلْكَ السَّمَاءُ قَرِيبَةٌ مِنْ خَوْفِهَا

والأَرْضْ

ألأَرْضُ سَيِّدَةُ الوِلاَيَةِ

تَكْتَفِي بِحَرَارَةِ الصَّيْفِ المُعَبَّإِ بانْتِظَامِ

المَوْتْ

ففي هذه المشهدية بين السّماء والأرض، تشكّل المؤشّرات النصية تجاذبا مركزيا لزمن العبور ولزمن الحضور، خاصة وأن وضعية الكلمة في سياقها التركيبي والوزني ذات قوة إنجازية تتميز بحركية الوصل والفصل في آن. إنها تصل فضاء السكون بإقامة الذات/ الجسد كاختيار في الزمن الذي يحركه المتكلم (علوي/ دنيوي)، كما أنها تفصله عن المكان الذي يُسقِط الجسدَ في التنميط ويجعله ضمن

[1]– محمد بنيس، مواسم الشرق، ص: 101.

الاقتحامات التي تسم هذا المكان. وعلى هذا الأساس يصبح الجسد ممتلكا للغةٍ تمحو وتضيء أثناء حضورها في المكان الزمان، وهو حضور موسوم بالانتقال والتبدل.

هنا نختبر الطاقة الشعرية عند **بنّيس** في صوغ رؤاه الإبداعية ضمن مخاض الأسئلة الأنطولوجية المعقدّة والمركّبة، والدنوّ من مشارف المطلق وتأمّل الوجود والكون والطبيعة. في نصّه هذا يبتعد **بنيس** عن التقريري والمألوف، لمغايرته السائد في الدلالات واللغة، مبتكرا صورا وأخيلة تنتشر بين المعنى وظلاله، في حدثٍ لا تنتهي تأملاته ولا تتحدّد آفاقه. فهو يخرج عن طريق معجمه اللغوي ومخزونه الشّاعري والشّعري إلى احتمالات فنية تفيض بالتمرّد والتفرد.

سبقت الإشارة إلى أن لغة الجسد هي اللغة التي يحيا بها أثناء تفكيره في مختلف حركاته، وليس الحب والعشق حالتين سابقتين على هذه اللغة أو معطيين موضوعيين لتقييم مستوى تعبيريتهما. من هنا وجب الانتباه إلى المفارقة التي تتسلّل إلى القراءة عن طريق تأويل الرّغبة بالأحوال والبواعث كي لا نسقُط في شرك التحليل النفسي؛ وعلى هذا الأساس يكفّ نصّ الرغبة أن يكون ترجمة للرغبة ذاتها أو نقلاً لها سلبا أو إيجابا، بل هو طريقة لاشتغال اللغة عبر تحويل النظر والإنصات والقول والكتابة، ذلك لأن نص الرغبة– وهو يتحوّل إلى قصيدة– يكون بناء حيا مادامت القصيدة "تبحث عن تحويل شكل للحياة من خلال تحويل شكل للغة والعكس صحيح"[1].

[1] -Henri Meschonnic, *Manifeste pour un parti du rythme*, in Analles, N°13 ; 1999, p : 16.

ولا بد أن يكون لنصّ الرغبة محرك ظاهر أو خفي، وهو في النص الشعري صوت قد لا يكون بالضرورة صوت الشاعر لأنه ذات لا تقبل التماهي حتى وإن كانت التجربة خاصة أو شخصية[1]. وبتأمّلنا لبعض نصوص كتاب الحب يبدو أنّ وضعية المتكلم الشعري بمختلف تجلياتها محركة لنص الرغبة بامتياز؛ وليس اختيارنا للتخصيص والإشراك تحجيما لهذه الوضعية بقدر ما هو استراتيجية في قراءة تحوّلات المتكلم ضمن علاقته بالذات الكاتبة وبالذوات التي يعمل نص الرغبة على إدخالها واستنطاقها.

تُعدّ قصيدة "**أنا لا أنا**" مفتتح الديوان وسمة بنائية تتجاوب مع حركة الحوار وحركة تقديم الألفة؛ إلاّ أن الناظر في العنوان قد ينتابه تردّد في تحقّق حركة تقديم الألفة بحكم النفي الموجود في التركيب. فمنذ البداية يلتبس التخصيص بالإشراك؛ لأنّ التركيب لا يعلمنا بخصيصة –أنا– الأولى التي يمكن أن تكون ضمير المتكلم ولا بخصيصة الثانية التي يمكن أن تكون هي –الأنا– أو العكس؛ ومن جهة أخرى تتضاعف العلاقات بينهما بوجود طرف ثالث مفترض من خلال النفي القائم بينهما.

ومع ذلك يظلّ تأويل أحدهما عن طريق الإحالة المرجعية ضرباً من القراءة الموضوعاتية التي تحمل النص الموازي دلالة غير سياقية. لكن الأهمّ لدينا هو الكشف عمّا إذا كان النص مفتتحا لنص الرغبة ما دام العنوان حاملا –رغم بنيته الخبرية– لسؤال ضمني يوكل إلى عملية التلقي، خاصة وأن البحث عن كينونة المتكلم محفوف بمخاطر التماهي وتمثيل الهوية المتكلمين. ولهذا كان اقترابنا من المتكلم الشعري أكثر أمنا من التسمية المباشرة.

[1] - Herman Parret, *Les passions. Essais sur la mise en discours de la subjectivité*, Mardaga, Bruxelles, 1986,: 32.

والرغبة ليست تأكيدا لحضور المتكلم حضورا بديهيا يبتغي نقل الإحساس بالذات إلى المتلقي أو إلى محاوريه، بل هي رغبة في تأملها وتفكيرها من حيث هي قوة يحيا بها المتكلم عبر الجسد. وعلى هذا الأساس تغدو صيغة –أنا هو أنا– أو –أنا لا أنا– مكانا للتواصل، وذلك لأنها صيغة تستدعي مقابلها كأن نفترض – أنا هو أنا– مقابل آخر كائن في الفضاء الذي يوجد فيه ضمير المتكلم، والشيء نفسه يصدُق على الصيغة الأخرى. فهذه التعددية نفسها مأهولة بتعدّد الفضاء، إذ تكف الرغبة فيه عن أن تكون وحدة. إنها رغبات لا تعكس تشظّي الذات المتكلمة رغم توزعها. هكذا نقرأ في النص ما يلي[1]:

أنا الأندلسيّ المقيمُ لذائذ الوصْلِ
وحشرجات البينْ
أنا الظَّاهِرِيُّ
القُرْطُبِيُّ
الهَجِرُ لكلّ وزارة وسلطانْ

يفور المقطع الشعري بألم الهجران ويتّقد بحشرجات ونارٍ متشظية فتزداد الحرقة ويكثر اللهب فترسم على نص الرّغبة تضاريس متصدِّعة، تنادي صدوعها بربط السطح بالعمق وتدعو شقوقها إلى الالتئام. ألسنة النص هي ألسنة لهب يبني لفح نيرانها جسرا واصلاً بين النسيان والذاكرة. أو الكتابة

[1]– الأعمال الشعرية، كتاب الحبّ، ص: 207.

شكل متفجر يصل الحضور بالغياب، وبراكين ثائرة وأصوات مدوية. الكتابة فعل مؤجَّل يلحم الصّدع ويداوي الجرح في خيط لامرئي، تائه ولايقيني. فـ"تكون الكتابة كائنا يعضدنا ونعضده، ومغامرين نذهب في استنطاق الممكنات من أجل قراءة جديدة لدفاتر الشتات"[1].

لا نجزم بكون ضمير المتكلم، هنا، يحيل على ابن حزم رغم إشارات المكان والزمان وتأطيرها لفضاء اللغة بالانتماء والصفة والحال، وإنما نقدر انتقال الشاعر من التخصيص إلى الإشراك عبر تداخل الأصوات بغضّ النظر عن معطى السيرة وحدوده في علاقته بالنص الشعري، سواء من حيث مصاحبته له و تحيينه إياه؛ فالشعري أبعدُ من أن يعيد إنتاج خطاب ما ويتسمى بصوته. والناظر في هذا المقطع يستطيع أن يتبين البناء المتفرد لصوت الشاعر من خلال بناء الأبيات، إذ جعل من البيت الأول عتبة خارج أي إشراط ظرفي أو مرجعي خاصّة إذا علمنا أن النسب إلى الأندلس لا تخصّ ابن حزم وحده بقدر ما تتجه نحو الكتابة التي اختارها **بنيس**.

من هنا يقوم التداخل النّصي عنصرا بانيا لدلالية النص؛ حيث تتعمق تجربة الكتابة عبوراً للمكان النصي وحوارا يتأسّس بتوسيع الرغبة في الانتماء إلى السلالة الشعرية على مستوى الزمن؛ وما يسند هذا العبور هو معنى الإقامة على حدود الخطر باعتباره معنى تشغله لغة **بنيس** بامتياز. فلذائذ الوصل حدود لحشرجات البين والعكس قائم أيضا في البينية التي يقيمها الشاعر: بين تحقّق اللذة ونار الفراق. إنها إقامة التشوق اللانهائي من غير ختم أو مصير سدمي يعتقل الرغبة في حلقة متشابهة البداية والنهاية.

[1]- بختي بن عودة، **رنين الحداثة**، منشورات الاختلاف، و وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، ط1، 1999، ص: 41.

ويبدو من خلال تكرار ضمير المتكلم إيقاع يعدّد حركة التعرف إلى الصوت ضمن مشهدية تتنامى تجاوباتها على شكل طيّات شفافة لا تُخفي معالم بعضها البعض أو تنزيلها وبهذا يتحقّق مستمر الإيقاع.

فإذا كان التخصيص مبنيا على حركة رؤيا الإقامة لدى الشاعر المتكلم، فإن الإشراك لم يصل بعدُ إلى حركته رغم كونه محاطا بزمنه الأول؛ غير أن البيتين الثالث والرابع يظهران الطية الأولى من خلال اقتصار بنائهما التركيبي على حمل واصفٍ متعدّد النسبة دونما وصل يوسّع الدلالة مثلما هو الأمر مع البيتين الأول والأخير حيث يتجاوبان في اسم الفاعل —المقيم/المهاجر- والتساؤل عن هذا التجاوب في علاقته باختلاف الصوتين يقودا إلى اعتبار البناء التركيبي خالقا للطية الثانية، إذ تنتفي العلاقة المكانية بينهما لتصبح المُمارسة والفعل مجالا لتشارك الصوتين أو تسمية تبرز منطوق الرغبة لديهما.

وهكذا نرى أن الإقامة والهجر فعلين مختلفين من حيث الحركة والزمن، لكنهما متجاوبان لكونهما يُظهران اختيارا ذاتيا من جهة ولكونهما يظهران تعلقا جدليا من جهة ثانية. فالإقامة لا تكون إلاّ بالانتقال من مكان إلى آخر، كما يكون الهجر بحثا عن الإقامة أيضا وفي ضوء دلالة النص يبدو أن الإشارك عنصر بأن للدلالية، خاصة إذا اعتبرنا هجرة الوزارة والسلطة تحرر من دائرة المنع في اتجاه عدم الوقوع في التناقض الوجداني علما بأن فضاء السلطة في الثقافة العربية كان دوما فضاء المتعة خارج القيم التي يتداولها جميعا أو يحميها باسم الأخلاق والدين.

وعلى هذا الأساس تكون الإقامة بين لذائذ الوصل مواجهةً للتناقض بين المعلن والمسكوت عنه وبين المنطوق والضمني. كتابة الجسد عند **محمد بنيس** تخرج عن معنى التعرية، باعتبارها حالة الجسد نفسه في علاقته برغباته، لأن **كتاب الحب** يزيد من تعميق هذا الخروج عبر تعرية فكرة الجسد في اللغة والمجتمع والزمن حينما يمارس الجسد لغته وألفته؛ وتلك هي الممارسة التي لا تخون الذاتَ الكاتبة حيثما الكتابة التي تحفر باحثة عن اللسان الأخرس داخل الخطاب وداخل الكلمات وفي الأمكنة المنسية ذهبا مستمرا إلى أقاصي الذات.

واستمراراً لمغامرة القراءة نأتي على المقطع الثاني كي نلتقي بطية ثالثة ذات بناء خاص شغل فيه الشاعر صوت ابن حزم، حيث حوّر التخصيص منه كضمير متكلم إلى غيره دون إشراك هذه المرة؛ ورغم ذلك فقد جعل من نص ابن حزم يرسم تخصيصه بنفسه.

أنا الذي ربيتُ بين حجور النساء

بين أيديهن نشأتُ

وهنّ اللواتي علّمنني الشعر والخطَّ والقرآن

ومن أسرارهن علمتُ ما لا يعلمه غيري[1]

من الواضح أنّ إدخال أجزاء من نصوص ابن حزم ضمن نص الشاعر متعلّق برؤية كتاب الحب لإعادة الكتابة، ولهذا كان اشتغال نص ابن حزم بضمير المتكلم أكثر ارتباطا بوضعية التداخل النصي

[1]– الأعمال الشعرية، كتاب الحب، ص: 207.

منها إلى السيرة. والقول بأن نص –أنا لا أنا– هو سيرة شعرية لابن حزم يُعدّ قراءة بحوافز مرجعية تهدم مفهوم إعادة الكتابة من حيث هو بناء مستمر بالنص وفي النص.

كان بإمكان الشاعر أن يعيد كتابة نصّ "طوق الحمامة" بأكثر من طريقة ورؤية ولغة، إلاّ أنه ارتضى هذا البناء لملامسة لغة ابن حزم في تقديم ذاته من خلال ضمير المتكلم دون النظر إلى السيرة ومحتواها. ولعل الاقتصاد الذي مسّ هذا النص وكذا طريقة عرضه على الصفحة يؤكدان وضعه ضمن المحو من غير أن يقود إلى إلغائه.

وحينما نتحدّث عن هجرة النص من زمنه إلى زمن الشاعر فليس يُعدّ تشغيله إضافة أو حيلة، بل هو تشغيل حوار يضيء الملتقى الذي جعل الصوتين يعيشان زمن الرغبة كزمن مفتوح ولانهائي، ولهذا جاء المقطع الأخير حاملا ألفة الذات باعتبارها نصا مضادا يؤشر عليه فعل القول والتصريح[1]:

أنا الذي يقولُ: الموت أسهل من الفراق

هذه شريعتي

أن أبوح لأهل الصبابة

في بغداد وفاس

وقرطبة

والقيروان

أن أصاحب الدّمعة إلى وساوس حرقتها

[1]- الأعمال الشعرية، كتاب الحب، ص: 209.

أن أبارك وردةً بين معشوق وعاشق

وأكتب لكْ

عن هذه البذرة التي تكفي

لكل من يكون

بين مسالك السمع والبصر

في حضرة

الجنونْ

تزخر هذه المقاطع استراتيجيا بمدلولاتٍ وجودية عميقة في حضرة الحياة، مليئة بالصّدى والذكريات، لتعكس قلق الشاعر الوجودي نحو الحبّ والوله، وكيف تتضاعف مصاعب الحياة بعد هجران الحبيب. تُعدّ هذه القصيدة شطحا وجوديا مُناوراً بين المستقر واللامستقر، ليتصالح الجنون مع لعبة الحياة ومعادلاتها الصّعبة.

يسعى **بنّيس** في تركيبه الشعري إلى اقتفاء نداء قصيّ أو أثر دنيّ للمعشوق بين بغداد وفاس وقرطبة والقيروان، فيهيم بحثا عن معشوقه بين الرجاء والإرجاء. رجاء في الحلول وإرجاء في العودة، تتبع لصدى الأصوات، مناجاة للذّكريات، وتحسُّس للأرواح، شوق واشتياق للغائب. **بنّيس** في أشعاره العِشقية لا ينفكّ عن الهجرة والانتقال من مكان إلى مكان ومن زمان إلى زمان كمصغٍ لتردُّدات الصَّدى وسط حشود ومواكب الرّغبة والحنين والفقدان، أو كمشاهد يُركّب بين الحقائق والخيالات، متتبِّع للسَّراب ومتأمّل فيما وراء الضباب.

إن الأدلة اللسانية هي كينونات لغوية معتمة ومظلّلة تراهن على عمق كينونة أخرى تحت طيات النص وطبقات التراكيب (الموت + الفراق + الصبابة + الدّمعة + وساوس + الحرقة + الجنون)؛ فـ"اللغة هذا الكائن المبهم والمتواري يتجلّى ويتمفصل مع كينونة الأشياء من فرط خفائه وتواريه، فلا يُمكن فصل الشيء عن اسمه أو الحدث عن رسمه وكل حقيقة وجودية هي كينونة لغوية"[1].

تتجلّى عبر هذه التراكيب اللسانية عتمات الذاكرة السحيقة. نقرأ عبر إيقاع هذه العلامات كلام المسكوت وصراخ المكبوت، ويتمثّل لنا طيف المعشوق بعد الهجران أو الفقدان. يلتفت **بنيس** إلى تلك المكبوتات وترسّبات الذاكرة، فينشد حكاية الغياب والغروب والاغتراب. نصوصه يمتزج فيها الشعر بالحزن كثيرا، فهو كإنسان وشاعر لا يقدر أن يقاوم الحزن الذي يسكننا، لا يمكن الانفلات منه. فتتشابك الفضاءات والذكريات في نصوصه، متفاعلة ومُحدثة تناغما فنيا بين الواقعي والرّمزي. مراثي **بنّيس** حمّالة معانٍ عميقة وغائرة في النفس الإنسانية، وطاقة نصّية فوّراة تتسرّب إلى طيّاتها تشنّجات خفية، وآهات خرساء.

كما أنّ التوتّرات النّصية داخل القصيدة تعمل على تشويش فضاء القصيدة، بالاقتراب من الهشاشة ولحظات الصّبابة الخاطفة والهاربة، بين جمر اللغة وحرقتها، بين الاشتعال والضياء الذي يتحوّل إلى احتراق.

---

[1]- محمد شوقي الزين، **الإزاحة والاحتمال: صفائح نقدية في الفلسفة الغربية**، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008، ص: 150.

تتأرجح الرّؤى الشعرية بين الواقع والمثال، تتراقص على ألحان المألوف والمجهول، تقفز فوق أسوار المرئي واللاّمرئي، تتجلّى وتتوارى بين العالم وما وراء العالم. الشّعر مغامرة "تتخذ من الكتابة وسيلة لاستشراف الكون وإعادة إنتاجه وتخييله، وخلق ممارسة تشكيلية تنتج لغة تستحيل رموزها إلى بناء للمجهول"[1]. هي مغامرة في غابات الوجود، أو في فيافيه المتعدّدة الأبعاد.

في شعريات **بنّيس** تُمارس الذّات الشعرية كينونتها في استمرارية الوجود الإنساني. لتُعيد الحفر داخل مضامين الحياة والموت، فيصوغها الشّاعر عبر تشكيلات خطابية تشعّ ضياء ونوراً ورجفةً، تثب إلينا من الذّاكرة المجروحة والحلم المبتور، لتُعانِق الحواسّ وتشوّش تركيب النص وجسد القصيدة، وتُهندس انزياحاتها خرائط من قلق الحضور والغياب، والعود المتكرر والمتكسّر لأطياف الغائب.

يجتهد المؤوّل لخطاب بنّيس الشعري إلى كشف استراتيجياته النصية لاستعادة اللاّمعنى واللحظات الهاربة مستحضرا ما طواه النسيان أو غفلت عنه الأذهان. والبحث عن أغوار مقاصده يوصل القارئ إلى حجم الخوف من الهجران، والموت أو الخوف من تفاصيله. فينتابنا أنس وغربة، ألم وأمل، عندما نلاحظ تنامي الكلمات وجمالها داخل الخطاب الشّعري عند **بنيس**، وسموّها ونغمها الموسيقي المتراقص كما لو أنّ اللغة محكوم عليها بالخرس. هنا يظهر إبداع **بنيس** في نصوصه الإبداعية، بوصوله إلى الأقصى والمعزول، إلى الشِّعر المطلق، المتعدّد الذي يتفرّد دومًا وأبدا، في الرّحيل نحو الأقصى. في الأمر ما يُغري بالاستفاضة، ولربّما كان يُغري بكتابة وبقراءات لا تتوقّف.

[1]– عبد العزيز بومسهولي، **الشعر والتأويل**، ص: 15.

الخَـــاتِـــمـــة

الخاتمة:

كان تتبّع الممارسة التداولية والتأويلية للخطاب الشّعري عند محمد بنّيس محفوفاً بلذّة الكشف والقراءة، مسكونا بالبحث عن مقاصد الشاعر واستراتيجيات التأويل النصية في ضوء المسالك التي شغّلها الشاعر، ويبدو أن وضع خُلاصةٍ تُحدّد علاقة المقصدية بالتأويل في الخطاب الشعري تستعصي على التحديد أو إخضاعها للقوانين العامّة، فهي تنفر من المعايير؛ لأن القراءة الشعرية يحكمها عنصر التبدل والتحول فهي تشتغل بقوّة وديناميةٍ في تحريك عملية النّقد والمقاربة. وحاول البحث عبر صفحات هذه الرسالة متابعة هذه القراءة وخوض غمارها. ونختم هذا البحث بجملة من النتائج يمكن إيجازها في النقاط التالية :

- ✓ تسعى المقاربة التداولية إلى كشف مضمرات الخطاب الشّعري، والغوص في الكون الدّلالي وفحص استراتيجيات بنائه والتطلع إلى إبداعيته والارتماء في دوائر بلاغته، وتستثمر التداولية في قرائتها الشعرية منجزات المقاربات الذهنية والمعرفية في إدراك خُطاطَات الفهم والتأويل.
- ✓ تعمل التّصورات الذّهنية للمقاصد على اقتران الاستراتيجيات الخطابية بسياقاتها لفهمِ معاني القول الشّعري، فتلجئ المقاربة النقدية إلى الاعتبارات التداولية والمؤشّرات النصية والمعرفة الموسوعية وكلّ ما ينضوي تحت استراتيجية وتخطيط النّسق المعرفي للمقاصد أو الجانب التصوراتي للمعنى.

- ✓ محاولة استكشاف المستوى التّصوري للمقاصد الذي تنطوي عليه التعبيرات الاستعارية للخطاب هو أحد أهمّ مكتشفات اللسانيات المعرفية والتداويات التي حاول هذا البحث الاستفادة منها.
- ✓ بنيات المشابهة والاستعارة ليست مقتصرةً على الدّور الجمالي، بل هي وسيلة مهمّة من وسائل المعرفة الإنسانية، فبوساطتها يُدرك الإنسان تمايز الأشياء واختلافها، ويمكنه في ضوئها تصنيف الأشياء وتبويبها من خلال درجات التشابه بينها.
- ✓ يتّخذ الشاعر **محمد بنّيس** من نصياته ما يتجاوز الصيغ العادية أو التّحديد الدقيق لمقاصده، بطرق مشفرة عبر موجّهات صارت فضاء تلويح إلى بنية تسندها علامات الحراك والكشف وآلية السعي نحو منظور احتوائي من أفق استثمار واسع وجديد ومتعدّد الاختيارات.
- ✓ المعمارية الشّعرية التي يؤسّسها **محمّد بنّيس** هي استثمار لاستراتيجية توزيع المقاطع الخطابية لشعره، التي تعكس دلالات إيحائية ومؤشّرات لسانية تختزل التباسات الشاعر وقلقه الأهوائي (مثل الموت والصّبابة) وتلعب هذه الموجهات دورا مهما في تبيان حساسيات وتصورات الشّاعر.
- ✓ بلاغة المؤوّل أثناء التّصور التحليلي في هذا البحث هي حوصلة تفاعلِ مقوّمات شخصيته مع دوائر النّص الصغرى، وقدرته على فتحها عند الضرورة على الدوائر السياقية الكبرى وهذه عملية محفوفة بالانزلاق والوقوع في لانهائية التأويل.

- ✓ محاولة قراءة مقصدية **بنّيس** في شعرياته هي مغامرة معقّدة، لتعقّد الموضوعات الوجودية والأهوائية التي يعالجها المؤلّف في أشعاره. وهي تتلوّن بالمستحيل الممكن أو المضمر الجلي، أو المعتم الظاهر، أو الغائب الحاضر. إنّ محاولة الاقتراب من شعرية المقاصد تربك المؤوِّل وعمله القرائي، فهي قراءة للتشظي والتّمزّق، لتحسم هذا البُعد الأنطولوجي المركّب في أشعاره معلنة الدخول إلى منطقة اللانهاية واللاّرجوع، وتأمل وإبصار للقلق الذي يتأرجح بين الأمل والشوّق والحرمان.

قائمة المصادر والمراجع

مكتبة البحث

أولاً: العربية:

- أفاية، محمد نور الدين، **الحداثة والتواصل في الفلسفة النقدية المعاصرة**، أفريقا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، و بيروت، لبنان، ط2، 1998.
- بازي، محمد، **التأويلية العربية: نحو نموذج تساندي في فهم النصوص والخطابات**، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- الباهي، حسان، **الحوار ومنهجية التفكير النقدي**، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، 2004.
- بحيري، سعيد، **من نحو النص إلى تحليل الخطاب النقدي**، مكتبة الاسكندرية، دط، د.ت
- بن عرفة، عبد العزيز، **الدّال والاستبدال**، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 1993
- بن عودة، بختي، **رنين الحداثة**، منشورات الاختلاف،وزارة الاتصال والثقافة، الجزائر، ط1، 1999.
- بنيس، محمد، **الشعر العربي الحديث**، دار توبقال، ج3، ط3، 2001.
- بنيس، محمد، **الأعمال الشعرية**، المؤسسة العربية للدّراسات والنشر، عمان، الأردن، ط1، 2002.
- بنيس، محمد، **مواسم الشّرق يليها مسكن لدكنة الصباح**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب ط2، 1990.
- بومسهولي، عبد العزيز، **الشعر والتأويل: قراءة في شعر أدونيس**، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء المغرب، ط1، 1998.

- حرب، علي، **التأويل والحقيقة: قراءات تأويلية في الثقافة العربية**، دار التنوير للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، 2007.
- حمود، ماجدة، **علاقة النقد بالإبداع الأدبي**، منشورات وزارة الثقافة، دمشق، سوريا، 1997.
- الجرجاني، عبد القاهر، **دلائل الإعجاز**، تحقيق: السيد محمد رشيد رضا، دار المعرفة للطباعة والنشر، بيروت، 1978.
- الخضّور، جمال الدين، **زمن النص: الزمن وتفكيك الوحدة الإيديولوجية للنص، حركة الزمن، الإيديولوجي، المعرفي**، دار الحصاد للنشر والتوزيع، دمشق، سوريا، ط1، 1995.
- خطابي، محمد، **لسانيات النص: مدخل إلى انسجام الخطاب**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط2، 2006.
- رمضان، يحيى، **القراءة في الخطاب الأصولي: الإستراتيجية والإجراء**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، وجدارا للكتاب العالمي، عمان، الأردن، ط1، 2007.
- الزناد، الأزهر، **نظريات لسانية عرفنية**، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ودار محمد علي للنشر، تونس، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2010.
- الزين، محمد شوقي، **الإزاحة والاحتمال: صفائح نقدية في الفلسفة الغربية**، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط 1، 2008.
- سعيد، خالدة، **فيض المعنى**، دار الساقي، بيروت، لبنان، ط1، 2014.
- سليم، عبد الإله، **بنيات المشابهة في اللغة العربية–مقاربة معرفية**، دار توبقال، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2001.
- سويدان، سامي، **في النص الشعري العربي: مقاربات منهجية**، دار الآداب، بيروت، لبنان، ط1، 1989.

- الشهري، عبد الهادي بن ظافر، **استراتيجيات الخطاب: مقاربة لغوية تداولية**، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2004.
- صحراوي، مسعود، **التداولية عند العلماء العرب**، دار الطليعة، بيروت، لبنان، ط1، 2005.
- الطبطبائي، طالب سيد هاشم، **نظرية الأفعال الكلامية بين فلاسفة اللغة المعاصرين والبلاغيين العرب**، منشورات جامعة الكويت، ط1، 1994.
- عبد الرحمن، طه، **تجديد المنهج في تقويم التراث**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط2، 1996.
- عثمان، اعتدال، **إضاءة النص: قراءات في الشعر العربي الحديث**، الهيئة المصرية العامة للكتاب، القاهرة، مصر، ط1، 1988.
- الغذامي، عبد الله، **المشاكلة والاختلاف: قراءة في النظرية النقدية العربية وبحث في التشبيه المختلف**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 1994.
- الغَذّامي، عبد الله، **تشريح النّص: مقاربات تشريحية لنصوص شعرية معاصرة**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط2، 2006.
- عشير، عبد السلام، **إشكالات التواصل والحجاج:مقاربة تداولية معرفية**، أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه دولة، المغرب، 2000.
- علوي، حافظ إسماعيلي، **التداوليات علم استعمال اللغة**، عالم الكتب الحديث، إربد، الأردن، ط1، 2011.
- علي، محمد محمد يونس، **علم التخاطب الإسلامي: دراسة لسانية لمناهج علماء الأصول في فهم النّص**، دار المدار الإسلامي، بيروت، لبنان، ط1، 2006.

- علي، محمد محمد يونس، **المعنى وظلال المعنى**، دار المدار الإسلامي، ط2، ليبيا، 2007.
- فاخوري، عادل، **تيارات في السيمياء**، دار الطليعة للطباعة والنشر، بيروت، لبنان، الطبعة الأولى، 1990.
- فضل الله، مهدي، **مدخل إلى علم المنطق**، دار الطليعة، ط1، بيروت، ط1، 1977.
- لحمداني، حميد، **القراءة وتوليد الدلالة: تغيير عاداتنا في قراءة النص الأدبي**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2003.
- المتوكل، أحمد، **الوظيفية بين الكلية والنمطية**، دار الأمان، الرباط، 2003.
- مجموعة مؤلفين، **أهم نظريات الحجاج في التقاليد الغربية من أرسطو إلى اليوم**، إعداد فريق البحث في البلاغة والحِجاج، إشراف: حمّادي صمّود، كلية الآداب، منوبة، تونس، د.ط، د.ت.
- المسدي، عبد السلام، **التفكير اللساني في الحضارة العربية**، الدار العربية للكتاب، تونس، ط2، 1986.
- مصدّق، حسن، **يورعن هابرماس ومدرسة فرانكفورت: النظرية النقدية التواصلية**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2005.
- مفتاح، محمد، **مجهول البيان**، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1990.
- مفتاح، محمد، **تحليل الخطاب الشعري: إستراتيجية التناص**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، و بيروت، لبنان، ط3، 1992.
- مفتاح، محمد، **دينامية النص: تنظير وإنجاز**، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت،
- لبنان، ط3، 2006.

- نحلة، محمود أحمد، **آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر**، دار المعرفة الجامعية، مصر، 2006.
- ناصيف، مصطفى، **مشكلة المعنى في النقد الحديث**، مكتبة الشباب، مصر، د.ط، د.ت
- ناصف، مصطفى، **اللغة والتفسير والتواصل**، سلسلة عالم المعرفة، المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 193، يناير، 1995.
- اليوسفي، محمد لُطفي، **لحظة المكاشفة الشعرية: إطلالة على مدار الرّعب**، الدّار التونسية للنشر، ط1، 1992.

ثانياً: المترجمة:

- أرمنكو، فرانسواز، **المقاربة التداولية**، ترجمة: سعيد علوش، مركز الإنماء القومي، بيروت، لبنان، 1986.
- أورو، سيلفان، **فلسفة اللغة**، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار الكتاب الجديد المتحدة، بيروت، لبنان، ط1، 2010.
- برينكر، كلاوس، التحليل **اللغوي للنص: مدخل إلى المفاهيم الأساسية والمناهج**، ترجمة: سعيد حسن بحيري، مؤسسة المختار للنشر والتوزيع، القاهرة، مصر، ط1، 2005.
- بلانشه، فليب، **التداولية من أوستن إلى غوفمان**، ترجمة: صابر الحباشة، دار الحوار للنشر والتوزيع، اللاذقية، سوريا، ط1، 2007.
- بوشنسكي، **الفلسفة المعاصرة في أوروبا**، ترجمة: عزّت قرني، سلسلة عالم المعرفة، إصدار المجلس الوطني للثقافة والفنون والآداب، الكويت، العدد: 165، سبتمبر 1992.
- دايك، فان، **النص والسياق: استقصاء البحث في الخطاب الدلالي والتداولي**، ترجمة: عبد القادر قنيني، دار أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2000.

- دلاش، الجيلالي، **مدخل إلى اللسانيات التداولية**، ترجمة:محمد يحياتن، ديوان المطبوعات الجامعية، الجزائر، 1992.
- دولوز، جيل، **البرغسونية**، ترجمة: أسامة الحاج، المؤسسة الجامعية للدراسات والنشر والتوزيع، بيروت، لبنان، ط1، 1997.
- دي بوجراند روبرت، ودريسلر، فولفانغ، **مدخل إلى علم لغة النص**، ترجمة: الهام أبو غزالة، وعلي خليل حمد، مركز نابلس للكمبيوتر، ط1، 1992.
- روبول، آن، وموشلار، جاك، **التداولية اليوم: علم جديد في التواصل**، ترجمة: سيف الدين دغفوس ومحمد الشيباني، المنظمة العربية للترجمة، بيروت لبنان، ط1، 2003.
- ريكور، بول، **نظرية التأويل وفائض المعنى**، ترجمة: سعيد الغانمي، المركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المملكة المغربية، و بيروت، لبنان، ط2، 2006.
- سيرل، جون، **العقل واللغة والمجتمع: الفلسفة في العالم الواقعي**، ترجمة: سعيد الغانمي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، والمركز الثقافي العربي، الدار البيضاء، المغرب، وبيروت، لبنان، ط1، 2006.
- فاولر، روجر، **النقد اللساني**، ترجمة: عفاف البطاينة، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2012.
- كريزويل، إديث، **عصر البنيوية**، ترجمة: جابر عصفور، دار سعاد الصباح، الكويت، ط1، 1992.
- كيربرات-أوريكيوني، كاثرين، **المضمر**، ترجمة: ريتا خاطر، المنظمة العربية للترجمة، بيروت، لبنان، ط1، 2008.
- لاكوف، جورج، **حرب الخليج أو الاستعارات التي تقتل**، ترجمة: عبد المجيد جحفة وعبد الإله سليم، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2005.

- لاكوف، جورج، وجونسون، مارك، **الاستعارات التي نحيا بها**، ترجمة: عبد المجيد جحفة، دار توبقال للنشر، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 1996.
- ليتش، جيوفري، **مبادئ التداولية**، ترجمة عبد القادر قنيني، أفريقيا الشرق، الدار البيضاء، المغرب، ط1، 2013.
- مانغونو، دومينيك، **المصطلحات المفاهيم لتحليل الخطاب**، ترجمة: محمد يحياتن، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ومنشورات الاختلاف، الجزائر، ط1، 2008.
- نيوتن، ك.م، **نظرية الأدب في القرن العشرين**، ترجمة: عيسى علي العاكوب، عين للدراسات والبحوث الانسانية والاجتماعية، ط1، مصر، 1996.
- يول، جورج، **معرفة اللغة**، ترجمة: محمود فراج عبد الحافظ، دار الوفاء للطباعة والنشر، الاسكندرية، مصر، 1999.
- يول، جورج، **التداولية**، ترجمة: قصي العتّابي، الدار العربية للعلوم ناشرون، بيروت، لبنان، ودار الأمان، الرباط، المغرب، ط1. 2010.

ثالثاً: المعاجم والموسوعات:

- صليبا، جميل، **المعجم الفلسفي**، الجزء الثاني، دار الكتاب اللبناني، بيروت، لبنان، 1982.
- عناني، محمد، **المصطلحات الأدبية الحديثة: دراسة ومعجم انجليزي–عربي**، الشركة المصرية العالمية للنشر، لونجمان، القاهرة، مصر، ط2، 1997.
- مجموعة باحثين، **المعجم الفلسفي**، مجمع اللغة العربية، جمهورية مصر، الهيئة العامة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، 1983.
- مطلوب، أحمد، **معجم النقد العربي القديم**، ج1، دار الشؤون الثقافية، العامة، بغداد، 1989.

- دوكرو، أوزوالد، وسشايفر، جان ماري، **القاموس الموسوعي الجديد لعلوم اللسان**، ترجمة: منذر عياشي، المركز الثقافي العربي، بيروت، الدار البيضاء، ط2، 2007.
- لالاند، أندريه، **موسوعة لالاند الفلسفية**، ترجمة: خليل أحمد خليل، منشورات عويدات، بيروت، باريس، ج1، ط2، 2001.
- موشلر جاك وريبول، آن، **القاموس الموسوعي للتداولية**، ترجمة: مجموعة من الأساتذة والباحثين، بإشراف عزّ الدين المجدوب، المركز الوطني للترجمة، تونس، ودار سيناترا للطبع، تونس، ط1، **2010**.

رابعاً: الدوريات:

- إسماعيل، صلاح، **النظرية القصدية في المعنى عند جرايس**، حوليات الآداب والعلوم الاجتماعية، مجلس البحث العلمي، الحولية 25، 2005.
- بعلي، حفناوي، **الشعريات والتداوليات: مقاربة في المفاهيم و الأقانيم وجماليات التلقي**، مجلة التبيين، العدد 23، ديسمبر2004، إصدار جمعية الجاحظية، الجزائر.
- بلحاج، عبد الكريم، **علم النفس المعرفي:قضايا النشأة والمفهوم**، مجلة فكر ونقد. دار النشر المغربية، الدار البيضاء، العدد 58.
- الذهبي، سويس، **النص والتواصل ملامح من تداولية الخطاب**، مجلة الأقلام، ع5، دار الشؤون الثقافية، بغداد، 2008،
- شداق، بوشعيب، **مقصدية العمل الأدبي بين التقييد والانفتاح**، مجلة علامات، مج 14، ج 54، ديسمبر 2004.
- العجمي، فالح، **العلاقة بين فهم القارئ وفهم كاتب النص**، مجلة عالم الفكر، إصدار المجلس الوطني الأعلى للثقافة والفنون والآداب، الكويت، المجلد28، العدد 1، 1999.

- فتحي، صفاء، **من الفكرة إلى الشبح**، مجلة "أوان"، جامعة البحرين، العدد 4/3، 2003.
- هالين، فرناند، **التداولية**، ترجمة عز الدين العوف. مجلة الآداب العالمية، منشورات وزارة الثقافة السورية، ع 125، سنة 2006.

خامساً: الأجنبية:

- Anne REBOUL et Jacques MOESCHLER, *Dictionnaire encyclopédique de pragmatique*", Editions du Seuil, Paris. , France, 1994.
- Anne REBOUL et Jaques MOESCHLER, *Pragmatique du discours: de l'interprétation de l'énoncé à l'interprétation du discours,* Armand Colin, Paris, France, 1998.
- Blanchot,Maurice, *L'espace littéraire*, coll Idées, Gallimard, 1968.
- Bussman, Hadumod, *Routledge dictionary of language and linguistics*, translated and edited by Gregory P. Trauth and Kerstin Kazzazi, Routledge publishers, London, UK and new York, USA, 2006.
- COOKE, Maeve, *Jürgen HABERMAS: On the pragmatics of communication*", Massachusetts Institute of Technology, USA, 1998.
- Covceses, Zoltan, *Metaphor : a pratical introduction*. Oxford University Press.Inc, 198 Madison Avenue, New York, 2002.
- Danesi, Marcel, *Poetic Logic : The Role of Metaphor in Thought, Language, and Culture* (Language and Communication, V.1) 2004 Atwood Publishing. Madison. USA.
- Derrida, Jacques, *La carte postale: de Socrate à Freud et au-delà*, Paris, Aubier Flammarion, 1980.

- Dubois, Jean et autres, *Dictionnaire de linguistique et des sciences du langage*, Larousse, paris, France, 1994.
- Ducrot.O, *Le dire et le dit*. Paris: ed.de Minuit , 1984.
- Eimerl.K*, Langage oral et langage écrit*, Divergences et interactions dans l'apprentissage de discours, In Cours de psychologie, processus et applications, DUNOD, 1995.
- Fayol.M, *La production verbale*, In Cours de psychologie, processus et applications. Dunod, 1995.
- Garrett.M.F, *The organization of processing structure for language production* : *Applications to aphasic speech*. In D.Caplan A.R Lecours et A.Smith (Edit), Biological perspectives on language, Cambridge, th MIT Press, 1982.
- Gavins, Joanna and Steen, Gerard. *Cognitive Poetics in Practics*. Routledge, London, 2003.
- Ghiglione.R & A.Landré, *Analyse de contenu*, In cours de psychologie, processus et applications, DONUD, 1990.
- Gouvard, Jean Michel, *Pragmatique: outils pour l'analyse littéraire*. Armand Colin. Paris, 1988.
- Groupe, *Dialogisme et polyphonie, approches linguistiques*. Actes du colloque de Ceristy, De Boeck , Duculot, 2005.
- Heidegger, Martin, *Chemins qui ne mènent nulle part*, Coll Tel, Gallimard, Paris, 1986.
- Jackendoff, R, *Grammar as Evidence for conceptual structure*, in : Halle, M, Bresnan, J, and Miller, G.A eds, Linguistic Theory and Psychological Reality, MIT Press, 1978.
- Jackendoff, R, *Semantics and cognition,* MIT Press, 1983.

- Jackendoff, R, *Consciousness and th Computational Mind*, MIT Press, 1987.
- Jackendoff, R, *Foundations of Language, Brain, Meaning, Grammar, Evolution*, Oxford University Press, 2002.
- Jackendoff, R, *Language, Consciousness, Culture, Essays on Mental Structure*, MIT Press, 2007.
- Kerbrat-Orecchioni, Catherine*, L'énonciation : de la subjectivité dans le langage*, Librairie Armand Colin, Paris, 1980.
- Kerbrat-Orecchioni, Catherine, *Les actes de langage dans le discours : Théorie et fonctionnement*, édition Nathan université, Paris, 2001.
- Lakoff, George and Turner, Mark, *More than Cool Reason*, University of Chicago press. USA, 1989.
- Lee, David, *Cognitive Linguistics:an introduction*, Oxford University Press 2001.
- Levelt.W.J.M, *Speaking : from intention to articulation*, Cambridge, Mass, MIT, 1989.
- Maingueneau, Dominique , *Pragmatique pour le discours littéraire*. Bordas, Paris. 1990.
- MOESCHLER, Jacques, et AUCHLIN, Antoine, *Introduction à la linguistique contemporaine*, Armand colin, Paris, 2000.
- Parret, Herman, *Les passions. Essais sur la mise en discours de la subjectivité*, Mardaga, Bruxelles, 1986.
- Poulin, Elfie, *Approche pragmatique de la littérature*. Ed. L'Harmattan, 2006.
- Récanati, F. "*La Transparence et l'énonciation*", 1979.

- Schiffrin.D., *Approches to discourse*, oxford ukand cambridge USA, Blackwell, 1994.
- Scott Moi, Jeffery and N.Katz, Albert, *Metaphor implications and applications*, Lawrence Erlbaum Associates, Mahwah, NJ, 1996.
- Todorov, Tzevetan, *Mickhail Bakhtine, le principe dialogique*. Éd. Seuil, 1981.
- YULE,George, *Pragmatics*, Oxford University Press, London, 2000.
- Van Dijk T.A, *Macrostructures : an interdisiplinary study of global structures in discourse*, interaction and cognition, Hillsdale, N.J.Erlbaum Associates, 1980.
- Van Dijk T.A, *Macrostructures sémantiques et cadres de connaissances dans la compréhension de discours*. In.G. Denhière (eds), Lille, Presse universitaire de Lille, 1984.
- Van Dijk.T.A, *Cognitive text models and discourse*. In M.Staimnow (ed). Language, structure, discourse and the access to consciousness, Amsterdam, Benjamins,1997 .
- Van Dijk.T.A , *Context models in Discours processing*, In. H.Van Ostendorf et S.Goldman (ed), The construction of mental representations During Reading, London, Lawrence, Erlbaum, 1999.
- Van Dijk.T.A& Kintsch.W, *Strategies of discourse comprehension*, New York, Academic Press, 1983.
- Henri Meschonnic, *Manifeste pour un parti du rythme*, in Analles, N°13 ; 1999.
- J-Caelen,*Eléments de linguistique et de pragmatique pour la compréhension automatique du langage: du signe au sens*, CLIPS, France.

- Levelt.W.J.M, *The skill of speaking*, In P.Bertilson P.Eelen& G. d'ydewalle (eds) ; International perspectives on psychological science, Hove, England Erlbaum, Vol 1.
- Maingueneau.D, *L'analyse de discours et ses frontières* ; Marges linguistique, N9, 2005.
- Olsen, Jon Arild, *De l'analyse stylistique considérée comme explication intentionnelle*. Romansk , n°16, 2002
- Rainer Warning: *pour une pragmatique du discours fictionnel*. In: Poétique n°39, sep. 1979.
- RECANATI, François, "*Le développement de la pragmatique*", in "Langue française", volume 42, numéro° 1, 1979.
- Micheli.R*, Contexte et contextualisation en analyse de discours : regard sur les travaux de T.Van DIJK*, Semen 21 pour l'analyse de discours politique url :http : //Semen revues.org/document1971.html.

فهرس الموضوعات

فهرس الموضوعات

المقدمة.....أ- ث

المدخل: المقاربة التداولية للخطاب الأدبي 02

1. التداولية والأفعال الكلامية.....05
2. تداولية السياق ودراسة الخطاب الأدبي.....06
3. مقصدية الخطاب الأدبي.....08
4. التواصلية داخل الخطاب الأدبي.....10
5. الخصوصية اللغوية للخطاب الأدبي.....12
6. الخطاب الأدبي خطاب حواري.....14

الباب الأول: المقصدية بين الإطارَيْن المعرفيّ والتّداولي.

الفصل الأول: المقصدية: ضبط المفاهيم والتصورات.....18

1. مفهوم المقصديّة.....19
2. المقصدية واللغة الإنسانية.....22
3. المقصدية ونظرية أفعال الكلام التّداولية.....24
4. كيف نفهم المقاصد؟.....29

الفصل الثاني: الآليات التداولية في فهم المقصدية.....35

1. إدراك الأبنية التصورية.....35
2. التّمثيل الدّلالي للمقصدية.....39
3. تداولية متضمّنات القول.....40
4. تداولية المقاصد وفهم المعاني المضمرة.....45

5. الاستلزام الحواري وإدراك مقاصد الخطاب.....47
6. أهمية المعرفة المشتركة في فهم القصد.....51
7. دور الخلفية المعرفية والكفاءة الموسوعية في فهم المقصدية.....52

الباب الثاني: استراتيجيات والتأويل والانفتاح التداولي للخطاب.

الفصل الأول: الاستراتيجيات المعرفية في تأويل الخطاب.....57

1. تحديد الخطاب.....58
2. آليات الإنتاج والتأويل.....59
أ. الفرضيات ما قبل التداولية ومسألة التمثيل الذهني.....59
ب. التصوّرات التداولية.....62
ت. آليات الإنتاج ومراحله.....69
ث. آليات التأويل.....75
ج. نموذج السياق.....78
ح. مفهوم الملائمة.....80
خ. التلاحم الخطابي.....81

الفصل الثاني: الاستعارة واستراتيجيات التأويل.....84

1. بين الاستعارة واللسانيات المعرفية.....84
2. التصور الاستعاري واللغة الاستعارية.....89
3. الاستعارة والتّركيب.....92
4. الاستعارة والثقافة.....94
5. الاستعارة والسّلوك الإنساني.....96
6. الاستعارة والإبداع الأدبي.....98

الباب الثالث: المقصدية والاستراتيجيات التأويلية في شعر محمّد بنّيس.

الفصل الأول: استراتيجية المقصدية عند بنّيس.....103

الفصل الثاني:استراتيجيات تأويل الخطاب الشعري عند بنّيس.....118

1. الفناء ومحنة الموت.....118
2. محمد بنّيس "الزّائر-الحائر": الموت وشعرية الإرجاء.....122
3. في الحبّ والكتابة.....127

خاتمة..... 140

قائمة المصادر والمراجع.....144

فهرس الموضوعات.....158

ملخص:

تركز هذه الرّسالة على تحليل الخطاب، الخطاب الشعري بشكل خاصّ، وذلك باستخدام التّداولية والبلاغة بطريقة مشتركة وجديدة، والتي أطلقنا عليها البراجما-بلاغة. ويمكن القول أنها مقاربة معرفية لكل من التّداولية والبلاغة. التداولية غرايسية بشكل جوهري، والبلاغة تأتي من قراءة جديدة لبلاغة أرسطو، في توسيع لمفهومه حول الخطاب إلى خطابات صغرى وكبرى. يتعين النظر إلى نوعين من المقاصد: أولا، المقصدية التواصلية، ثم المقصدية المقنعة. ويتحقق الوفاء بتلك المقاصد من قبل فعل تواصلي مقنع وناجح. والتصورات النفسية والفلسفية والمنطقية المستمدة من منظور براغما-بلاغي هي حاسمة في ضوء تطبيقاتها على العديد من المجالات العملية.

الكلمات المفتاحية: الخطاب، التداولية، البلاغة، التواصل، المقصد، التأويل، الشّعر، محمد بنّيس.

Abstarct :

This thesis focuses on discourse analysis, particularly poetic discourse, using pragmatics and rhetoric in a new combined way, called by us *Pragma-Rhetoric.* It can be said that this is a cognitive approach to both pragmatics and rhetoric. Pragmatics is essentially Gricean, Rhetoric comes from a new reading of Aristotle's *Rhetoric*, extending his notion of discourse to meso- and micro-discourses. Two kinds of intentions have to be considered: first, communicative intention, and, then, persuasive intention. The fulfilment of those intentions is achieved by a successful persuasive communicative action. The psychological, philosophical and logical aspects derived from the pragma-rhetorical perspective are crucial in view of its applications in several practical domains.

Keywords: Discourse, pragmatics, rhetoric, communication, intention, interpretation, poetry, Mohamed Bennis.

Résumé :

Cette thèse porte sur l'analyse du discours, le discours poétique particulièrement, en utilisant la pragmatique et la rhétorique dans une nouvelle manière combinée, appelée par nous Pragma-rhétorique. On peut dire que cela est une approche cognitive à la fois pragmatique et rhétorique. Pragmatique est essentiellement gricéenne, rhétorique provient d'une nouvelle lecture de la Rhétorique d'Aristote, étendant sa notion de discours à macro et micro-discours. Deux sortes d'intentions doivent être considérés: d'abord, l'intention communicative, et, ensuite, l'intention persuasive. La réalisation de ces intentions est atteint par une action communicative persuasive succès. Les aspects psychologiques, philosophiques et logiques issus de la perspective de la pragma-rhétorique sont cruciales au regard de ses applications dans plusieurs domaines pratiques.

Mots-clés : Discours, pragmatique, la rhétorique, la communication, l'intention, l'interprétation , poésie, Mohamed Bennis.